الموانئ الأندلسية

الموانئ الأندلسية

الخدمات والتسهيلات التجارية
في عصري الإمارة والخلافة
138-422 هـ/756 - 1031 م

الدكتور
خليل خلف الجبوري
جامعة تكريت - كلية الآداب

الإصدار الأول 2016 م

عدد النسخ: 1000
عدد الصفحات: 352 / القياس: 17 × 24

ISBN: 978-9933-495-00-0



لدار صفحات

سورية - دمشق - ص.ب 3397
هاتف: 095 13 22 11 00963
تلفاكس: 013 33 22 11 00963
موبايل: 818 411 991 00963
info@darsafahat.com
الإمارات العربية المتحدة - دبي
ص.ب: 231422
جوال 942 442 528 00971
Darsafahat.pages@gmail.com



الإشراف العام: يزن يعقوب
www.darsafahat.com
facebook.com/darsafahatyazan

الدكتور
خليل خلف الجبوري
جامعة تكريت - كلية الآداب

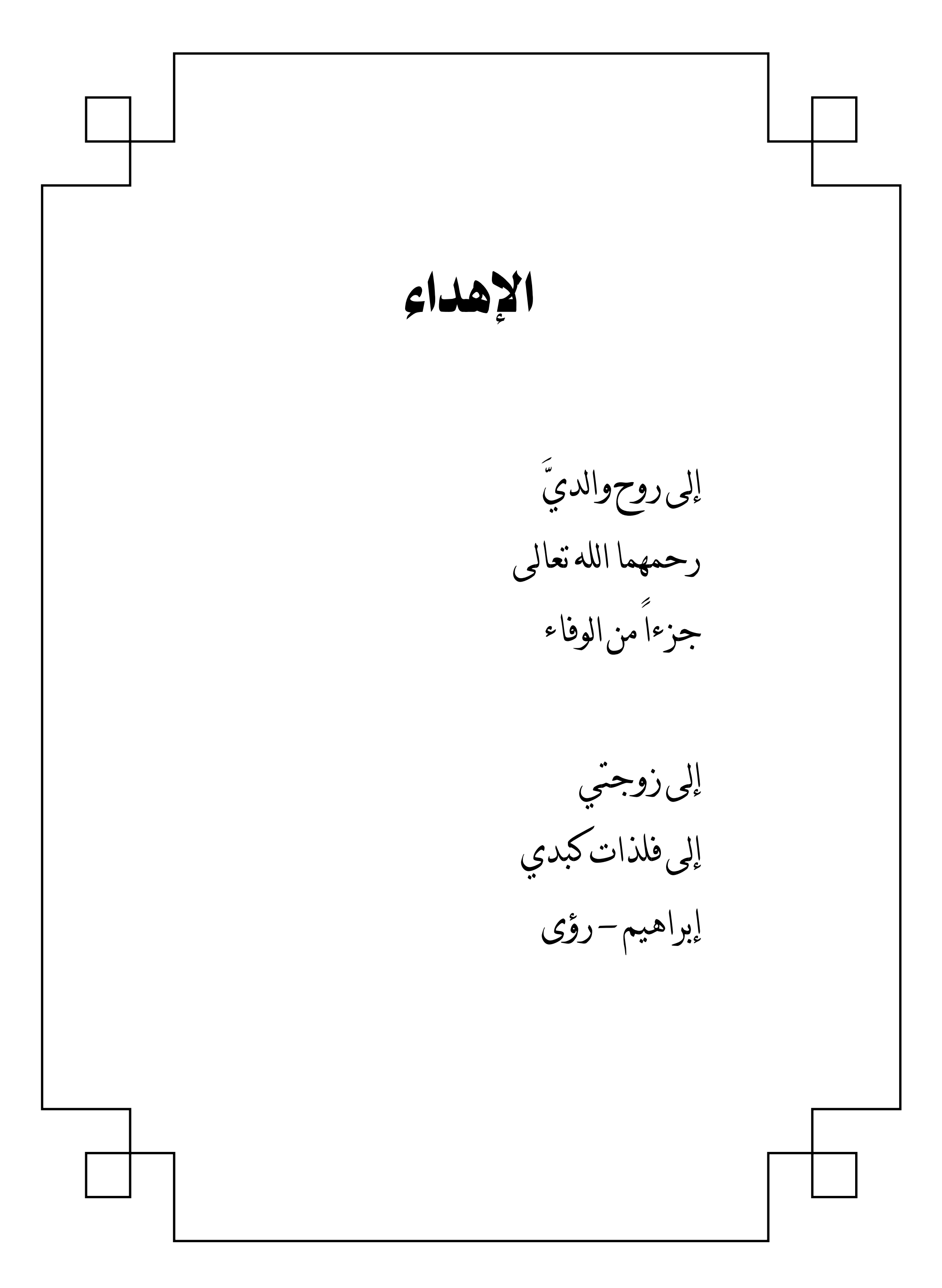
الموانئ الأندلسية

الخدمات والتسهيلات التجارية في عصري الإمارة والخلافة

138-422 هـ/756 - 1031 م



2016



الإهداء

إلى روح والديَّ

رحمهما الله تعالى

جزءاً من الوفاء

إلى زوجتي

إلى فلذات كبدي

إبراهيم – رؤى

المحتويات

الفصل الثالث

النشاط الاقتصادي ودوره في تنشيط موانئ الأندلس

الفصل الرابع
الخدمات التجارية في الموانئ الأندلسية

الفصل الخامس
التسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية

المقدمة

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله، فهو المهتد، ومَنْ يضلل، فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على نبينا الكريم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فقد ظهرت العديد من الدراسات التاريخية المتخصصة بتاريخ بلاد الأندلس سواء في الجانب السياسي أم الحضاري.

فعالجت تلك الدراسات التاريخية أغلب تاريخ بلاد الأندلس، ولم يبق للدارسين إلا النزر اليسير، والذي لا يمكن الوقوف عليه إلا من خلال الغور في أعماق تلك الدراسات، للخروج بأفكار، لم تتوسع فيها تلك الدراسات، لتكون انطلاقة وإضافة جديدة نحو فهم أعمق للواقع الأندلسي، وربما تنطلق من بعض تلك الأفكار لدراسات أكثر دقة.

فكانت هذه الدراسة موقوفة على الخدمات والتسهيلات التي قدمت في الموانئ الأندلسية، والتي كان لها الدور الكبير في استيعاب الحركة التجارية آنذاك. فمعروف أن الموانئ تعد من الأماكن التي أدت دوراً أساسياً في الحركة التجارية والمعاشية للبلدان، لاسيما تلك المطلة على البحار والمحيطات بعد أن علمنا أنَّ 80٪ من التجارة الأندلسية كانت مع بلاد حوض البحر (الشامي) الأبيض المتوسط آنذاك[1]، ولأن

1- Goitein. S. D, A Mediterranean Society An Abridgment in one Volume , Revised and Edited by: Jacob Lassner , University of California press , London: 1999 , p.21-22.

الحركة التجارية كانت تجري عبر الموانئ؛ فإن ذلك ما كان لينجح ويثمر بالصورة المشرقة، لولا توفر مجموعة خدمات وتسهيلات، تضافرت لخدمة هذا الجانب الحيوي من جوانب الاقتصاد.

ولهذا السبب كان اختيارنا لموضوع (**الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية في عصري الإمارة والخلافة**) لمعرفة ماهية ونوع تلك الخدمات والتسهيلات التجارية. وتحديد مدة الدراسة بعصري الإمارة والخلافة له مدلولات زمانية ومكانية، فالعصر الأول شهد بزوغ الدولة المستقلة في بلاد الأندلس والعصر الثاني كان مكملاً لذلك النظام السياسي، من خلال تشكيل نظام سياسي جديد (عصر الخلافة) عمل على ظهور الاستقرار السياسي فضلاً عن استقطاب كل المعارف والعلوم، فأصبحت البلاد ملاذاً لكافة فئات المجتمع، ومن كل البلدان، فلا غرابة بعد ذلك من ظهور النشاط الكبير في تلك الحقبة التاريخية دون غيرها من الحقب الأخرى.

وتطلبت الضرورة الموضوعية تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول مسبوقة بتمهيد، تطرق إلى التعريف بالميناء، ثم التعرف على الموانئ التي كانت تتعامل مع بلاد الأندلس، لا سيما موانئ بلاد المغرب العربي، ومعرفتها كانت ضرورية للبحث حتى نطلع على الجهة المقابلة لموانئ بلاد الأندلس وكيفيتها. فاطلعنا على أهم موانئ بلاد المغرب العربي، والتي قسمناها إلى موانئ مطلة على المحيط الأطلسي، وموانئ مطلة على البحر الأبيض المتوسط، والتي كان لوجودها بلا شك أثر إيجابي على النشاط الاقتصادي في بلاد الأندلس، وحاولنا إبراز نوع الخدمات التي وجدت في تلك الموانئ.

أما الفصل الأول؛ فقد تناول الطبيعة الجغرافية لتلك البلاد، من مناخ مميز بتنوعه، وذلك جاء بسبب الموقع الجغرافي الذي جعل بلاد الأندلس تحت تأثير عدة مناخات، منها مناخ البحر الأبيض المتوسط، والذي حاولنا أن نوضح تأثير المناخ

على بلاد الأندلس بشكل عام من حيث تأثيره على الزراعة وتأثيره على التجارة، ثم تناولنا التضاريس الأرضية وطبيعة تلك التضاريس وتنوعها من جبال كبيرة، كانت سمة لتلك البلاد كجبال البرتات الواقعة في الشمال، وجبال الشارات، وجبل تاج العروس، وغيرها. كما كان للأودية حصة من تلك الدراسة، بسبب كثرتها في تلك البلاد، والتي أثر وجودها على وجود الأنهار الكبيرة في بلاد الأندلس فضلاً عن كونها أماكنَ طبيعية لخزن المياه لمدة طويلة، وشبكة مجانية للنقل خدمت التجارة بإيصالها إلى الموانئ. وتطرقنا إلى السهول في بلاد الأندلس، وأهميتها فضلاً عن وضع خارطة تبين مناطق السهول (الخارطة رقم2)، ووضحت أن سهول بلاد الأندلس أكثر ما توزعت قرب السواحل، وهذا ما أدى إلى ظهور الموانئ التي اشتهرت بها البلاد.

وأما الأنهار؛ فكانت شرايين الحياة في هذه البلاد. ومن الأنهار ما يصب في المحيط الأطلسي، ومنها ما يصب في البحر الأبيض المتوسط، فكان بعضها صالحاً لنقل البضائع من مكان إلى آخر.

أما الفصل الثاني؛ فقد عالج الواقع السياسي لبلاد الأندلس من خلال تقسيمه إلى قسمين الأول عصر الإمارة، وما واجههُ الأمراء الأمويون من تحديات داخلية وخارجية، وأردنا من ذلك أن نوضح أن مجموع الخدمات والتسهيلات التجارية التي قدمت في الموانئ الأندلسية لم تكن بمعزل عن اهتمام الدولة ورعايتها، بل إن الدولة بكافة عصورها قد عملت كل ما تستطيع من أجل ذلك، وأولها ظهور الاستقرار السياسي المتمثل بالانتقال السلمي للسلطة. والقسم الثاني هو عصر الخلافة، ففيه وضحنا بشكل مختصر تلك الأحداث التي جرت في بلاد الأندلس خلال تلك المدة، وكيف أن ذلك العصر كان مكملاً لعمل عصر الإمارة كما عمل على ترسيخ روح المواطنة في البلاد، ونهض بها إلى مصاف الدول الراقية آنذاك؛ بحيث أصبحت قبلة العلماء والتجار. وعلى الرغم من ظهور بعض المشاكل السياسية التي أدت إلى سقوط

دولة بني أمية إلا أنها ظلت إلى آخر يوم، تناضل من أجل المحافظة على كل المكاسب التي تحققت، حتى الإمارات المحلية البسيطة التي ظهرت في بعض الموانئ نلاحظ أنها حافظت على تقديم كل الدعم لبقاء الميناء على ما هو عليه من خدمات وتسهيلات.

وتضمن الفصل الثالث النشاط الاقتصادي في بلاد الأندلس، وقام على ثلاثة أركان؛ هي الزراعة، والصناعة، والتجارة، ففي الجانب الزراعي، حاولنا الوصول إلى صورة، توضح أن العرب المسلمين في بلاد الأندلس كانت لهم دراية كافية بكل جوانب الزراعة، من حراثة، إلى سقي، إلى طبيعة الأرض، إلى تسميد، وغير ذلك. واستثمروا كل الموارد الزراعية وغير الزراعية في الجانب الصناعي، فظهرت المصانع النسيجية، وظهرت الصناعات الحديدية والغذائية والخشبية، والتي كان لها الدور الايجابي في توفير الخدمات والتسهيلات التجارية، فضلاً عن الجانب التجاري الذي تميزت به بلاد الأندلس، من خلال مجموع الصادرات والواردات إليها، والتي كان لها الدور الكبير في الحاجة إلى وجود مجموعة من الخدمات والتسهيلات التجارية لإنجاح التقدم الصناعي الكبير الذي ظهر في بلاد الأندلس. كما حاولنا إظهار أشهر الطرق التجارية الداخلية منها والخارجية، لا سيما تلك المرتبطة بالموانئ.

أما الفصل الرابع؛ فقد عرض وبالتفصيل الخدمات وطبيعة تلك الخدمات وسياسة الدولة التي كانت تقوم على الاحتفاظ بملكية أراضي الموانئ؛ إذ قامت الدولة الأندلسية آنذاك بوضع يدها على كل أراضي الموانئ، وعدم السماح لأي كان من التملك فيها، لأنها أراض عامة، وتملّكها من قبل فرد معين يؤثر على النشاط التجاري فيها. كما قدمت بلاد الأندلس مجموعة من الخدمات التجارية الأخرى؛ منها توفير العمالة التي تساعد في نقل البضائع وغير ذلك من الأعمال التجارية، فضلاً عن توفير السفن والمراكب وإصلاحها، وتوفير الفنادق والخانات التي تسهم في استقرار التجّار

وحفظ بضائعهم، وتوفير المياه اللازمة لهم من خلال توفير خدمة السقاية، فضلاً عن توفير المخازن لخزن البضائع التي تحتاج إلى خزن لمدة طويلة، إلى جانب توفير القيساريات والحمامات ووسائل النقل والاهتمام بالطرق والمسالك وتوفير وسائل الترفيه من متنزهات وملاه، وتوفير بعض البضائع النادرة التي لا يستطيع التاجر الحصول عليها بسهولة، وتأمين الطرق التجارية الداخلية منها والخارجية، وبناء القناطر والمنائر، وحاولنا خلال ذلك من رسم صورة واضحة لمجموع الخدمات التجارية في الموانئ الأندلسية من خلال ما حصلنا عليه من معلومات من المصادر والمراجع التاريخية.

وعرض الفصل الخامس التسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية، والتي كان أشهرها حرية التنقل التي ساعدت - وبشكل كبير - على تسهيل تنقل التجّار القادمين من خارج بلاد الأندلس، فضلاً عن تسهيل نقل الأخشاب من خلال الأنهر بالطريقة المسماة بالتعويم، وعلى الرغم من أن نقل الأخشاب كان يؤثر سلباً على الأرحية المنصوبة على الأنهر، إلا أن الدولة كانت تسمح بهذه الطريقة، لأنها تسهل على التجّار كثيراً، كما سهلت الحركة البريدية في الموانئ الأندلسية إيماناً منها بأنها تؤثر إيجاباً في الحركة التجارية، من خلال إيصال الأخبار التجارية إلى البلدان الأخرى عبر التجّار عن الواقع التجاري، ولأجل احتواء ما هو موجود من حركة تجارية وتسهيل نشاطها عمدت الدولة الأندلسية إلى إنشاء ولاية السوق المختصة بمراقبة كل ما يجري في الأسواق من نشاط في هذا المجال. فضلاً عن ذلك، فقد عرض بالحديث عن دار السكّة التي تعد من التسهيلات التجارية التي اهتمت بها الدولة الأندلسية، فضلاً عن تسهيلات مالية والعمل بالصكوك والصيرفة والسفتجة والحوالة، كما ضمنت الدولة الأندلسية حقوق التجّار كأحد وسائل التسهيل التجاري، إلى جانب البيع بالآجل الذي

عرفه السوق، ولم يكن للدولة أي جانب سلبي على ظهوره، لا سيما مع التجّار من البلدان الأخرى، كما رفعت الدولة في بعض الأوقات بعض الضرائب، وسهّلت وجود بعض المهن (كالصيرفة)، على الرغم من تحذير كتب الحسبة منها، إلا أنها لم تمنع بشكل قاطع؛ لأنها كانت تسهل على التجّار الحصول على البضائع.

وأخيراً الخاتمة، جاءت بأهم النتائج التي توصلنا إليها، فضلاً عن العديد من الملاحق. وختاماً أتمنى أن أكون قد وفقت في تقديم عمل متواضع، يلقي الضوء على واحدة من الإنجازات العربية الإسلامية التي أسهمت بشكل كبير في رقي وتقدم الحضارة العربية الإسلامية.

المؤلف

تمهيد

أهمية الموانئ عند الدولة العربية الإسلامية

يقصد بالميناء "كلاء السفن ومرفؤها"[1]، و"يقال كلأَّت السفينة: إذا حَبَسْتَها"[2]، و"المكلأ هو: موضع، ترفأ فيه السفن. والجمع المكلات"[3]، وذكر البكري[4] نقلًا عن ابن اسحق أن الـ"ميناء هي السواحل"؛ كما يسمّى الميناء بالمرسى، فيـذكر الفيروز أبادي[5] أن الميناء "كل مرسى للسفن" و"المرساة: التى ترسى بها السفينة"[6]، فهو المنتهى والمستقر للسفن والمراكب[7].

فالميناء – إذن – هو المكان الذي تستقر فيه السفن عند الساحل، وله تسميات، منها المرفأ والمرسى.

1- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت: 1990): 7/ 381.
2- البكري، عبد الله بن عبد العـزيز بن محمد، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، (بيروت: 1945): 4/ 1133.
3- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين، تح: مهـدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الوسام – دار ومكتبة الهلال، (بيروت: د.ن): 5/ 408.
4- معجم ما استعجم: 3/ 1201.
5- الفيروز أبادي، مجـد الدين محمد بن يعقوب، معجم القاموس المحيط، ط5، رتبه ووثقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، (بيروت: 2011)، ص1252.
6- الجوهري، الصحاح: 7/ 206.
7- عمـارة، محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، (القاهرة: 1993)، ص527.

وقد اهتم العرب المسلمون بالموانئ، ولا سيما بعد أن وصلت عمليات التحرير والفتح العربي الإسلامي إلى السواحل البحرية، وظهور خطر الأساطيل البيزنطية (سواء كان الخطر سياسياً أم اقتصادياً) وتحديداً في البحر الأبيض المتوسط.

فبعد الانتصار البحري للعرب المسلمين على الروم في معركة ذات الصواري سنة (34هـ/ 654م)[1] في مياه البحر الأبيض المتوسط[2]، أولت الدولة العربية الإسلامية اهتماماً بالغاً بالنشاط البحري، وأصبح لديها نظرة واضحة بأهمية المدن الساحلية (الموانئ)[3]، فعملت كل شيء لأجل ضمان حمايتها؛ إذ قام الخليفة عثمان بن عفان ﵁ (24-35هـ/ 644-656م) بتشجيع الناس على النزوح إلى السواحل، لتنمية ملكة ركوب البحر لدى الناس، ومنحهم أراض زراعية لزراعتها وضمان الاستقرار فيها[4].

كما قام الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁ (41-60هـ/ 661-680م)، في سنة (49هـ/ 669م أو 50 هـ/ 670م) بنقل أقوام من "زط[5] البصرة والسباتجة"[6] إلى سواحل بلاد الشام، وعمل على إنشاء دار لبناء السفن في مدينة عكا، التي تملك

1- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، (القاهرة: 1991)، ص190؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ط2، دار المعرفة، (بيروت: 2007): 3/ 124.

2- العدوي، إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، (مصر: د.ن)، ص7.

3- فهمي، علي محمود، التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، تر: قاسم عبده قاسم، دار الوحدة للطباعة والنشر، (بيروت: 1981)، ص60.

4- العدوي، الأساطيل العربية، ص13.

5- الزط والسباتجة: أقوام نزحوا من بلاد الهند بسبب الغلاء، إلى "بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز... وبلاد عين زربة من الثغر الشامي". المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والأشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة المشنى، (بغداد: 1938)، ص307.

6- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، وضع حواشيه: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2000)، ص101.

مستلزمات صناعة السفن من الأخشاب وغيرها، وأرسل إليها أهل الحرف والصناعات[1].

وكانت بلاد الشام قبل ذلك تعتمد على مصر في توريد السفن التي تحتاجها بسبب الخبرة التي توافرت فيها؛ إذ كانت صناعة السفن تتم في مصر، ثم تبحر السفن المصنوعة إلى بلاد الشام للعمل[2].

وعندما قامت في بلاد الشام دور لصناعة السفن دخل التعاون البحري بين مصر وبلاد الشام في طور جديد، ذلك أن البحارة والمقاتلين الذين عملوا في تلك الأساطيل كانوا من مصر وبلاد الشام، بسبب وحدة العدو[3].

وازدادت أهمية الموانئ في الدولة العربية الإسلامية مع امتداد عمليات التحرير التي جرت في المغرب العربي، خاصة بعد أن تعرض الجيش العربي الإسلامي خلال تلك العمليات إلى هجمات بحرية من قبل الأساطيل البيزنطية على مدينة برقة سنة (63هـ/ 682م) وسنة (69هـ/ 688م)[4].

فعمدت الدولة العربية الإسلامية إلى بناء مدينة تونس[5]، فأرسل الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 685-705م) أمراً إلى أخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر وإفريقية آنذاك بان يرسل ألف عائلة قبطية للمشاركة في بناء المدينة الجديدة (تونس) وإقامة دار الصناعة فيها[6]، والاعتماد عليهم في بناء

1- العدوي، الأساطيل البحرية، ص16.
2- فهمي، التنظيم البحري الإسلامي، ص60؛ العدوي، الأساطيل البحرية، ص18.
3- العدوي، الأساطيل العربية، ص18.
4- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تح: المنجي الكعبي، ط2، الدار العربية للكتاب، (تونس: 2005)، ص70-71؛ الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء: 1955): 1/ 43.
5- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص88؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، (بيروت: 1984)، ص143.
6- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص88.

السفن، لخبرتهم فيها، ويكون على سكان المغرب العربي (البربر) "جر الخشب لإنشاء المراكب"[1].

ثم توسع البناء في مدينة تونس، وصار لها "أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة"[2]، وحوت على خمسة عشر حماماً، والكثير من الفنادق[3]. وكثرة الفنادق تدل على كثرة الوافدين، بمعنى أنها أصبحت مركز استقطاب في المنطقة.

وبعد إتمام عمليات تحرير بلاد المغرب العربي أيام موسى بن نصير (86-95هـ/ 705-714م) وعمليات فتح الأندلس (92-95هـ/ 711-714م)، ازداد الاهتمام بالموانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، بعد أن أصبحت تلك المناطق خاضعة لسيادة الدولة العربية الإسلامية، وهكذا نرى شهرة العديد من الموانئ في المغرب العربي، وكان للدولة العربية الإسلامية دور في ازدهارها، من خلال توفير الحماية لها، وتشجيع السكن فيها، وبذلك قدمت تلك الموانئ خدمات تجارية للقادمين إليها، ولو لم تتوفر الحماية، ولم تقدم تلك الخدمات لما قدم إليها التجّار عبر البحار، ولكان نشاط التجّار برياً.

وتنقسم الموانئ في بلاد المغرب العربي إلى قسمين: موانئ مطلة على البحر الأبيض المتوسط، وموانئ مطلة على المحيط الأطلسي، وكان لهما نشاطٌ تجاريّ، ذكرته مصادر التاريخ والجغرافية في تلك المدة.

1- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003): 2/ 212-213.
2- البكري، المسالك والممالك: 2/ 215.
3- البكري، المسالك والممالك: 2/ 215.

الموانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط:

تمكّنت سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية أن تكون ذات نشاط تجاري متميز خلال عمر الدولة العربية الإسلامية في كل عصورها، بعد أن كان هذا النشاط مقتصراً على مدن محدودة مثل مدينة الإسكندرية التي تعد أهم الموانئ وأقدمها تعاملاً مع التجّار المغاربة والأندلسيين، على الرغم من أنها تقع خارج بلاد المغرب العربي، إلاّ أنه لا يمكن تركها دون إظهار دورها الواضح في الحركة التجارية [1].

وهي أشهر الموانئ البحرية في الدولة العربية الإسلامية[2]، وهي مركز ومحور النشاط التجاري في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتحطّ عليها السفن القادمة من بلاد المغرب والأندلس[3]، ولمنارتها شهرة واسعة؛ إذ تهتدي إليها السفن بالنهار، وبنورها في الليل، فلا تكاد المراكب تحيد عنها[4].

وأشهر الموانئ المغربية هي:

1. **برقة:** يذكر ابن سعيد[5] أن العرب سمتها بـ برقة لوجود "الحجارة المختلطة بالرمل" فيها بكثرة. وهي مدينة قديمة تقع بين الإسكندرية وإفريقية، افتتحها عمرو بن

1- البكري، المسالك والممالك: 2/ 160؛ الحميري، الروض المعطار، ص54.

2- الزهيري، شريف عبد العزيز، المسلمون سادة البحار، دار الصفوة، (القاهرة: 2008)، ص26.

3- عواد، ميخائيل، المآصر في بلاد الروم والإسلام، مطبعة المعارف، (بغداد: 1948)، ص48.

4- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1970)، ص148.

5- الجغرافيا، ص147.

العاص ﵁ سنة (21هـ/ 642م)، وتعدّ من الموانئ المشهورة في المغرب العربي؛ إذ كانت المراكب تنقل الصوف والعسل منها إلى الإسكندرية[1].

2. **اجدابية**: من المدن المشهورة في المغرب العربي، ففيها الحمامات والفنادق والأسواق التي يقصد إليها التجّار، وأهلها مياسير وأصحاب ثروات، ولها مرسى على البحر، يُعرف بالماحور[2].

3. **سرت**: وهي من المدن الكبيرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط في المغرب العربي، ترسو عليها المراكب التجارية، ودائماً ما تكون محمّلة بالزيت[3].

4. **طرابلس** أو **أطرابلس**: تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي مدينة مسوّرة بسور من الصخر[4]، فيها الأسواق الحافلة والحمامات الكثيرة، يتميز أهلها بأنهم تجار يسافرون براً وبحراً[5]، ومرساها مأمون من أكثر الرياح[6]. ومحط رحال التجّار من بلاد الروم والأندلس[7]، لما فيها من البضائع المتنوعة كـ"الصوف المرتفع وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية والسود والبيض الثمينة"[8]، ويعمل أهلها على توفير الأمتعة والطعام للتجّار القادمين ليلاً ونهاراً[9]، ويساعدون أهل

1- الحميري، الروض المعطار، ص91.

2- البكري، المسالك والممالك: 2/ 177.

3- البكري، المسالك والممالك: 2/ 177.

4- اليعقوبي، إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2002)، ص184؛ البكري، المسالك والممالك: 2/ 179.

5- ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي، سفر نامة، تر: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر: 1993)، ص58؛ الحميري، الروض المعطار، ص389.

6- البكري، المسالك والممالك: 2/ 179، ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، ط3، دار صادر، (بيروت: 2007): 4/ 25.

7- مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة: 1999)، ص133.

8- ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، ط2، مطبعة بريل، (ليدن: 1938): 1/ 69.

9- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 69؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص146.

المراكب التجارية القادمة إليهم في إدخالها إلى المرسى في حالة اشتداد الأمواج، ودون مقابل "متطوعين، فيقيد المركب، ويرسى به في أسرع وقت بغير كلفة لأحد، ولا غرامة حبة، ولا جزاء بمثقال"[1].

5. **قابس**: مدينة مشهورة في بلاد المغرب العربي، وهي مسوّرة بالصخر[2]، فيها أسواق وفنادق وجامع وحمامات كثيرة، وساحلها مرفأ للسفن، تأتيه من كل مكان، ويشتهر فيها الحرير الذي يعدّ من أجود الحرير، وأرقه[3]، وفيها منار كبير، يهتدي إليه المسافر القادم إليها من بلاد مصر[4].

6. **سفاقس**: أو **صفاقس**، مدينة في المغرب العربي على ساحل البحر الأبيض المتوسط[5]، كثيرة الأسواق والحمامات والفنادق، تقع وسط غابة من أشجار الزيتون، لذا؛ فهي تشتهر بالزيتون وزيته، ويصدر إلى مصر وبلاد الشام، ولها مرسى مشهور[6]، يقصده التجّار من الآفاق محملين بالأموال لشراء البضائع والزيت[7].

7. **المهدية**: مدينة في بلاد المغرب العربي شرع ببنائها عبيد الله بن سالم[8] الملقب بالمهدي سنة (300هـ/ 912م)، وأكمل سورها سنة (303هـ/ 915م)[9]،

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 69-70.

2- الحميري، الروض المعطار، ص450.

3- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 70؛ البكري، المسالك والممالك: 2/ 189.

4- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 289.

5- المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003)، ص183.

6- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 71؛ الحميري، الروض المعطار، ص365-366.

7- الحميري، الروض المعطار، ص366.

8- عبيد الله بن سالم: توفي سنة (322هـ/ 933م). ينظر: ابن عذاري المراكشي، أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت: د.ن): 2/ 209؛ ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، ط10، اعتنى بهذه الطبعة ووثّقها: عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، لبنان، (بيروت: 2007)، مج6: 11-12/ 213.

9- البكري، المسالك والممالك: 2/ 203؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص144.

وسـميت باسمه، وسكنها سنة (308 هـ/ 920م)، تميزت بكثرة التجارة ووجود الخانات والحمامات الحسنة[1].

ويذكر البكري[2] بأن مرساها "مرفأ لسفن الإسكندرية والشام وصقلية والأندلس"، وامتاز بأنه كبير ويسع لثلاثين مركباً، وعند مدخله برجان، بينهما سلسلة حديد "من أغرب ما عمل، وإذا أرادوا أن تدخل سفينة، أرسل حراس البحر السلسلة حتى تدخل السفينة، ثم مدّوها كما كانت، وذلك تحصيناً، لئلا تطرقها مراكب الروم من صقلية وغيرها"[3].

8. **سوسة**: مدينة قديمة في بلاد المغرب العربي، لها ميناء مشهور، ركب منه الفقيه أسد بن الفرات فاتحاً إلى صقلية، وإليها تُنسب الثياب الرقيقة المعروفة بـ السوسية[4]، تتميز بأسواقها الحسنة ووجود الفنادق والحمامات الطيبة، وتبعد عن القيروان مسافة مرحلة[5]، فضلًا عن وجود دار لصناعة المراكب[6]، ولها منار عال، يُعرف بمنار خلف الفتى[7].

9. **اقليبيا**: يذكر الحميري بأنها مدينة كبيرة على ساحل البحر بأقصى جزيرة شريك، لها مرسى، تقصده السفن للميرة[8].

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 71.

2- المسالك والممالك: 2/ 203.

3- الحميري، الروض المعطار، ص172.

4- ابن سعيد، الجغرافيا، ص144؛ الحميري، الروض المعطار، ص331.

5- ابـن حوقـل، صـورة الأرض: 1/ 72. والمرحلـة: هـي المسـافة التـي يقطعهـا المسـافر فـي نحـو يـوم بالسـير المعتـاد علـى الدابـة. البلتاجـي، صابـر عبـد المنعـم محمـد علـي، النظـم والمعامـلات الماليـة فـي المغـرب عصـر دولـة الموحديـن (524-668هــ/ 1130-1269م)، مكتبـة الثقافـة الدينيـة، (القاهرة: 2012)، ص492.

6- اليعقوبي، البلدان، ص187.

7- البكري، المسالك والممالك: 2/ 207.

8- الروض المعطار، ص52.

10. **تونس**: مدينة في المغرب العربي إسلامية محدثة، بناها الوالي حسان بن النعمان الغساني على أنقاض مدينة قديمة، اسمها ترشيش سنة (84هـ/ 703م)[1]، عمدت الدولة العربية الإسلامية إلى بناء مدينة تونس[2]، فأرسل الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 685-705م)، أمراً إلى أخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر وافريقية آنذاك بأن يرسل ألف عائلة قبطية للمشاركة في بناء المدينة الجديدة، وإقامة دار الصناعة فيها[3]، والاعتماد عليهم في بناء السفن، لخبرتهم فيها، ويكون على سكان المغرب العربي "جر الخشب لإنشاء المراكب"[4]. وتوسع البناء في مدينة تونس، وصار لها الكثير من الأسواق والعديد من الحمامات والكثير من الفنادق[5]. ولأهميتها، عمد الوالي عبيد الله بن الحبحاب (116-123هـ/ 734-741م) إلى تجديد دار الصناعة فيها، لتكون ملاذ العابرين من الأندلس، ومجاز الذاهبين إلى الأندلس[6] في السنوات اللاحقة.

11. **طبرقة**: مدينة بحرية مشهورة في المغرب العربي؛ على الرغم من قلة العمارة فيها[7]، إلا أنها كانت مرسى مشهوراً للمراكب، بسبب ورود مراكب وسفن التجّار من بلاد الأندلس إليها ونزولهم بها[8].

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 73؛ الحميري، الروض المعطار، ص143.

2- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص88؛ الحميري، الروض المعطار، ص143.

3- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية، ص88.

4- البكري، المسالك والممالك: 2/ 212-213.

5- البكري، المسالك والممالك: 2/ 215.

6- الحميري، الروض المعطار، ص143.

7- الحميري، الروض المعطار، ص387.

8- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 74؛ الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمموديني الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: 1994): 1/ 289.

12. **مرسى الخرز**: مدينة في المغرب العربي على الساحل، فيها تنشأ السفن والمراكب الحربية، وبها سوق عامرة[1]، وتقع مقابل جزيرة سردينية، مشهورة بالمرجان[2]؛ إذ يقوم التجّار باستئجار أهلها لاستخراجه من قاع البحر[3].

13. **بونه**: يصفها الحميري[4] بأنها "مدينة قديمة من بناء الأول، وبها آثار كثيرة، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر، وعلى فحوصها وقراها"، وتسمّى كذلك مدينة زاوي، وبونة قرية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل، وأكثر لحومها البقر، ويفد إليها التجّار الأندلسيون، وتمتاز بامتلاكها داراً لصناعة السفن والمراكب الحربية[5].

14. **مرسى الدجاج**: مدينة يحيط بها البحر من ثلاثة اتجاهات، وتعدّ من المراسي المشهورة في بلاد المغرب العربي[6]، ويتميز أهلها بامتهان الزراعة، وخاصة الحنطة وسائر الفواكه، ويُحمَل التين منها إلى سائر الأقطار[7].

15. **جزائر بني مزغنا**: من مـدن المغرب العربي القديمة على ضفة البحر الأبيض المتوسط، لها أسواق ومسجد وجامع، ويعدّ مرساها من أشهر الموانئ المأمونة، تقصدها السفن التجارية من إفريقية والأندلس[8]، وأكثر ما تتجهز به تلك السفن العسل والسمن والتين الذي يتوفر بكثرة في تلك المناطق[9].

1- البكري، المسالك والممالك: 2/ 234.
2- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص183؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص143.
3- الحموي، معجم البلدان: 5/ 106.
4- الحميري، الروض المعطار، ص115.
5- البكري، المسالك والممالك: 2/ 233-234.
6- البكري، المسالك والممالك: 2/ 246؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 106.
7- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/ 259.
8- البكري، المسالك والممالك: 2/ 247؛ الحميري، الروض المعطار، ص163.
9- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 76؛ الحميري، الروض المعطار، ص163.

الموانئ المطلة على المحيط الأطلسي:

1. **تنس**: مدينة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، ذكرها ابن حوقل[1] بأنها "أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم، ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها، ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة؛ كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة". من خلال هذا النص، يتبين أن مدينة تنس كانت وجهة التجّار من بلاد الأندلس، وأن تلك التجارات كانت كبيرة ومستمرة (الواردات والصادرات)، بحيث إن ولي الأمر يجبي عنها ضرائب كثيرة. ومن المواد التي يشتريها التجّار الأندلسيون ويحملونها معهم إلى بلادهم القمح الذي تشتهر به[2].

2. **سلا**: مدينة في المغرب الأقصى، يذكرها بعض الباحثين بأنها من المراسي المشهورة خلال المدة بين القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري[3]. لكنْ؛ بعد التدقيق في المصادر الجغرافية والتاريخية تبين أنها مدينة قديمة، ولم تذكر المصادر أن السفن كانت تردها خلال (مدة بحثنا)، وإنما ظهر دورها بوصفها مرسى وميناء تجارياً نشيطاً في القرن السابع الهجري[4].

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 77.

2- ابن سعيد، الجغرافيا، 142.

3- البياتي، بان علي محمد، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال (القرن 3-5هـ/ 9-11م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 2004، ص66.

4- البكري، المسالك والممالك: 2/ 272؛ الحميري، الروض المعطار، ص319، ليون الأفريقي، الحسن بن محمد بن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1983): 1/ 207-208.

3. **فضالة**: من المراسي المشهورة في المغرب العربي على المحيط الأطلسي؛ إذ ترده المراكب والسفن من بلاد الأندلس؛ لتحمل الحنطة والشعير والفول والحمص والأغنام والماعز والبقر[1].

4. **ازيلا**: أو **اصيلا**: من المدن الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي، وتحديداً عند الزقاق[2]، تقع بالقرب من طنجة، قديمة عامرة، فيها الخير الكثير، ولها مرسى، يُقصد إليه، ويتميز بالأمان، لوجود الصخور الطبيعية التي تحمي السفن من الأمواج العاتية للمحيط عند هيجانه، فضلاً عن أن الأسواق فيها تكون جامعة ثلاث مرات في السنة[3].

5. **اسفي**: من المراسي المشهورة في المغرب الأقصى على المحيط الأطلسي، وكان آخر مرسى تصل إليه المراكب من ناحية الغرب بالنسبة إلى المغرب العربي سواء كانت قادمة بلاد المغرب الأدنى والأوسط أو الأندلس في تلك الحقبة[4].

من المفيد أن نوضح أن هذه المعلومات قد أوردناها لإعطاء صورة عن الموانئ والبلدان التي كانت تتاجر مع موانئ بلاد الأندلس، والتي سنعرضها لاحقاً. كما أن تلك الموانئ المغربية لم تكن لتظهر بتلك الشهرة (كموانئ)، لو لم يكن هنالك بلدان تبادلها بنفس النشاط التجاري، وبذلك كان لبلاد المغرب الحظوة أن تكون قريبة من بلاد الأندلس التي اشتهرت بنشاط تجاري واسع وكبير مع بلاد المغرب العربي. وبالتالي؛ فإن هذا النشاط يحتم على موانئ الأندلس تقديم خدمات وتسهيلات تجارية لاحتواء ذلك النشاط القادم من تلك الموانئ والبلدان.

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/ 239-240.

2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 530. **الزقاق**: هو بحر يبلغ طوله اثني عشر ميلاً، يمتد من جزيرة طريف إلى الجزيرة الخضراء، ويمتد؛ ليتسع ما بين طنجة وبلاد الأندلس؛ ليصل امتداده إلى جزر البليار. ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 527؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: ليفي بروفنسال، دار الجيل، (بيروت: 1988)، ص83، 188. والميل: يقدر بـ 1920 متر تقريباً. البلتاجي، النظم والمعاملات، ص492.

3- الحميري، الروض المعطار، ص42. وينظر: البياتي، النشاط التجاري، ص67.

4- الحميري، الروض المعطار، ص57.

الفصل الأول

بلاد الأندلس

الطبيعة الجغرافية لبلاد الأندلس:

تميز الواقع الجغرافي لبلاد الأندلس بمميزات جعلها تنفرد عن باقي البلدان المجاورة لها والبعيدة عنها، من حيث الموقع، واعتدال المناخ، فضلاً عن تنوع تضاريسها، من جبال وأودية وسهول وهضاب، وتنوع الموارد المائية فيها من أمطار وأنهار كبيرة وصغيرة وعيون مائية، أفرد تلك البلاد بوجود نشاط زراعي وصناعي وتجاري واسع، شجّع التجّار من كافة البلدان والأقاليم القدوم إليها لتبادل السلع والتجارة مع أهلها، فالأندلس تقع في الجنوب الغربي من قارة أوربا[1]، ما بين دائرتي عرض (°36 و45-°43) شمالاً وبين خطي الطول (29-°59) غرباً و(15-°3) شرقاً[2]،

1- الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، (بيروت: 2008)، ص31؛ مصطفى، شاكر، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق: 1990)، ص6.

2- كربل، عبد الإله رزوقي ويوسف محمد سلطان وعبد علي حسن الخفاف، جغرافية أوربا والاتحاد السوفيتي، مطابع التعليم العالي، (بغداد: 1989)، ص305.

يفصلها من الشمال عن جنوب فرنسا جبال البرت أو البرتات[1]، ومن الجنوب عن قارة إفريقيا مضيق جبل طارق - إذ يبلغ عرض المضيق من الشرق إلى الغرب ما بين 13-17 كم2 -؛ وتطل سواحلها الشرقية والجنوبية الشرقية على البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط)، وسواحلها الشمالية والشمالية الغربية عند خليج بسكاي، وتقع سواحلها الغربية على المحيط الأطلسي[2].

وقد وصف المؤرخون القدامى الأندلس بأوصاف تكاد تتشابه، فابن عذاري[3] مثلاً يذكر أنها "جزيرة مركنة، ذات ثلاثة أركان، قريبة من شكل المثلث". في حين يحددها جغرافياً ابن كثير والوردي والحميري، بأنها جـزيرة مثلثة الشكل، ركنها الجنوبي الغربي عند جزيرة قادس في بحر الزقاق، وركن شرقي بين مدينة طركونة وبرشلونة، والركن الثالث شمالي بميلة إلى الغرب على المحيط الأطلسي[4].

ووصفها المقَّري[5] برواية ابن سعيد بأنها "جزيرة قد أحدقت بها البحار".

1- الحجي، التاريخ الأندلسي، ص31.

2- الرازي، صفة الأندلس، ص62؛ ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي، وأردفه بالروايات والفهارس: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، (بيروت: 1912)، ص63؛ المراكشي، عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضه، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، (القاهرة: 1963)، ص27-28؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 1.

3- البيان المغرب: 2/ 1. ويذكر ياقوت الحموي إذا أطلق لفظ الجزيرة من قبل أهل الأندلس، يقصدون بها الجزر الثلاث ميورقة ومنورقة واليابسة. معجم البلدان: 2/ 139.

4- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن علي بن محمود، تقويم البلدان، تح: م. رينود والبارون ماك غوكين ديسلان، دراسة وتقديم: المستشرق: أغناطيوس كراتشكوفسكي، دار ومكتبة بيبلون، (لبنان: 2009) ص165؛ الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي فوارس أبو حفص، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان عقد درر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (مصر: 1341هـ)، ص16.

5- المقّري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت: 1968): 1/ 205.

ومن هذا التحديد الجغرافي لبلاد الأندلس يتبين لنا أن موقعها الجغرافي هو الذي جعلها محط أنظار أوربا وأفريقيا في مختلف المجالات السياسية منها والحضارية، فضلاً عن أنها كانت حلقة الوصل بين بلاد العرب والمسلمين، من جهة، وبلاد أوربا، من جهة أخرى، وقد ساهم ذلك - بلا شك - على ضرورة تحملها تلك المهمة من خلال تقديم كافة الخدمات والتسهيلات التجارية لذلك.

وأعطى الموقع الجغرافي الذي بيناه سابقاً مع سعة مساحة شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)، والتي تبلغ حوالي (580 ألف كم2) سمة التنوع المناخي لتلك البلاد[1].

المناخ:

وُصفت تلك المميزات المناخية التي تـوفرت في بلاد الأندلس من قبل العديد من المؤرخين، فالبكري[2] يقول "والأنـدلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها"، ويصفها المقّري[3] برواية أبي عامر السالمي "الأندلس من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواء وتراباً وأعذبها ماء، وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً، وهو أوسط الأقاليم".

وكان للبحر الأبيض المتوسط تأثيرٌ كبيرٌ على مناخ بلاد الأندلس، وهذا الأمر أكده المسعودي[4]؛ إذ قال "إن كان البحر من البلد في ناحية الجنوب، فإن ذلك البلد يسخن ويرطب، وإن كان في ناحية الشمال، كان ذلك البلد أبرد".

1- الجوهري، يسري، جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف، (الإسكندرية: 1984)، ص53.
2- المسالك والممالك: 2/ 383.
3- نفح الطيب: 1/ 126.
4- المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، (بيروت: 2005): 4/ 68.

وعلى ذلك، فقد طاب المقام للعرب المسلمين في بلاد الأندلس بوجود ذلك المناخ وتنوعه، فعملوا على استثماره بشكل كبير.

ولهذا، فإن الموقع الجغرافي لبلاد الأندلس جعلها تحت تأثير مناخين:

أولاً: مناخ الساحل الغربي: يؤثر هذا المناخ على المناطق الشمالية من الأندلس، ويتميز باعتدال الحرارة طوال السنة، فالشتاء يكون أدفأ نسبياً من المناطق الجنوبية ً، بينما الصيف معتدل أقرب إلى البرودة، وتستمر الأمطار على طوال السنة على شكل رذاذ وأمطار هادئة[1].

ثانياً: مناخ البحر الأبيض المتوسط: يسود هذا المناخ أغلب بلاد الأندلس، كونها تطل على البحر الأبيض المتوسط، ويتميز بهطول الأمطار على السهول، والثلوج على الجبال في فصل الشتاء، وجفاف في فصل الصيف، كما أن الجليد الساقط على قمم الجبال كان له أهمية كبرى، ولا سيما عند المزارعين من خلال الاستفادة منه في ري المزارع عند ذوبانه[2]. للاطلاع على سهول بلاد الأندلس ينظر الخارطة رقم (2).

كما يؤثر هذا المناخ على الموانئ الأندلسية؛ إذ يندر وجود الثلوج على السواحل[3]. للاطلاع على أشهر موانئ بلاد الأندلس ينظر الخارطة رقم (3).

وعدم تعرض السواحل الأندلسية إلى العواصف الثلجية يجعل تلك السواحل مفتوحة أمام السفن طيلة أيام السنة.

1- أحمد، حسن عبد العزيز، جغرافية أوربا، دار المريخ، (الرياض: 1982)، ص50 و53-54؛ القيسي، بيداء محمود حسن حميد، الزراعة والري في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 2005، ص34.

2- كندرو W.G. KENDREW، مناخ القارات، تر: حسن طه النجم وعلي محمد المياح وحسن عليوي الخياط، مطبعة الحكومة، (بغداد: 1967): 2/ 72-73.

3- كندرو، مناخ القارات: 2/ 101.

وتتميز شهور الصيف في هذا المناخ بدرجات الحرارة العالية - باستثناء المناطق المطلة على الساحل؛ إذ يصل معدل درجة الحرارة في شهر تموز بين 21 و29 درجة مئوية-، وتتميز فصول الشتاء بالاعتدال ودفء الجو، وبذلك تكون المنطقة خالية من الصقيع، مما يؤدي إلى ازدهار زراعة الحمضيات في هذا المناخ[1].

ولهذا كان لحوض البحر الأبيض المتوسط تأثيرٌ مباشرٌ على الأندلس، فالواقع الجغرافي له أظهر وجود مسارات متعددة للرياح خدمت حركة الملاحة، وبما أن البحارة بصورة عامة والمسلمين بشكل خاص عرفوا خواص الرياح، منها الرياح الموسمية الهابة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي شتاءً، وسموها بالصبا، والتي تهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي صيفا بالدبور[2].

وأوجز الشاعر تلك المعرفة ببيتين من الشعر[3]:

مَهَبُّ الصَّبا من مَطلعِ الشمسِ مائلٌ
إلى الجَدي والشمال حتى مغيبها
وبين سهيل والمغيب تحققت
دبورا ومطلعها إليه جنوبها

1- أحمد، جغرافية أوربا، ص55-56؛ المطري، السيد خالد، جغرافية القارات، الدار السعودية للنشر والتوزيع، (المملكة العربية السعودية: 1998)، ص138؛ حسن، محمد إبراهيم، دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، (الإسكندرية: 1999)، ص45؛ كولان، ج.س، الأندلس، تر: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري، (القاهرة: 1980)، ص64.

2- الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ضبطه وخرّج آياته، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1996)، ص315؛ عبد العليم، أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت: 1979)، ص159.

3- عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، ص159.

كما استفاد العرب المسلمون من تلك المعرفة بهبوب الرياح، في حركة تنقلاتهم البحرية[1]، في حوض البحر الأبيض المتوسط، فكانت الرياح متنوعة، وحسب الفصول، وكالآتي:

1. **فصل الصيف:**

تكون الرياح في حوض البحر الأبيض المتوسط كالآتي:

أ. **مناطق غرب البحر الأبيض المتوسط:**

- تكون الرياح شمال جزر البليار (ميورقة - مينورقة - اليابسة) شمالية غربية وشمالية[2].

- تكون الرياح جنوب جزر البليار (ميورقة - مينورقة - اليابسة) شمالية شرقية وشرقية[3].

- تكون الرياح ضمن منطقة جبل طارق شرقية[4].

وكان لهذا التنوع في اتجاه الرياح دور كبير في تنظيم حركة السفن والمراكب عند سواحل الأندلس الشرقية، فالبحارة كانوا يستغلون تلك الرياح للتنقل من تلك الجزر إلى موانئ الأندلس، ولا سيما ميناء المرية، وبالعكس، وهذا بالتالي يؤدي إلى ضرورة توفير مجموعة من الخدمات والتسهيلات لمرور تلك السفن والمراكب وأماكن لرسو تلك المراكب. للاطلاع على ميناء المرية، ينظر الخارطة رقم(3) ورقم(4).

1- عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، ص158-159.

2- كندرو، مناخ القارات، ص74.

3- مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية الجغرافيين في الأندلس، ط2، المطبعة الفنية، (القاهرة: 1986)، ص104-105؛ كندرو، مناخ القارات، ص74.

4- كندرو، مناخ القارات، ص74.

ب. مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط:

تتأثر مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط بالرياح الشمالية الغربية والشمالية التي تهب على قارة آسيا[1]، ويكون تأثيرها على النحو الآتي:

- تكون هذه الرياح غربية وجنوبية غربية على سواحل بلاد الشام، تتميز بالهدوء وثبات الاتجاه[2].

- تتأثر مناطق شمال شرق البحر الأبيض المتوسط بالرياح الشمالية وشمالية شرقية متبعة اتجاه السواحل[3].

- يعمل نسيم البر ونسيم البحر على تعديل الاتجاهات العامة للرياح، وتكون الرياح قوية نهاراً، وضعيفة ليلاً بسبب نسيم البر بدرجة تصل إلى الركود[4].

يعد التنوع في اتجاه الرياح عاملاً أساسياً في تنظيم الرحلات وحركة السفن والمراكب بشكل كبير، في عموم البحر الأبيض المتوسط، فعملت تلك الرياح على قدوم السفن والمراكب من ميناء الإسكندرية مباشرة إلى موانئ الأندلس، فضلاً عن السفن القادمة من موانئ المغرب العربي، وبالعكس.

2. فصل الشتاء:

أما في فصل الشتاء؛ تكون الرياح في حوض البحر الأبيض المتوسط كالآتي:

مما لا شك فيه أن الظروف الجوية في فصل الشتاء تختلف عما هو عليه في فصل الصيف، كما أن الرياح تتأثر بذلك، لا محالة، بسبب وقوع حوض البحر الأبيض المتوسط تحت تأثير الرياح الغربية[5]، التي تتميز بهبوب رياح إعصارية، وأبرز سماتها؛

1- كندرو، مناخ القارات، ص75.

2- كندرو، مناخ القارات، ص75.

3- حسن، دراسات في جغرافية، ص45؛ كندرو، مناخ القارات، ص77.

4- كندرو، مناخ القارات، ص77.

5- حسن، دراسات في جغرافية، ص45.

هبوبها بموازاة الساحل، كما هو في فصل الصيف[1]. وهذا يعطي للسفن والمراكب اطمئناناً كبيراً في الابتعاد عن الساحل، ففي حالة ظهور أي طارئ تكون السواحل خير ملجأ لتلك السفن.

أ. **مناطق غرب البحر الأبيض المتوسط:**

- تكون الرياح غربية في الجنوب وشمالية في الشمال، وشمالية غربية في الغرب، وشمالية شرقية في الشرق[2].

- تسود سواحل الأندلس الشرقية في فصل الشتاء رياح شمالية غربية، وفي بعض الأحيان، تتعرض إلى رياح جنوبية غربية قوية، تبلغ قوة الرياح العاصفة في بعض الأوقات، وقد تؤدي في سقوط أمطار غزيرة مع ارتفاع في الأمواج، وتكون الرياح الهابة على جبل طارق بصورة عامة بين جنوبية غربية وشمالية غربية، مع تكرار هبوب رياح شرقية[3]؛ وقد ذكر المقّري[4] مميزات الرياح الهابة على بلاد الأندلس من حيث هبوط الأمطار، فيقسمها إلى أندلس شرقي وغربي، بالقول: "وذلك أنه مهما استحكمت الريح الغربية، كثر مطر الأندلس الغربي، وقحط الأندلس الشرقي، ومتى استحكمت الريح الشرقية، مطر الأندلس الشرقي، وقحط الغربي".

ولهذا فقد ذكرت المصادر التاريخية الكثير من حالات القحط في بلاد الأندلس، والجدول الآتي يبين تلك الحالات، والتي ظهرت بسبب الواقع الجغرافي الذي يعم الأندلس، وكان لتلك الحالات الدور الإيجابي في ازدياد حركة ونشاط التجارة الأندلسية، وبالتالي ازدياد نشاط الموانئ، والحاجة إلى توفير خدمات وتسهيلات فيها.

1- كندرو، مناخ القارات، ص77.
2- كندرو، مناخ القارات، ص78.
3- كندرو، مناخ القارات، ص79.
4- نفح الطيب: 1/ 132.

جدول حالات القحط في بلاد الأندلس

السنة	حالة القحط في الأندلس
199هـ/ 814م [1]	"وفي ســنة 199 ، كانت المجاعة التي عمت الأندلس ؛ ومات أكثر الخلق جهداً"
207هـ/ 822م [2]	"وفيها كان بالأندلس مجاعة شديدة، وذهب فيها خلق كثير"
232هـ/ 846م [3]	"وفيها كان القحط ا لذي عم الأ ندلس، فهلكت المواشي، واحتر قت الكروم، وكثر=== ===الجراد ، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة"
253هـ/ 867م [4]	"واشتد امر القحط في هذه السنة"
254هـ/ 868م [5]	"وفيها اشتد القحط ، واستولى المحل"
260هـ/ 873م [6]	"وكانت سنة لم يزرع فيها بالأندلس حبة"
274هـ/ 887م [7]	"وفي هذه السنة ، كان القحط الشديد بالأندلس"
285هـ/ 898م [8]	"كانت بالأندلس الشدة التي عمّتها المجاعة"

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 73 .
2- ابن الأثير، الكامل: 5/ 383 . وينظر: ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي، المقتبس من أنباء أهـل الأندلس، تحـقيق: محمود علي مكي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت : 1973) ، ص93 .
3- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص1 . وينظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيبي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2004): 23/ 225 .
4- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص321 . وينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 100 .
5- ابن حيان، المقتبس، تح : مكي، ص324 .
6- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الأندلس، تح : أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين ، (بيروت : 1957)، ص106. وينـظر: ابن حيـان، المقتبس، تح: مكي ، ص172، ص343.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 119 . وينظر: مصطفى ، خزعل ياسين، الكوارث والظواهر الطبيعية بالأندلس وآثارها على المجتمع في عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/ 755-1030م)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، 2009 ، ع54 ، ص317.
8- ابن حيان ، المقتبس في تأريخ رجال الأندلس (القسم الثالث)، اعتنى بنشره: ملشور. م . انطونية، مطبعة بولس كتنر الكتبي ، (باريس : 1937) ، ص127 . وينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 139 .

حالة القحط في الأندلس	السنة
"كانت المجاعة الشــديدة التي عمت الأندلس، ومات بعاديتها أكثر الخلق وعبر كثير منهم البحر إلى أرض العدوة، وهذه السنة تُعرف بسنة جوع جيان"	297هـ/ 909م [1]
"أمحل الناس ، وتوالى القحط، وعمّ ... وغلت الأســعار ، وقلت الميرة في الأســواق ... وكان القحط عاماً شــاملاً بالأندلس وأطرافها وثغورها ؛ وغلت الأسعار في جميع جهاتها"	302هـ/ 914م [2]
"فيها كانت المجاعة بالأندلس التي شبهت بمجاعة سنة ستين [3]، فا شتد الغلاء، وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغاً، لم يكن لهم عهد بمثلها"	303هـ/ 915م [4]
"وكان القحط في هذا العام شديداً، والمحل عاماً"	314هـ/ 926م [5]
"وفيها أمحل الناس واحتبس الغيث ، و نال ضرر ذلك الزرع، وغلت الأسعار، وكلح الزمان"	317هـ/ 929م [6]
"توقف الغيث آخر شهر دجنبر الشمسي بقرطبة وأعمالها ، وقحط الجباب ، فبطل الاحتراث"	329هـ/ 940م [7]
"وفيها ، كان القحط بقرطبة"	335هـ/ 946م [8]
"وفي سنة 353 ، كانت بقرطبة مجاعة عظيمة"	353هـ/ 964م [9]

1- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص146 .
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 166 . وينظر: ابن حيان، المقتبس (الجزء الخامس)، اعتنى بنشره: ب. شالميتا مع: ف . كورنيطي وم . صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة – كلية الآداب بالرباط، (مدريد: 1979)، ص103 .
3- يقصد هنا مجاعة سنة 260هـ/ 873م .
4- ابن حيان، المقتبس، تح : شالميتا، ص109 . وينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 167 .
5- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص205 . وينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 192 .
6- ابن حيان، المقتبس ، تح: شالميتا ، ص250 . وينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 199 .
7- ابن حيان، المقتبس ، تح: شالميتا ، ص476 .
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 214 .
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 236 .

وهـذا الجـدول يوضـح حقيقـة مـا ذهـب إليـه المقّـري، ويؤكـد ذلـك فـي أن العـرب المسـلمين كانـوا علـى درايـة كبيـرة بالواقـع الجغرافـي الـذي تواجـدوا فيـه، فكانـت الحلـول متوفـرة فـي تلـك الحـالات، ولا سـيما مـن خـلال الموانـئ ونشـاطها؛ حيـث وفـرت مختلـف المـواد الغذائيـة، لضمـان مواجهـة حـالات القحط والمجاعة.

ب. مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط:

تباينت الرياح التي تهب على مناطق شرق حوض البحر الأبيض المتوسط[1]، وفق الآتي:

- تكون الرياح غربية في الجنوب، وشمالية على السواحل الشمالية للحوض[2].

- تكون الرياح جنوبية شرقية وشمالية شرقية على سواحل بلاد الشام، وتتميز هذه الرياح بالإعصارية، ومتغيرة الاتجاه والقوة[3]. مما تسبب عرقلة السفر بحراً، والتي بلا شك تؤدي إلى تدمير السفن وغرقها في حالة سفرها.

كما تتأثر مناطق جنوب شرق الأندلس في فصل الربيع برياح السموم الحارة القادمة من الصحراء الأفريقية وشبه الجزيرة العربية، والتي تمر على طول البحر الأبيض المتوسط، وتكون حارة وجافة وتحمل معها الغبار والرمال، ويحل محلها بعد يومين أو أكثر، من هبوبها هواء قطبي بارد نسبياً[4].

والغاية من عرضنا لحركة الرياح في مناطق شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط، هو بيان حركة الرياح، والتي بسببها كانت السفن والمراكب تتحرك بحرية فيه، فضلاً عن أن تلك الرياح قد وفّرت حركة تجارية شاملة على كافة مناطق البحر

1- كندرو، مناخ القارات، ص79.
2- كندرو، مناخ القارات، ص79.
3- كندرو، مناخ القارات، ص79.
4- كندرو، مناخ القارات، ص87-88.

الأبيض المتوسط بدءاً من بلاد الشام وصولاً إلى بلاد الأندلس، متخذة تلك الحركة كافة الاتجاهات سواء الشمالية أم الجنوبية.

كما ساعد تنوع المناخ هذا إلى التنوع الكبير في المنتجات الزراعية التي ظهرت في بلاد الأندلس، والتي سنبينها لاحقاً، فكان خلو البلاد من الصقيع سبباً في ظهور زراعة الحمضيات فيه.

التضاريس الأرضية:

وأما التضاريس الأرضية؛ فقد عرفت بلاد الأندلس بتنوع طبيعة الأرض من سهلية توزعت بين الساحل الشرقي ووسط الأندلس وغربه[1] -، وجبلية ووديان وهضاب في داخله، وكما سنعرضه:

أولاً: الجبال:

يذكر صاحب تاريخ الأندلس أن في الأندلس سبعة وثمانين جبلاً[2]، أبرزها:

1. **جبل البرت أو البرتات**: وتسمى اطريجرش[3]، والإفرنج يسمّونه رنشفالة[4]، يمتد هذا الجبل من مدينة طرطوشة على البحر الأبيض المتوسط، فاصلاً بين بلاد الأندلس وبلاد الإفرنج متجهاً إلى المحيط الأطلسي[5]. يتميز بوجود أشجار الصنوبر فيه، فضلاً عن أنه كان غنياً بمختلف المعادن[6].

1- الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، ص54058.

2- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، ط2، دار الكتب العلمية، (لبنان: 2009)، ص45.

3- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، د.ن)، ص80.

4- مؤنس، تاريخ الجغرافية الجغرافيين، ص64.

5- البكري، المسالك والممالك: 2/ 284؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص180.

6- الزهري، الجعرافية، ص80.

ويعد حاجزاً طبيعياً بين شبه جزيرة ايبيريا وفرنسا أو بلاد غاليا، كما كانت تسمّى.

2. **جبل الشارات**: ويسميه ابن سعيد[1] جبل الشاره، ويصفه بالقول "جبل الشاره الكبير الذي يقسم الأندلس نصفين"، ويقع شمال مدينة قورية وتطيلة، ومنه ينزل نهر تاجه ونهر شوكر[2].

3. **جبل تاج العروس**: ويسميه صاحب تاريخ الأندلس جبل قرطبة[3]، وهو الجبل الموجود على طرف قرطبة[4]، ويمتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط عند ساحل بلنسية إلى المحيط الأطلسي عند مدينة باجة واكشونبة[5]، وهو الوحيد الذي تسمى باسم عربي؛ إذ لا يوجد جبل "يسمّى باسم عربي غير هذا الجبل"[6] ويسمّى – اليوم – بـ سييراموريبا[7].

4. **جبل البيرة أو الثلج**: ويسمّى أيضاً جبل شلير[8]، وهو من الجبال المتصلة المشهورة في الأندلس، يبدأ من ساحل المنكب، وينتهي إلى الجزيرة الخضراء، يبعد عن غرناطة عشرة أميال، ويتصل بالبحر الأبيض المتوسط، ويسمى بجبل الثلج؛ لأن

1- ابن سعيد، الجغرافيا، ص178. وينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 536؛ دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة: وزارة المعارف العمومية محمد أحمد جاد المولى بك، مادة أندلس، مج3، ص39.

2- ابن سعيد، الجغرافيا، ص179-180.

3- مجهول، تاريخ الأندلس، ص45.

4- الحميري، الروض المعطار، ص456.

5- مجهول، تاريخ الأندلس، ص45-46؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص64.

6- الزهري، الجعرافية، ص86-87.

7- فليح، رعد حسن، الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1984، ص21.

8- الزهري، الجعرافية، ص93؛ العمري، أحمد بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، (أبو ظبي: 2002): 4/ 227؛ المقّري، نفح الطيب: 1/ 177؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية الجغرافيين، ص64.

الثلج لا يغادر قمته طيلة أيام السنة[1]. فيه عيون ماء كثيرة وأشجار متنوعة كالتين والأعناب والخوخ والبلوط وغيرها، فضلاً عن أعشاب تستعمل في الأدوية[2]، وبالإمكان مشاهدة هذا الجبل من بلاد المغرب العربي، وفيه من أصناف الفواكه الكثير[3].

5. **جبل الاثمد**: وهو جبل، يلي جبل شلير في الشمال، يتصل بأطراف جبل ابلة[4].

6. **جبل أندة**: وهو من الجبال المشهورة في أندة؛ حيث يوجد القسط الطيب المر المذاق، وهو بين حصن قاشتروا ومارتش[5]، ضمن كور بلنسية[6].

-7 **جبل فاره**: وهو الجبل الذي يعلو مدينة مالقة[7].

8. **جبل شقورة**: وهو جبل عظيم، يقع عند مدينة شقورة، كثير الأشجار والثمار، وينبت فيه الورد الذكي العطر والسنبل الرومي الطيب[8]، كما تكثر فيه الماشية، ويحتضن حوالي ثلاثمائة من "القرى والمعاقل والحصون المانعة"[9]، ومنه يخرج نهران الأول، يصب بالوادي الكبير، والآخر نهر يسـمى بياض أو النهر الأبيض، ينبع من الجبل من منطقة تسمّى بـ فج يامور، مياهه كثيرة؛ بحيث تعمل عليه خمسة أحجار من الطواحين[10].

1- الرازي، صفة الأندلس، ص66؛ البكري، المسالك والممالك: 2/ 284.
2- الرازي، صفة الأندلس، 66؛ العمري، مسالك الأبصار: 4/ 228.
3- البكري، المسالك والممالك: 2/ 284؛ الزهري، الجعرافية، 94.
4- الزهري، الجعرافية، ص96.
5- البكري، المسالك والممالك: 2/ 385
6- الحميري، الروض المعطار، ص41.
7- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 570.
8- الحميري، الروض المعطار، ص349؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص68.
9- الزهري، الجعرافية، ص98.
10-الزهري، الجعرافية، ص98-99؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 561.

9. **جبل الشرف**: جبل مشهور في الأندلس، أحمر التراب، دائم الخضرة، لكثرة أشجار الزيتون فيه، فضلاً عن أنواع كثيرة من الأشجار[1]، ويحتضن ثمانية آلاف قرية عامرة، وسُمِّي كذلك؛ لأنه مشرف على مدينة إشبيلية من جنوبها إلى شمالها، وتبعد عنه ثلاثة أميال[2].

10. **جبل الفتح**: ويسمّى بجبل طارق، وهو الجبل الذي نزل به القائد طارق بن زياد عند عبوره من بلاد المغرب العربي إلى الأندلس لفتحها سنة (92هـ/ 711م)[3]، ويصفه العمري[4] بأنه "طود شامخ يخرج في بحر الزقاق ستة أميال"، ومنه يحمل خشب الأرز الذي تنشأ منه الأساطيل[5].

11. **جبل الجنة**: يقع بالقرب من مدينة شلب، يتميز بوفرة المزارع والمروج والأنهار الجارية، والظلال الوفيرة، وينتج منه العسل بكثرة[6].

وبذلك كانت أهمية تلك الجبال تأتي من حيث تنوع مواردها، فهي احتوت على الكثير من أشجار الصنوبر التي استخدمت في صناعة السفن والمراكب، فضلاً عن وجود الكثير من الأشجار التي نبتت في تلك الجبال كالتين والأعناب والخوخ والبلوط؛ بحيث إن بلاد الأندلس كانت تصدر أكثر ما أنتجته تلك الأشجار، كما أن أكثر مصادر المياه التي كوّنت الأنهار كانت تنبع من تلك الجبال.

1- الرازي، صفة الأندلس، ص93؛ البكري، المسالك والممالك: 2/ 391.
2- الحميري، الروض المعطار، ص339-340.
3- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، رحمهم الله، والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري / القاهرة - دار الكتاب اللبناني / بيروت، (القاهرة: 1989)، ص17.
4- مسالك الأبصار: 4235.
5- ابن سعيد، الجغرافيا، ص139.
6- مجهول، تاريخ الأندلس، ص101.

ثانياً: الأودية:

1. **وادي المرية**: واد مشـهور في الأندلس، تقع عليه مدينة المرية، يبلغ طوله أربعون ميلاً، مزروع بالبساتين [1].

2. **الوادي الكبير**: من الأودية الكبيرة ينزل من جبال البرتات، ماراً بمدينة سرقسطة، ثم إلى تطيلة ماراً في قرطبة وإشبيلية، وما يميز هذا النهر وجود الذهب[2]، ويعدّ من الأودية الكبيرة في الأندلس؛ إذ تعيش فيه الأسماك والحيتان، فضلاً عن سهولة مرور السفن فيه[3].

3. **وادي يانه**: يقع بالقرب من جبل شلير أو جبل الثلج، وهو واد كبير؛ بحيث تجري فيه المياه التي يعمل عليها ثمانية أحجار طحن، فضلاً عن وجود الحيتان الكبيرة فيه، ويتصل هذا الوادي بالوادي الكبير[4].

4. **وادي لاردة**[5]: وهو الوادي الذي تجري فيه مياه نهر، يسمّى شيقر، وتلتقط منه برادة الذهب الخالص[6].

5. **وادي اش**: يقع ضمن إقليم البيرة[7]، جوار مدينة اش في الأندلس، تجتمع فيه مياه الأمطار، فضلاً عن أنه يجري بالمياه النازلة من جبل شلير أو جبل الثلج، فتنتفع به القرى بوضع الأرحاء على الحافات[8].

1- المقّري، نفح الطيب: 1/ 163.

2- الزهري، الجعرافية، ص82، 86، 88؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 554.

3- الزهري، الجعرافية، ص88-89.

4- الزهري، الجعرافية، ص97؛ أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت: د.ن): 1/ 28.

5- لاردة: مدينة قديمة، تقع في الجزء الشرقي من بلاد الأندلس، أراضيها خصبة، وفيها البساتين الكثيرة، ومنها يصدّر الكتان إلى جميع بلاد الأندلس. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص168.

6- الزهري، الجعرافية، ص82؛ الحميري، الروض المعطار، ص507.

7- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 537.

8- الحميري، الروض المعطار، ص604.

6. **وادي لكة**: وهو الوادي النــازل من جبال تاكرونة ماراً بمدينة شذونة[1]، نازلًا إلى قادس[2].

7. **وادي شنيل**[3]: أو وادي نهر حدروا[4]، وهو الوادي الذي يجري فيه نهر حدروا الذي يشقّ مدينة غرناطة [5]، قادماً من جبل الثلج[6]، فيه أنواع كثيرة من الثمار، فضلاً عن المزارع الكثيرة [7].

8. **وادي العسل**: يقع بجوار الجزيرة الخضراء، وينتهي مهبطه إلى البحر الأبيض المتوسط غرب الجزيرة، فمنه تدخل السفن إلى الجزيرة، وفيه الكثير من البساتين، ومنه يأخذ أهل الجزيرة ماءهم للشرب[8].

9. **وادي إبرة**: وهو واد كبير، قريب من بلنسية، يجري فيه نهر، سمّي باسم الوادي، وينتهي بالبحر الأبيض المتوسط[9].

فضلاً عما ذكرناه، هنالك العديد من الأودية، ففي مدينة مالقة، واد، يجري فيه الماء في فصل الشتاء[10]؛ كما يذكر المقدسي أن في جيان الكثير من الأودية التي تنبت

1- الزهري، الجعرافية، ص140.

2- الزهري، الجعرافية، ص89. للاطلاع على قادس، ينظر الخارطة رقم (5).

3- الزهري، الجعرافية، 140؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 569.

4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 569.

5- المقّري، نفح الطيب: 1/ 177.

6- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 569.

7- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص189.

8- الحميري، الروض المعطار، ص223.

9- الرشاطي، أبو محمد وابن خراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تح: ايمليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، (مدريد: 1990)، ص149.

10-الحميري، الروض المعطار، ص517.

فيها الأشجار وثمار الزيتون، فضلاً عن وجود الأرحية[1]. ومعلوم أن الأرحية لا تكون إلا على المياه الجارية والعميقة نسبياً.

وكان لوجود الأودية في بلاد الأندلس أهمية كبيرة في النشاط الاقتصادي فيها، فهي كانت حوض لأنهار تلك البلاد، فضلاً عن ذلك وجود الأسماك فيها، كما أن الكثير من المراكب كانت تسير فيها؛ فضلاً عن احتوائها على الكثير من الأرحية المستخدمة في طحن الحبوب.

ثالثا: السهول:

تمتاز بلاد الأندلس بوجود الأراضي السهلية التي ساعدت على انتشار الزراعة فيها بشكل واسع، فضلاً عن وجود الموانئ والمراسي، وأشهرها:

1. **سهول قرطبة**: تمتاز مدينة قرطبة عن بقية مدن الأندلس بكثرة سهولها؛ إذ تبلغ عدد أرباضها التي تحيط بها واحداً وعشرين ربضاً[2].

2. **سهل إشبيلية**: ما يميز إشبيلية أن أصل تسميتها المدينة المنبسطة[3]، ولها إقليم، يسمّى إقليم الشرف، مسافته أربعون ميلاً، يمشي بها المسافر في ظل أشجار الزيتون والتين[4].

3. **سهل مدينة قسطلة**: ذكر المقدسي أن قسطلة منطقة سهلية تكثر فيها الأشجار والزيتون، والكروم، ويشرب أهلها من الآبار، ويسقون بساتينهم بالسواقي[5].

1- أحسن التقاسيم، ص188-189.
2- مجهول، تاريخ الأندلس، ص76.
3- البكري، المسالك والممالك: 2/ 390.
4- المقّري، نفح الطيب: 1/ 159.
5- أحسن التقاسيم، ص188.

4. **سهل مدينة شوذر**: تبعد مدينة شوذر عن قرطبة ثمانية عشر ميلاً، تقع في منطقة سهلية تكثر أشجار الزيتون، وهي كثيرة العيون، وعليها يعتمد السكان في زراعتهم وشربهم[1].

5. **سهل غرناطة**: من السهول المشهورة فيه البساتين والكثير من المزارع[2].

كما وأن هنالك بعض المناطق السهلية التي تقع على الأودية، والتي ذكرها المقدسي كـ وادي عبد الله الذي يبعد عن قرطبة أربعين ميلاً، ووصفه بأنه سهل ذو مزارع وأنهار وأشجار[3].

وساعد وجود تلك السهول على ظهور الشواطئ الساحلية المميزة، التي امتازت بكثرة التعرجات التي تصلح أن تكون موانئ ومراسي جيدة[4]. مع ميزة وجود الخلجان العميقة على أطرافها[5]، والتي سهّلت عملية مرور السفن الكبيرة واستقرارها فيها، وتؤمنها من العواصف الهابة.

كما لا ننسَ أن وجود الشعب المرجانية والصخور المتوفرة على سواحل بلاد الأندلس، ولا سيما الشرقية، والتي ساعدت على بناء الأسوار والحصون الدفاعية، فضلاً عن وجود الخلجان والخدود الأرضية دورٌ كبير في ظهور موانئ آمنة بعيدة عن التيارات البحرية والعواصف والأمواج العالية، والتي إذا ما هبّت، فستدمر السفن والمراكب الراسية[6].

1- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص188.
2- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص189.
3- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص188.
4- كربل وآخرون، جغرافية أوربا، ص305.
5- حسن، دراسات في جغرافية أوربا، ص43.
6- مصطفى، خزعل ياسين، الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية عصري الإمارة والخلافة، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، 2011، مج18، ع1، ص65.

السواحل الأندلسية:

تنقسم السواحل في بلاد الأندلس إلى سواحل غربية وسواحل شرقية وسواحل جنوبية شرقية وسواحل داخلية وسواحل في أقصى الجنوب، فضلاً عن سواحل الجزر الأندلسية، والتي ظهر عليها العديد من الموانئ والمراسي، وكالآتي:

اولاً: السواحل الغربية:

تمتد هذه السواحل على المحيط الأطلسي، من مصب نهر أنه حتى رأس طريف، تتميز بأنها سواحل منخفضة ورملية[1]. وظهر فيها العديد من الموانئ المشهورة، وهي:

1. **ميناء شلطيش:** موجود في جزيرة شلطيش القريبة من مدينة لبلة[2]، ويعدّ مرفأ جيد للسفن، ترسو فيه السفن في كل أوقات هبوب الرياح، وهو كثير السفن[3]، وفيه توجد صناعة الحديد الذي تصنع منه مراسي السفن والمراكب[4].

2. **ميناء شنت مارية:** يقع في مدينة شنت مارية (شنتمرية) على المحيط الأطلسي[5]، بالقرب من مدينة شلب، وهي مدينة كثيرة الأعناب والتين، وفيها دار لصناعة السفن، وينبت بالقرب منها شجر الصنوبر، وإليه تأتي المراكب صادرة تارة وواردة تارة أخرى[6].

1- حتاملة، محمد عبده، ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، وزارة الثقافة، (الاردن: 1996)، ص57.

2- لبلة: مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس، لها سور منيع، ويدخلها نهر قادم من الجبل، كثيرة الأسواق والتجارات، وتبعد عن المحيط الأطلسي ستة أميال. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص169.

3- الحميري، الروض المعطار، ص344.

4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 542؛ محمود، منى حسن، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، (القاهرة: 1986)، ص209.

5- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 543.

6- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 543؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 543، 553.

3. **ميناء قصر أبي دانس**: من الموانئ المشهورة في غرب الأندلس، وفيه كانت تصنع المراكب والسفن، وكان مقراً للبحريين الذين يحمون الساحل الغربي، وكان مجهّزاً بالرجال البحريين وصنوف المترجّلين، كما كان مزوّداً بأصناف الأقوات والأطعمة والعُدد، والأسلحة[1].

4. **ميناء القصر**: يقع في مدينة القصر الواقعة غرب الأندلس ويبعد عن مدينة شلب أربعة مراحل، وهذا الميناء يقع على ضفة النهر الذي يمر بالمدينة (مدينة القصر)، وتصعد إليه السفن، ويبعد عن البحر عشرين ميلاً[2].

5. **ميناء لشبونة**: يقع على مدينة لشبونة الواقعة غرب الأندلس، على نهر طليطلة[3]، ومن هذا الميناء كانت تخرج السفن التي تبحث عن ما وراء المحيط الأطلسي؛ كما يذكر الشريف الإدريسي[4] أن من مدينة لشبونة "كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات؛ ليعرفوا ما فيه، وإلى أين انتهاؤه".

6. **ميناء شنترين**: يقع ضمن كورة باجة، وعلى نهرها، بالقرب من مصبّه في المحيط الأطلسي[5].

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 295؛ لومبار، موريس، الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5 هـ (8-11م)، ط3، تر: اسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، (المغرب: 1990)، ص348.

2- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص161.

3- طليطلة: مدينة قديمة منيعة كبيرة، ليس في الأندلس أمنع منها، كانت عاصمة بلاد الأندلس قبل الفتح، ويتصف أهلها بأنهم كثيرو المخالفة، وهم خليط بين العرب والبربر والموالي. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص194؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص130.

4- نزهة المشتاق: 2/ 547-548. وينظر: ابن الوردي، خريدة العجائب، ص18.

5- الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص88.

ثانياً: السواحل الشرقية:

إمتازت السواحل الشرقية بأنها سواحل رملية منخفضة وواسعة، تكثر فيها الخلجان الساحلية والشطوط، وتمتد من ميناء قرطاجنة إلى ميناء طركونة[1]. وظهرت عليها موانئ عديدة، أهمها:

1. **ميناء طركونة**: يقع هذا الميناء في مدينة طركونة القديمة البناء، والتي تعدّ إحدى موانئ الأندلس الشرقية[2]، ويصفها الشريف الإدريسي بأنها "مدينة حسنة... ولها مرسى حسن"[3]، وهي آخر مدن الأندلس[4]، وتقع بين طرطوشة وبرشلونة[5].

2. **ميناء طرطوشة**: يقع في مدينة طرطوشة التي تتصل بأعمال بلنسية[6]، وهو من الموانئ المهمة، الذي ينزل به التجار، ويسافرون منه إلى البلدان[7].

3. **مرسى بنشكلة**: بنشكلة، وهي حصن بالأندلس، يقع بالقرب من مدينة طركونة، على ساحل البحر، آهل بالسكان، وله قرى وعمارات، ويقابل المرسى من جهة العدوة في البحر جزائر بني مزغناي[8]. ينظر العدوة الأندلسية والمغربية الشكل رقم (1).

4. **ميناء بلنسية**: عدّ هذا الميناء من موانئ الأندلس المشهورة، ويبعد عن البحر ثلاثة أميال[9]، وتدخل السفن إليه عبر النهر الواصل بينها وبين البحر، فهو مرسى آمن للسفن الداخلة إليه باستمرار[10].

1- حتاملة، ايبيريا، ص61.
2- الرازي، صفة الأندلس، ص73؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 32.
3- نزهة المشتاق: 2/ 734.
4- ابن سعيد، الجغرافيا، ص180.
5- الرازي، صفة الأندلس، ص73؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 32.
6- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص149.
7- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 734؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 30.
8- الحميري، الروض المعطار، ص104.
9- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص118.
10- الحميري، الروض المعطار، ص97.

5. **ميناء دانية**: يقع في مدينة دانية على ساحل البحر الأبيض المتوسط[1] ضمن أعمال بلنسية، ويذكر ياقوت الحموي[2] أن "مرساها عجيب، يسمّى السمان"، وإليه تأتي السفن، وتخرج إلى أقصى المشرق[3]. وأكثر السفن التي تدخله سفن الصيد الصغار والسفن التجارية الصغيرة، والتي غالباً ما تتردد بين دانية وجزر البليار، وبلاد المغرب العربي، لقلّة عمق المياه فيه[4].

وكان العمل في هذا الميناء نشيطاً إلى ما بعد عصري الإمارة والخلافة، بدليل ما ذكره ابن بشكوال[5] عند ترجمته لعبد العزيز بن على الشهروزي؛ إذ قال عنه إنه: "قدم الأندلس سنة ست وعشرين وأربعمائة... ودخل دانية، وركب البحر، منصرفاً منها إلى المشرق".

6. **ميناء لقنت**: وهو من الموانئ المشهورة في الأندلس، يقع على خليج مستطيل الشكل[6]، ومنه تقلع السفن والمراكب بالمسافرين إلى إفريقية[7]، ولا سيما تلك المحمّلة بالحلفاء[8]. وشهرة مدينة لقنت واسعة؛ إذ كانت "تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق"[9].

1- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص138.
2- معجم البلدان: 2/ 434.
3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 557.
4- عنان، محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط2، مكتبة الخانجي، (القاهرة: 1997)، ص147.
5- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى، الصلة، ضبط نصه وعلق عليه: جلال الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2008): 2/ 18.
6- عنان، الآثار الأندلسية، ص148.
7- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، ط2، تح: شوقي ضيف، دار المعارف (مصر: د.ن): 2/ 274.
8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.
9- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.

7. **مرسى شنت بول**: يوجد هذا المرسى في مدينة إلـش الواقعة ضمن كور تدمير، والش مدينة بمستوى الأرض، يشقها خليج[1]، ويبدو أن هذا الخليج هو السبب في ظهور المرسى، كونه أميناً لرسو المراكب والسفن.

8. **مرسى ابلناصة**: مرسى قريب من مدينة لقنت، يتميز بأنه مرسى حسن، استخدمه البحريون، لعمل كمائن لمراكب الأعداء[2].

ثالثاً: السواحل الجنوبية الشرقية:

هي سواحل مرتفعة صخرية ضيقة، تنخفض جوانبها نحو البحر الأبيض المتوسط، وتبدأ بمدينة مربلة فـ مالقة، إلى المنكب، وصولاً إلى ميناء المرية، فقرطاجنة[3]، وهي كالآتي:

1. **ميناء قرطاجنة**: أو قرطاجنة الخلفاء: يقع هذا الميناء ضمن مدينة مرسية التي تبعد عنه أربعين ميلاً، وهو من الموانئ المشهورة؛ إذ ترسو فيه المراكب الكبار والصغار[4].

2. **ميناء بجانة**: من موانئ الأندلس المشهورة قبل ظهور ميناء المرية، ويبعد عنه خمسة أميال[5]، واستمر الميناء في دوره كمكان تجاري مشهور إلى سنة (402هـ/ 1011م) بعد أن انتقل أهلها إلى مدينة المرية، وأهملت بجانة[6].

1- الحميري، الروض المعطار، ص30.
2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.
3- حتاملة، ايبيريا، ص60-61.
4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558-559؛ الحميري، الروض المعطار، ص462.
5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 339؛ الحميري، الروض المعطار، ص80.
6- العذري، أحمد بن عمر بن أنس، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد: 1965)، ص82.

3. **مرسى بَيرة**: يقع في بليدة البيرة الواقعة بين مرسية والمرية، وهو من المراسي التي ترسو فيه السفن[1].

4. **ميناء المرية**: ميناء محدث، يقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي مالقة ومرسية على ساحل بحر الزقاق[2]، بناه الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد (300-350هـ/ 912-961م) سنة (344هـ/ 955م)، ويعدّ من أشهر مراسي الأندلس آنذاك[3]، ويعدّ ساحله من "أنظف السواحل، وأشرحها"[4] فضلاً عن أنه يقع على خليج واسع وعميق، يحمي السفن والمراكب من الرياح[5]. وإليه سفر أهل المشرق والمغرب، من بلاد الإسلام ومن غير بلاد الإسلام[6]. بل إن اقتصاد المدينة كان معتمداً على الصناعات والتجارة البحرية فيه، بشكل كبير[7].

وبما أن أكثر تجارات البلاد، الداخلة والخارجة كانت تجري فيه، فكان بحاجة ماسة إلى ظهور الخدمات والتسهيلات التجارية لاستيعاب الأعداد الكبيرة من الوفود والبضائع.

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 526؛ مؤلف مجهول، الأندلس وما فيه من البلاد، مخطوط محفوظ في مركز المخطوطات، بغداد، تحت رقم 8799/ ف2720، ورقة رقم (2).

2- أبو الفضل، محمد أحمد، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي (منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها) 344-484هـ/ 955-1091م، تصدير: السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر: 1981)، ص27.

3- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 110؛ الحميري، الروض المعطار، ص537؛ طويل، مريم قاسم، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، مكتبة الوحدة العربية - دار الكتب العلمية، (بيروت: 1994)، ص20؛ العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الناشر محمد أحمد بسيوني، (الإسكندرية: 1968)، ص296.

4- المقّري، نفح الطيب: 3/ 219.

5- أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص28-29.

6- الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص59.

7- كونستبل، أوليفيا ريمي، التجارة والتجّار في الأندلس، تعريب: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، (المملكة العربية السعودية: 2002)، ص56.

5. **مرسى المنكب**: وهو المرسى الذي نزل فيه عبد الرحمن الداخل عند عبوره من بلاد المغرب العربي إلى الأندلس سنة (138هـ/ 755م)، وهو من المراسي الصيفية، والمنكب مدينة حسنة متوسطة كثيرة مصائد السمك[1].

6. **مرسى بالش**: أو بلش، ويقع في مدينة بلش، وتسمّى أيضاً بـ مرية بلش، وهي من أعمال كورة رية، ويقع على ضفة النهر المار بالمدينة، وترسو عليه السفن، وتبحر إلى البحر متجه إلى بلاد المغرب العربي[2]، ويمتاز بأنه ينزل عبر النهر إلى البحر ماراً بمجموعة أودية، تنتهي بالبحر، جعلت من رسو السفن فيه مأموناً، ويبعد هذا المرسى عن ميناء لقنت سبعة وخمسين ميلاً[3]. فكانت تلك الأودية بمثابة خلجان أمنت وجود المراكب والسفن من الأخطار التي قد تواجهها أثناء رسوها فيه، ولا سيما من الريح.

7. **ميناء مالقة**: يقع في مدينة مالقة الساحلية[4]، ضمن أعمال كورة رية[5]، ويصف الرازي[6] مرساها بأنه "من أحسن المراسي للجواز" إلى بلاد المغرب العربي، وساحله محط تجارة لمراكب المسلمين والنصارى[7]، وكانت تصل إليه السفن والمراكب التي كانت تريد الذهاب إلى ميناء إشبيلية، فكانت تستقر مدة فيه، ولاسيما

1- الحميري، الروض المعطار، ص548.

2- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 120.

3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.

4- الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص56؛ عوض، عبد الفتاح، إشراقات أندلسية صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (جمهورية مصر العربية: 2007)، ص48.

5- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص161.

6- الرازي، أحمد بن محمد بن موسى، صفة الأندلس، نشرها بالفرنسية: ليفي بروفنسال، مجلة الأندلس، مدريد، 1953م، ع18، ج1، ص98. تحت عنوان:

La Description de L'Espagne, Ahmad al- Razi, Al-andalus, Revesta les estudias Arabes de medrid Granada, XVIII, 1953.

7- الشقندي، إسماعيل أحمد، فضائل الأندلس وأهلها، نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت: 1968)، ص58. وينظر: مجهول، الأندلس وما فيه، ورقة رقم (4).

أوقات هبوب الريح، أو أنها كانت تنتظر قدوم موسم رياح معينة، ثم تستمر في رحلتها باتجاه ميناء جبل طارق، أو ميناء إشبيلية[1].

رابعاً: السواحل الداخلية:

تميزت تلك السواحل بأنها ممتدة نحو المحيط الأطلسي من الشمال إلى الجنوب، وكانت سبباً في وجود موانئ، شكل ظهورها تميزاً على الواقع التجاري والخدمي في بلاد الأندلس، وهي:

1. **ميناء إشبيلية:** يعدّ هذا الميناء من الموانئ الداخلية المشهورة في الأندلس، وأحد أفضل موانئ الأندلس الذي تدخله السفن والمراكب العظيمة[2]، فهو يطل على النهر الأعظم الهابط من قرطبة، ويصعد إليه مد البحر عبر الوادي مسافة اثنين وسبعين ميلاً، ويساعد ذلك في دخول السفن إلى إشبيلية، ومنه إلى الأندلس[3]، ويتجلى ذلك في قول الشاعر[4]:

شقّ النسيم عليه جَيبَ قميصه
فانساب من شَطيَّه يطلب ثاره

فتضاحكت وُرْقُ الحمام بدَوْحها
هُزْءاً فضم من الحياء إزَارَهُ

1- كونستبل، التجارة والتجار، ص58.

2- الرازي، صفة الأندلس، ص93؛ كونستبل، التجارة والتجار، ص61.

3- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص102؛ الشقندي، فضائل الأندلس، ص50؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي فوارس أبو حفص، عجائب البلدان ويليه عجائب النباتات والفواكه والحيوانات، تحقيق: أنور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، (القاهرة: 2011)، ص25.

4- الشقندي، فضائل الأندلس، ص51.

وكانت تردها المراكب والسفن من طنجة وسبتة وبجاية والإسكندرية وجنوة وغيرها من البلدان[1].

2. **قرطبة**: مثلت قرطبة محوراً للمواصلات التجارية في الأندلس، بسبب وجودها على ضفة النهر الكبير، فكانت المراكب تصل إليها تارة هابطة، وتارة صاعدة[2]. وهي من الموانئ الداخلية لعدم وقوعها على ساحل البحر.

3. **مرسى شلب**: يقع هذا المرسى على الوادي الذي توجد عليه مدينة شلب قاعدة كورة اكشونبة[3]، ومنه تحمل المراكب "غلات التين... إلى أقطار الغرب كلها"[4]، ويبعد عن البحر مسافة ثلاثة أميال[5].

خامساً: السواحل الجنوبية:

وظهرت الموانئ في أقصى الجنوب الأندلسي، لتوفر الطبيعة الجغرافية من سواحل وخلجان طبيعية، أسهمت بشكل كبير على ظهورها، وهي:

1. **مرسى الشجرة**: يقع بين جبل طارق والجزيرة الخضراء[6].

2. **ميناء الجزيرة الخضراء**: يقع في مدينة الجزيرة الخضراء المشهورة، ويعدّ هذا الميناء مرفأ للسفن الداخلة والخارجة منه، وإلى المغرب العربي[7]، وهو من

1- عبد البديع، لطفي، الإسلام في إسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: 1958)، ص90؛ طه، عبد الواحد ذنون، إشبيلية في التراث العربي دراسة في نشأة المدينة وفتحها وتوزيع القبائل العربية فيها في العهد الأموي، بحث منشور ضمن كتاب دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، (الجماهيرية العظمى: 2004)، ص120.

2- كونستبل، التجارة والتجار، ص62.

3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 543؛ الحميري، الروض المعطار، ص342.

4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 543.

5- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 543؛ الحميري، الروض المعطار، ص342.

6- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 540.

7- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص121؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 204.

الموانئ الآمنة لرسو السفن والمراكب، كونه يقع داخل الوادي النازل من المدخل الغربي للمدينة[1]، وكانت السفن تغادره إلى بلاد العدوة (المغرب العربي) عند شروق الشمس، فلا تصل مقدار الرمحين إلا ووصلت ميناء سبتة المقابل لها[2]. ينظر الشكل رقم (1) ورقم (3).

3. **مرسى جبل طارق**: من المراسي المشهورة بأمانها من الريح[3]، ووفر ذلك البيئة المناسبة التي كان عليها المرسى من وفرة الأسنة الحجرية والمرجانية التي ساهمت على بناء الأسوار والحصون[4]. ويبدو أن وجود ذلك المرسى كان سبباً في إرساء سفن القائد طارق بن زياد عليه.

4. **ميناء طريف**: يصفه ابن عذاري[5] بأنه "مفتاح الأندلس من العدوة". ينظر الشكل رقم(2).

سادساً: سواحل الجزر الأندلسية:

ولا يمكن إهمال الجزر التابعة لبلاد الأندلس وما فيها من طبيعة جغرافية (سهلية) ممتدة على السواحل، أدت إلى ظهور الموانئ التجارية فيها، وهي:

1. **جزيرة ميورقة**: يبلغ طول الجزيرة أربعين ميلاً، وتعدّ من أخصب البلاد[6]، ويحتوي محيط الجزيرة على خلجان عدة، منها ما يصلح أن تكون موانئ بديعة لإيواء السفن[7]، وتميزت بوجود خمسة موانئ أشبه بالأخدود منخفضة عن أرض الجزيرة،

1- الحميري، الروض المعطار، ص223.
2- العذري، ترصيع الأخبار، 118.
3- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص121.
4- مصطفى، الخدمات والتسهيلات التجارية، ص64.
5- البيان المغرب: 2/ 204.
6- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/ 466.
7- عنان، الآثار الأندلسية، ص124.

وجعلوا عليها أبواباً، ولا تدخل المراكب والزوارق إلى الجزيرة إلا من خلال تلك الأبواب، واليها تأتي المراكب من الأندلس ومن بلاد الشام، لجلب وحمل البضائع والمسافرين[1].

2. **جزيرة منورقة:** وهي جزيرة مستطيلة الشكل، بينها وبين جزيرة ميورقة في البحر خمسون ميلاً[2]، كثيرة الزروع والكرم، منها يجلب النبات المعروف بعشبة هللت التي يعمل بها السحرة[3]، فيها ميناء آمن للسفن، لوقوعه على خليج بشكل القوس، وفي نهايته لسان[4].

3. **جزيرة اليابسة:** جزيرة خصبة، وهي على عكس اسمها[5]، يعدّ مينائها من أقدم موانئ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[6]، وكانت تنشأ فيها أكثر المراكب "لجودة أخشابها"[7].

وبذلك استغل الأندلسيون كافة المواقع الجغرافية، والتي تصلح أن تكون موانئ، فعمدوا على إنشائها أو إصلاحها؛ لتكون موانئ لسفنهم؛ لأنها الوسيلة الوحيدة لاتصالهم بالمناطق التي يحتاجون الاتصال بها، وإقامة المحاريس لحماية السواحل الأندلسية ولحماية السفن البحرية القادمة والمغادرة للبلاد.

كما عمدوا إلى الأراضي الواقعة خارج بلاد الأندلس، وأنشؤوا عليها الموانئ لضمان الحركة التجارية من وإلى الأندلس، فنجد مثلاً موانئ ومراسي للتجّار

1- الزهري، الجعرافية، ص129.
2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/ 469.
3- الزهري، الجعرافية، ص129.
4- عنان، الآثار الأندلسية، ص124.
5- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/ 470.
6- سيسالم، عصام سالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) 89-685هـ/ 708-1287م، دار العلم للملايين، (بيروت: 1984)، ص28.
7- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 424.

الأندلسيين في بلاد المغرب، مثل مرسى الدجاج، الذي يصفه ياقوت الحموي بأنه "مرفأ غير مأمون لضيقه" يسكنه الأندلسيون وقبائل من كتامة[1]، وميناء تنس التي أسسوا مدينتها، وجعلوا فيها مرسى للسفن سنة (262هـ/ 875م)[2].

رابعاً: الأنهار:

تكثر الأنهار في الأندلس، بشكل واضح، فيذكر صاحب تاريخ الأندلس[3] أن فيها "أربعين نهراً (كباراً) "فشكلت تلك الأنهار شبكة من المواصلات النهرية التي اعتمد عليها - بلا شك - التجار، بشكل كبير، ولا سيما تلك التي تصبّ في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، كما احتضنت الأنهار الكبار موانئ داخلية، كما في ميناء إشبيلية وقرطبة[4] ويمكن تقسيمها إلى قسمين، القسم الأول: الأنهار التي تصبّ في البحر الأبيض المتوسط، ويمكن تسميتها بالأنهار الشرقية، والقسم الثاني: الأنهار التي تصبّ في المحيط الأطلسي، ويمكن تسميتها بالأنهار الغربية[5]، وكالآتي: ينظر الخارطة رقم (6).

أ - الأنهار الشرقية:

1. **نهر إبرة:** أو نهر الوادي[6]. يخرج هذا النهر من جبال البرتات، ماراً على سرقسطة[7]، ثم على طرطوشة، فيحيد عنها بنحو ثمانية عشر ميلًا، ثم يصبّ في البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ طوله مائتين وأربع أميال[8].

1- معجم البلدان: 5/ 106.
2- الحميري، الروض المعطار، ص138.
3- مجهول، ص46.
4- الجعماطي، عبد السلام، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2012)، ص137.
5- وعلى ذلك، تقسم بلاد الأندلس إلى قسمين: أندلس شرقي، وأندلس غربي. الرازي، صفة الأندلس، ص61.
6- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص149.
7- الزهري، الجعرافية، ص82.
8- مجهول، تاريخ الأندلس، ص48.

2. **نهر شوكر**: من الأنهار المشهورة في الأندلس، ينبع من جبل الشارات، ويمر على جزيرة سومر المشهورة بالحسن، ويصب في البحر الأبيض المتوسط بين بالونية ودانية[1].

3. **نهر مرسية**: ينحدر هذا النهر من جبل مدينة شقورة[2]، ويتجه شرقاً إلى مرسية، فـ أريولة، ثم يصب في البحر الأبيض المتوسط [3]، وهو في كبره يشبّهونه بنيل مصر، ويُستخدم في سقي المزارع[4]. فكان لوجوده دور كبير في ظهور النشاط الزراعي في البلاد.

ب- الأنهار الغربية:

1. **نهر دويرة**: من أنهار الأندلس المشهورة[5]، يسمّيه العرب الوادي الجوفي[6]، يخرج من جبال البريرة من بلاد جليقية، ماراً بـ بلد الوليد، فـ سمورة، ويصبّ في المحيط الأطلسي، يبلغ طوله سبعمائة وثمانين ميلاً[7].

2. **نهر تاجة**: ينبعث هذا النهر من جبل الشارات[8]، القريب من تطيلة في شرق الأندلس، ويمرّ على أراضي سرقسطة، ماراً على طليطلة[9]، ثم على طلبيرة، فـ انيشة إلى مخاضة البلاط، فـ شنترين، ويصبّ على المحيط الأطلسي عند مدينة اشبونة، ويبلغ طوله خمسمائة وعشرين ميلاً، فهو يشقّ الأندلس من الشرق إلى الغرب[10]،

1- ابن سعيد، الجغرافيا، ص180.
2- الشقندي، فضائل الأندلس، ص58-59.
3- مجهول، تاريخ الأندلس، ص46-47.
4- الحميري، الروض المعطار، ص439.
5- الرازي، صفة الأندلس، ص62.
6- حتاملة، ايبيريا، ص85.
7- الرازي، صفة الأندلس، ص102؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص48-49.
8- الرازي، صفة الأندلس، ص62؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص180.
9- مجهول، حدود العالم، ص44؛ الزهري، الجعرافية، ص140.
10- الرازي، صفة الأندلس، ص103؛ مجهول، حدود العالم، ص44.

ويوصف بأنه من أنهار العالم[1]، ويعدّه صاحب حدود العالم أنه من الأنهار الكبيرة في العالم، التي تدخله السفن[2].

وبذلك فقد عمل هذا النهر على دخول السفن إلى داخل بلاد الأندلس، فضلاً عن أنه كان – وبلا شك – وسيلة لنقل التجارات من داخل الأندلس إلى ميناء لشبونة.

3. **نهر آنة**: أو نهر يانة، ويقع شرقي نهر تاجة؛ حيث المنبع، وهو نهر كبير، يصعد فيه المدّ نحو ستين ميلاً[3] تسمّى باسم قرية آنة القريبة من قلعة رباح؛ إذ يمر بها هذا النهر متوجهاً إلى حصن مدلين، فـ بطليوس[4] وينتهي في المحيط الأطلسي عند مدينة اكشونبة، ويقطع مسافة ثلاثمائة وعشرين ميلاً[5] من منبعه حتى مصبّه.

4. **نهر قرطبة**: أو نهر بيطي، أو النهر الكبير[6]، وينبع من جبل مدينة شقورة مارا بقرطبة، فإشبيلية، ويصبّ في المحيط الأطلسي[7]، ويصفه الحميري[8] بأنه "نهر عظيم".

ويسمّى بالنهر الأعظم، لسعة واديه الذي تجري فيه السفن، ويبلغ مساحة حوضه (58,000 كم2)، ويصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً[9]. فكان لوجود ذلك النهر دور أساسي في ظهور النشاط الاقتصادي في بلاد الأندلس، ثم إنشاء الموانئ عليه كمينائي قرطبة وإشبيلية، واللتان كانا لهما نشاط اقتصادي مميز في البلاد.

1- الحميري، الروض المعطار، ص127.
2- مجهول، ص44.
3- ابن سعيد، الجغرافيا، ص179.
4- بطليوس: من مدن بلاد الأندلس، تقع ضمن إقليم ماردة، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، بإذن من الأمير عبد الله، فيها المسجد الجامع والحمام. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص46.
5- الرازي، صفة الأندلس، ص103؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص47.
6- الرازي، صفة الأندلس، ص101؛ المقّري، نفح الطيب: 1/ 158.
7- مجهول، تاريخ الأندلس، ص46-47.
8- الحميري، الروض المعطار، ص458.
9- الشقندي، فضائل الأندلس، ص50.

الفصل الثاني

الواقع السياسي ودوره في تنشيط موانئ الأندلس

(138 ـ 422هـ / 756 ـ 1031م)

عملَ الفاتحون لبلاد الأندلس منذ البدايات الأولى لدخولهم الأراضي الجديدة سنة (92هـ/ 710م)، على إقامة الدولة المستقرة ذات الإدارة المحلية، من خلال إكمال واستمرار عمليات الفتح إلى سنة (95هـ/ 713م)، وعملوا على إرساء نظام حكم، يُسَيِّر تلك الدولة والذي سمّي بعصر الولاة، بدأ في سنة (95هـ/ 713م) واستمراراً إلى سنة (138هـ/ 756م).

تعاقب على دولة الأندلس خلال عصر الولاة اثنان وعشرون عهد حكم، توالى فيها عشرون والياً، وصلت الأندلس خلاله إلى مرحلة الدولة المنظمة، فهي حافظت على الفتوحات ووسعتها، وتمكّنت من بناء مجتمع مميز ومتنوع، إلا أن عصر الإمارة جابه تحديات، والتي سنوضح أغلبها بشكل مختصر؛ لنبين كيف أن الدولة الأندلسية في عصر الإمارة استجابت لتلك التحديات، بشكل حافظ فيه على بناء الدولة الحضارية لها، وظهرت بالشكل التي ظهرت فيه من رقي وتقدم، فاقت كل الدول التي عاصرتها.

أولاً: عصر الإمارة الأندلسية:

1. عبد الرحمن الداخل (138 ـ 172هـ/756 ـ 788م):

منذ أن دخل عبد الرحمن الداخل قرطبة بعد معركة المصارة أعلن الدولة الأموية، وسمّي عصره بعصر الإمارة، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كنيته: أبو المطرف[1].

تمكّن من التخلص من قبضة العباسيين خلال سيطرتهم على زمام الأمور من بني أمية في المشرق سنة (132هـ/ 749م)؛ وهرب إلى بلاد المغرب العربي بعد نجاته من القتل، ودخل بلاد الأندلس سنة (138هـ/ 756م)[2]، من خلال عبوره للبحر الأبيض المتوسط، ونزوله في ميناء المنكب، ثم اتجه نحو قرية طرش، من كورة البيرة[3]، والتي

1- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص47-54؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 47؛ النـويري، نهاية الأرب: 23/ 196؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صـناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، طبع بالمطبعة الأميرية، (القاهرة: 1915): 5/ 244.

2- مجهول، أخبار مجموعة، ص49-50؛ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، حقّقه وعلّـق عليه: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، (تونس: 2008)، ص28؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثالث عشر، 1965-1966، ص55؛ ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبـربر ومَنْ عاصـرهم من ذوي السـلطان الأكـبر، ط3، دار الكـتب العلمية، (بيروت: 2006): 4/ 145، 7/ 615.

3- ابن الأثير، الكامل: 4/ 641؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 197؛ لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد الغرناطي الأندلسي، إعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003): 2/ 8؛ طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، (بغداد: 1982)، ص417.

أعدت له مستلزمات الاستقرار كافة من "المركب والمنزل والملبس، فغلظ أمر ابن معاوية، وأقبل الناس من كل مكان إليه"[1] يبايعونه، فتمكن من التغلب على والي الأندلس يوسف الفهري في معركة المصارة، ثم اتجه إلى مدينة قرطبة، فاستقر بها، وبنى القصر، والمسجد الجامع[2].

والداخل هو أول مَن ملك الأندلس، من الأمويين بعد زوال ملكهم في المشرق[3].

شرع عبد الرحمن الداخل إلى تنظيم الدولة محاولاً تجنب الأخطاء التي وقع فيها أسلافه الخلفاء في المشرق، فكان يجد في العصبيات العرقية والقبلية دور في إدخال الأندلس بالفوضى التي وجدها، فأعلن إقامة العدل، والمساواة بين الجميع[4].

وبسبب كثرة الاضطرابات، لجأ إلى التقرب من البربر، وإلى اقتناء العبيد السود الصقالبة، وجعلهم من خاصته، حسب ما نقل المقّري[5] عن ابن حيان أنه "استكثر منهم ومن العبيد، فاتخذ أربعين ألف رجل، صار بهم غالباً على أهل الأندلس من

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 44. وينظر: ابن خلدون، العبر: 4/ 145؛ عبد الهادي، عبد اللطيف، الأندلس الإسلامية سياسياً وحضارياً، المكتب الجامعي الحديث، (د. م: د. ن)، ص87.

2- مجهول، أخبار مجموعة، ص80-83؛ ابن الأثير، الكامل: 4/ 641؛ المراكشي، المعجب، ص40؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 146؛ حتامله، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة، مطابع الدستور التجارية، الأردن، (عمان: 2000)، ص185؛ الهاشمي، عبد المنعم، الخلافة الأندلسية، دار ابن حزم، (بيروت: 2007)، ص195-196؛ يوسف، شريف، قرطبة عاصمة الأمويين الكبرى في الأندلس، مجلة آفاق عربية، بغداد، السنة الثانية، 1977، ع8، ص98.

3- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 48؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 195-196.

4- المراكشي، المعجب، ص39؛ مكي، محمود، تاريخ الأندلس السياسي (92-897هـ/ 711-1492م) (دراسة شاملة)، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 1/ 71.

5- نفح الطيب: 3/ 37. وينظر: ابن الأثير، الكامل: 5/ 78؛ المزروع، وفاء عبد الله بن سليمان، نفوذ الصقالبة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة، بحث منشور ضمن كتاب: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، (المملكة العربية السعودية: 1996)، القسم الأول، ص110.

العرب، فاستقامت مملكته، وتوطدت"، ثم دخل عليه "رجال من المشرق ومن بني أمية... فأنزلهم الأمير، وأكرمهم، وأحسن جوائزهم"[1]، فكانوا له سنداً في بناء دولته الجديدة.

إلا أن تلك الدولة التي أراد إقامتها عبد الرحمن الداخل لم تكن خالية من الأخطار التي واجهتها، وكانت بمثابة تحديات لدولته، فظهرت تحديات داخلية، تمثلت في التمردات التي تمكن من القضاء عليها واحدة بعد الأخرى، ومن أشهر تلك التمردات تمرد يوسف الفهري والصميل بن حاتم سنة (139هـ/ 756م)[2]، وسنة (141هـ/ 857م)[3]، وتمرد رزق بن النعمان الغساني في إشبيلية سنة (142هـ/ 858م)[4]، وتمرد العلاء بن مغيث الجذامي في باجة سنة (146هـ/ 763م)[5]، وقيل إنه كان مدعوماً من الخلافة العباسية. وتمرد هشام بن عذرة الفهري في طليطلة سنة (147هـ/ 764م)[6]، وتمرد أبي الصباح سعيد اليحصبي في كورة لبلة وإشبيلية

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 49. وينظر: ابن خلدون، العبر: 4/ 146؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 244؛ حمودة، علي محمد، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، (مصر: 1957)، 126.

2- مجهول، أخبار مجموعة، ص86-87؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 48؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 146؛ الجبوري، خليل خلف، الفهريون ودورهم السياسي في الأندلس (92-172هـ/ 710-788م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005، ص94-97.

3- مجهول، أخبار مجموعة، ص88؛ ابن الأثير، الكامل: 4/ 644-645؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 49-50؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 198-199؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 146؛ الدوري، إبراهيم ياس خضر، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، دار الرشيد للنشر، (بغداد: 1982)، ص102.

4- مجهول، أخبار مجموعة، ص92؛ ابن الأثير، الكامل: 4/ 655؛ الصوفي، خالد، تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر، ط2، منشورات جامعة قاريونس، (د.م: 1980)، ص72-73.

5- مجهول، أخبار مجموعة، ص93؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 41؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 51.

6- مجهول، أخبار مجموعة، ص93-95؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 53.

سنة (149هـ/ 766م)[1]، وتمرد البربر في شنت برية سنة (150هـ/ 767م)[2]، فضلًا عن تمرد شقنا بن عبد الواحد ((الفاطمي[3])) في شنت برية سنة (152هـ/ 769م) واستمر إلى سنة 160هـ/ 776م[4]، وتمرد عبد الغفار اليحصبي وحيوة بن ملامس في إشبيلية سنة (156هـ/ 772م)[5]، وتمرد عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي الفهري في تدمير سنة (163هـ/ 779م)[6]، وتمرد ابن شجرة في مورور سنة (163هـ/ 779م)[7]، وتمرد الرماحس ابن عبد العزيز في الجزيرة الخضراء سنة (164هـ/ 780م)[8]، تمرد الحسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الأنصاري في سرقسطة سنة (165هـ/ 781م)[9]، وتمرد المغيرة بن الوليد بن معاوية بالرصافة في قرطبة (168هـ/ 784م)[10]، وتمرد أبي الأسود محمد بن يوسف الفهري في طليطلة سنة (169هـ/ 785م)[11]، وتمرد قاسم بن عبد الرحمن الفهري سنة (171هـ/ 787م)[12]، فاستطاع عبد الرحمن الداخل من القضاء على التمردات بالسياسة تارة، وبالقوة تارة أخرى.

1- مجهول، أخبار مجموعة، ص96؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 51؛ الأنصاري، فريدة رؤوف، الإمارة الأموية في الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل 138-172هـ/ 756-788م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1976، ص144.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 54.
3- سمّي بالفاطمي نسبة إلى اسم أمه فاطمة. ينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص88.
4- مجهول، أخبار مجموعة، ص97؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 54؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 201؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 148؛ حسين، حمدي عبد المنعم محمد، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: 1993)، ص18.
5- ابن الأثير، الكامل: 5/ 78؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 55؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 202.
6- مجهول، أخبار مجموعة، ص100؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 114؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 55.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 56؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 203.
8- مجهول، أخبار مجموعة، ص102؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 56.
9- مجهول، أخبار مجموعة، ص102؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 56-57.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 57.
11- مجهول، أخبار مجموعة، ص105؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 138-139.
12- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 58؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 204.

وفضلاً عن التحديات الداخلية، كانت هنالك تحديات خارجية؛ حيث وقف الأمير عبد الرحمن الداخل في وجهها، بحزم شديد، وتعدّ محاولة شارلمان دخوله الثغر[1] الأعلى والسيطرة على سرقسطة، ومساعدة بعض المتمردين له من أهم التحديات الخارجية التي واجهت الإمارة الأندلسية، فحشد الأمير عبد الرحمن الداخل جيشاً، سار به إلى الثغر لملاقاة الأعداء هنالك، وتعريفها بقوة الدولة الأندلسية، وذلك قبل سنة (146هـ/ 763م)[2]، ثم أرسل الأمير عبد الرحمن الداخل مولاه بدراً في غزوة إلى ألبة سنة (150هـ/ 767م)[3].

وعن تلك التحديات، يقول ابن الكردبوس[4] إنه: "لقي فيها حروباً، وقاسى خطوباً".

ومع تلك التحديات كان للداخل اهتمام بإقامة مشاريع في مدينة قرطبة مع أول قدوم له، فسوّر المدينة، واهتم بالإجراءات الإدارية فيها[5]، وكانت له إنجازات

1- الثغر: يطلق على المناطق التي تحادي بلاد الشرك، وتقسم في الأندلس إلى ثلاثة أقسام:
الثغر الأعلى: أو الأقصى، عاصمته مدينة سرقسطة، وتواجهه مملكة نافار، ومن مدنه وشقة وتطيلة ولاردة وطرطوشة. ينظر الخارطة رقم (3).
الثغر الأوسط: عاصمته مدينة سالم، ثم طليطلة، ويواجه مملكتي قشتالة وليون. ينظر الخارطة رقم(3).
الثغر الأدنى: يقع بين نهري دويرة وتاجة. كانت عاصمته طليطلة، ثم قورية. ومن مدن هذا الثغر شنترين وقلمرية ووماردة وبطليوس ولشبونة. ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص34؛ أبو مصطفى، كمال السيد، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، (مصر: 1997)، ص97-99. ينظر الخارطة رقم (3).

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 51؛ الدليمي، انتصار محمد صالح، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366هـ/ 912-976م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2005، ص67.

3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 54.

4- تاريخ الأندلس، ص56-57.

5- ابن خلدون، العبر: 4/ 148؛ أبو الفضل، محمد أحمد، التأثيرات الشامية في حضارة الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل 138-172هـ/ 756-788م، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1988، السنة الرابعة عشر، ع36، ص221.

حضارية خدمية وتسهيلات تجارية، سنعرضها في فصلي الخدمات والتسهيلات التجارية.

توفي عبد الرحمن الداخل سنة (172هـ/ 788م) بعد أن حكم الأندلس ثلاثة وثلاثين عاماً[1]، وهو بحق كما وصفه أبو جعفر المنصور "وطـد الخلافة بالأندلس، وافتتح الثغور، وقتل المارقين، وأذلّ الجبابرة الثائرين"[2].

2 - هشام الأول (172-180هـ/ 788-796م):

تولى بلاد الأندلس بعد وفاة أبيه[3] وهو أبو الوليد هشام بن عبد الرحمن الداخل، بويع سنة (172هـ/ 788م)[4]. يصفه المراكشي[5] بأنه "حسن السيرة، متحرياً للعدل، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويتصدق بالصدقات الكثيرة"، فكان يرسل الرجال الثقاة وراء عماله؛ ليعلموا من العامة عن أمورهم وإدارة شؤون ما وكلوا إليه أكان بالحق أم غير ذلك، فإذا وصله حيف من أحدهم، أسقطه، واشتد عقابه[6].

وقدم إليه خلال ولايته الكثير من بني أمية من المشرق[7].

وكدولة والده لم تكن خالية من التحديات والأخطار التي واجهتها، منها الداخلية، ومنها الخارجية، فقضى على كافة التمردات الداخلية، كما في تمرد سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري في طرطوشة سنة(172هـ/ 788م)[8]، وتمرد موسى

1- السلمي، عبد الملك بن حبيب، كتاب التاريخ، اعتنى به: عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، (بيروت: 2008)، ص153؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 165.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 60.
3- ابن الأثير، الكامل: 5/ 166.
4- الحميدي، جذوة المقتبس، ص29؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 61.
5- المعجب، ص43.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 66.
7- ابن الأثير، الكامل: 5/ 166.
8- ابن الأثير، الكامل: 5/ 170؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 62.

بن فرتون في سرقسطة سنة (172هـ/ 788م)[1]، وتمرد مطروح بن سليمان بن يقظان الأعرابي في مدينة برشلونة الذي تغلب على وشقة وسرقسطة، سنة (173هـ/ 789م)[2]، وتمرد أخوته سليمان وعبد الله بن عبد الرحمن الداخل سنة(173هـ/ 789م)[3]، وتمرد البربر في تاكرنا[4] (إقليم رندة) سنة (178هـ/ 794م)[5].

كما قام الأمير هشام بإرسال الحملات العسكرية لتحجيم الممالك النصرانية الشمالية (ألبة والقلاع)، أو قشتالة، فكانت هنالك أربعة حملات عسكرية، حققت أهدافها، وعادت إلى الأندلس، وهي حملة بقيادة أبي عثمان عبد الله بن عثمان إلى ألبة والقلاع سنة (175هـ/ 782م)[6]، وحملة بقيادة يوسف بن بخت إلى جليقية واشتريش سنة (175هـ/ 782م)[7]، وحملة أخرى بقيادة عبد الملك ابن عبد الواحد إلى ألبة والقلاع سنة (177هـ/ 784م)[8]، وأخرى بقيادة عبد الكريم بن مغيث إلى ألبة والقلاع سنة (178هـ/ 794م)[9]، وحملة بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث إلى جليقية سنة (179هـ/ 795م)[10].

1- ابن الأثير، الكامل: 5/ 170؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 62.

2- العذري، ترصيع الأخبار، ص26؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 170.

3- ابن الأثير، الكامل: 5/ 169؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 62؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 206.

4- تاكرنا: مدينة في الأندلس قريبة من مدينة استجة، ومن مدنها رندة، كما يذكر الحميري. ينظر: صفة جزيرة الأندلس، ص62.

5- ابن الأثير، الكامل: 5/ 192؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 64.

6- ابن الأثير، الكامل: 5/ 176؛ السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد، تاريخ الجهاد الإسلامي في الأندلس، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، (الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى: 2003)، ص120.

7- ابن الأثير، الكامل: 5/ 176؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 63؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 150.

8- ابن الأثير، الكامل: 5/ 185؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 64؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 208.

9- ابن الأثير، الكامل: 5/ 192؛ الدليمي، التحديات الداخلية الخارجية، ص70.

10- ابن الأثير، الكامل: 5/ 194.

توفي الأمير هشام سنة (180هـ/ 796م)، عن خلافة دامت سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام[1]. حاول خلالها الاستجابة لكافة التحديات الداخلية والخارجية، فظهرت له خدمات عمرانية تجارية، سنوردها في فصلي الخدمات والتسهيلات التجارية.

فكان لإصلاحاته الإدارية والعمرانية أثر كبير في إرساء الأمن الداخلي لبلاد الأندلس، والذي بدوره يؤثر إيجاباً على الحركة التجارية، وعلى النشاط التجاري، سواء في الموانئ الأندلسية، أم في المدن الداخلية.

3 ـ الحكم الأول (180 ـ 206هـ/796 ـ 822م):

هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[2]، كنيته: أبو العاص، بويع للإمارة بعد موت أبيه بليله، سنة (180هـ/ 796م)[3].

وللحفاظ على أمن البلاد، كانت له سياسة حازمة، تتمثل في القضاء على التمردات وإرسال الجيوش للغزوات، فأول عمل قام به هو تعزيز العسكر، بجند موالين له، فاستكثر من المماليك؛ إذ بلغوا خمسة الآف مملوك في عهده "ثلاثة آلاف، منهم فرسان، وهم الخرس، سُمّوا بذلك لعجمتهم"[4].

وهذا الأمر يعزز أن لكل أمير في الأندلس كانت له سياسته الخاصة به، والتي يعتقد أنها هي مَنْ ستوفر الاستقرار لنظام حكمه.

فعمد إلى إقرار الأمن في المدن الأندلسية، ومجابهة الأخطار الداخلية المتمثلة بالتمردات، فجابهها وعزّز دولته بمجابهتها، وأشهر تلك التمردات هي تمرد بهلول بن

1- السلمي، كتاب التاريخ، ص154؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص57؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 196.
2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 38؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 68.
3- الحميدي، جذوة المقتبس، ص30؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 196؛ المراكشي، المعجب، ص44.
4- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 39. وينظر: ابن الأثير، الكامل: 5/ 196؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 151.

مرزوق المعروف بأبي الحجاج في مدينة سرقسطة سنة (181هـ/ 797م)[1]، وتمرد عبيدة بن حميد في طليطلة سنة (181هـ/ 797م)[2]، وتمرد سليمان بن عبد الرحمن الداخل سنة (182هـ/ 798م)[3]، وتمرد سليمان بن عبد الرحمن الداخل في استجة سنة (183هـ/ 799م)[4]، وتمرد سليمان بن عبد الرحمن الداخل في جيان والبيرة سنة (184هـ/ 800م)[5]، كما أقام صلحاً مع عمه عبد الله بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالبلنسي إثر تمرده سنة (186هـ/ 802م)[6]، وتمرد هيجة الربض الأولى سنة (187هـ/ 803م)[7]، وتمرد أهل طليطلة سنة (191هـ/ 807م)[8]، وتمرد أصبغ بن عبد الله في مـاردة سنة (191هـ/ 807م)[9]، تمرد حزم بن وهب في باجة سنة (191هـ/ 807م)[10]، وتمرد أهل ماردة سنة (194هـ/ 809م)[11]، وتمرد هيجة الربض الثانية سنة (202هـ/ 817م)[12].

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص27؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 202؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 69.

2- ابن الأثير، الكامل: 5/ 202؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 69؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 211.

3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 70؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 151.

4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 70؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 212؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 151.

5- ابن الأثير، الكامل: 5/ 197؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 70؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 151.

6- ابن الأثير، الكامل: 5/ 214؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 70؛ حتاملة، الأندلس، ص228.

7- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص72؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 229؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 71؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 213؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 152؛ بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة: لطفي عبد البديع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (القاهرة: د.ن)، ص102.

8- ابن الأثير، الكامل: 5/ 241.

9- ابن الأثير، الكامل: 5/ 242-243؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 72؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 215.

10- ابن الأثير، الكامل: 5/ 243.

11- ابن الأثير، الكامل: 5/ 272.

12- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 75-76؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 217.

ومع مجابهته للأخطار الداخلية، كانت الأخطار الخارجية متواصلة معها، تمثلت في صد هجمات الإفرنج، فضلاً عن إرسال السرايا والجيوش للجهاد ونشر الإسلام. وأشهر تلك الهجمات والحملات والسرايا هي حملة بقيادة عبد الكريم بن عبدالواحد إلى الثغر سنة (180هـ/ 796م)[1]، صد هجوم لذريق على طرطوشة بإرسال قوة بقيادة عبد الرحمن بن الأمير الحكم سنة (191هـ/ 806م)[2]، والمسير في حملة عسكرية إلى وادي الحجارة سنة (194هـ/ 809م)[3]، وإرسال حملة عسكرية إلى بلاد الإفرنج سنة (196هـ/ 811م)[4]، وإرسال حملة عسكرية إلى برشلونة، بقيادة عبد الله بن عبد الرحمن الداخل سنة (199هـ/ 814م)[5]، وحملة أخرى بقيادة الوزير عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الشرك سنة (200هـ/ 815م)[6].

واتبع الأمير الحكم سياسة خاصة لمواجهة تلك التحديات، من خلال إرسال العمال الأكفاء، وقتل المتمردين، ومحاربته للخوارج، والمتعصبين[7]. فدخلت أغلب مدن الأندلس في الطاعة، وكان له الدور في إقرار الأمور فيها[8].

توفي سنة (206هـ/ 822م)[9]، وتولى الأندلس الأمير عبد الرحمن الثاني الذي وجد أمامه إمكانيات، لم توجد لدى مَنْ سبقه؛ لأنها - وببساطة - هم مَنْ هيّؤوها له.

1- ابن الأثير، الكامل: 5/ 197؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 69.

2- ابن الأثير، الكامل: 5/ 243؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 72-73؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 216.

3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 73؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 210.

4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 73؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 216.

5- ابن الأثير، الكامل: 5/ 272؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 74.

6- ابن الأثير، الكامل: 5/ 337؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 75؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 218.

7- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص68-73.

8- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص74.

9- ابن الأثير، الكامل: 5/ 379؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 68.

4ـ عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (206ـ 238هـ/822ـ 852م):

هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[1]، بويع للإمارة بيوم واحد من وفاة أبيه سنة (206هـ/ 822م)[2]، ويُكنى: أبو المطرف[3].

تضافرت في عهده جهود كل العناصر الاجتماعية الموجودة في الأندلس (مسلمين- نصارى-يهود) لإرساء قواعد الدولة الرصينة[4]، فكانت "أيـامه أيام هدوء وسكون، وكثرت الأموال عنده، واتخذ القصور والمتنزهات، وجلب إليها المياه من الجبال، وجعل لقصره مصنعاً، اتخذه الناس شريعة، وأقام الجسور، وبنى بالأندلس جوامع كثيرة ورتّب رسوم المملكة، واحتجب عن العامة"[5].

فهو أول مَنْ "فخم السلطنة بالأندلس... من انتقاء الرجال والمباني، وغير ذلك"[6]، وقام ببناء سور مدينة قرطبة، بعد ظهور خطر النورمانديين[7] عليها سنة (230هـ/ 844م)[8].

1- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء، ط2، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، (القاهرة: 1985): 1/ 113؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 80؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 220.

2- السلمي، كتاب التاريخ، ص154؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص57؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 45.

3- الحميدي، جذوة المقتبس، ص30؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 379؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 80.

4- غوميز، مارغريتا لوبيز، المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، تر: أكرم ذا النون، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 1/ 273؛

Haines, C.R., Christianity and Islam in Spain A.D. 756-1031, (London: 1889), p.87.

5- المراكشي، المعجب، ص48. وينظر: ملحم، محمد فيصل، صفحات من تاريخ الدولة الأموية والأندلس، دار الفيحاء، (دمشق: 2005)، ص274.

6- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 45. وينظر: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 21.

7- النورمان: يعود هذا الشعب إلى الأصل الجرماني، سكنوا البلاد الاسكندنافية (النرويج – الدانمارك – السويد)، وهم من أقدم الشعوب التي عرفت بنشاطها البحري والحربي، ولا سيما الدنماركيون الذين وصلوا إلى بلاد الأندلس عدة مرات. ينظر: الحجي، التاريخ الأندلسي، ص241؛ المختار، نادرة محمد أمين، الدولة العامرية بالأندلس دراسة سياسية حضارية (366-399هـ/ 976-1009م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1990، ص23.

8- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص84.

وأمر بإقامة دار لصناعة السفن في إشبيلية، لحماية البلاد من الأخطار الخارجية، ولاستيعاب الحركة التجارية البحرية، والتي نشطت، بشكل ملحوظ[1].

كما عزل ولاية السوق عن ولاية الشرطة، وأفردها لحالها[2]، وهو ما يدل على زيادة التعاملات في الأسواق عن المدة التي سبقته، وأصبحت بحاجة إلى إدارة، بمفردها.

رغم ذلك، لم يكن عهده خالياً من التحديات سواء الداخلية أم الخارجية، فكان يعمل في بناء الدولة ومقوماتها، ويعمل على إرساء أمنها، ودرء الأخطار التي تواجهها حاله كبقية الأمراء.

ومن أشهر التحديات الداخلية التي واجهها الأمير عبد الرحمن الأوسط هي تمرد عبد الله البلنسي سنة (206هـ/ 821م)[3]، والفتنة التي ظهرت بين المضريين واليمنيين سنة (207هـ/ 822م)، التي استمرت سبع سنين[4]، والاضطرابات في أوريط وشنت برية وتدمير، فأرسل إليها القائد عبد الكريم بن عبد الواحد سنة (209هـ/ 824م) الذي توفي، فعوض عنه بـ أمية بن معاوية بن هشام[5]، وتمرد طوريل في تاكرنا، فأرسل إليه القائد ابن غانم سنة (211هـ/ 826م)[6]، وتمرد الضّرَّاب في طليطلة وشنت برية، وصده بإرسال قوة، قادها محمد بن رستم سنة (214هـ/ 829م)[7]، والتمرد في طليطلة، فأرسل إليه أمية بن الحكم سنة (219هـ/ 834م)[8]، واستمر في مجابهة ذلك

1- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص88.
2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 46.
3- ابن الأثير، الكامل: 5/ 379.
4- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص88؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص5؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 383.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 82.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 82؛ حسين، ثورات البربر في الأندلس، ص39.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 83؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 154.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 84؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 154.

التمرد في سنة (220هـ/ 835م)[1]، إلى أن قضى عليه بالسيطرة على المدينة سنة (222هـ/ 836م)[2]، وتمرد في تطيلة الـذي تزعمه موسى بن موسى سنة (229هـ/ 843م)[3]، وتمرد أهالي تاكرنا، فأرسل إليهم حملة عسكرية سنة (235هـ/ 849م)[4]، وتمرد حبيب البرنسي في جبال الجزيرة (236هـ/ 850م)[5].

ونتيجـة الهجمـات المتكـررة علـى الثغـور، كان لا بـد مـن مجابهـة تلـك الهجمـات، فتـم إرسـال حملـة عسـكرية بقيادة عبـد الكريم بن عبـد الواحـد إلى ألبة والقـلاع سـنة (207هــ/ 822م)[6]، وحملـة أخـرى، تـم فيها فتـح حصن القلعة سـنة (210هــ/ 823م)[7]، وإرسـال حملـة عسـكرية، بقيـادة عبيـد اللـه ابـن عبـد الله إلى "دار الحـرب؛ فجـال فـي أرض العدو حتى بلغ برشـلونة" سـنة (213هــ/ 828م)[8]، وحملـة أخـرى إلـى جليقية بقيـادة عمـه الوليد بن هشـام، فكانـت له فتوحـات كبيرة فيهـا سـنة (223هــ/ 837م)[9]، كمـا تـم إرسـال حملـة عسـكرية بقيـادة الحكـم بن الأميـر عبـد الرحمـن إلـى دار الحـرب سـنة (224هــ/ 838م)[10]، وقـاد الأميـر عبد الرحمـن غـزوة بنفسـه إلـى جليقيـة "ففتـح حصونهـا، وجـال فـي أرضهـا" سـنة (225هــ/ 839م)[11]، ثـم أرسـل حملـة إلـى جليقيـة بقيادة مُطَرّف بن عبـد الرحمن

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 84.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 84-85.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 87.
4- ابن الأثير، الكامل: 5/ 530.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 89-90.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 81؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 221؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 154.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 82 النويري، نهاية الأرب: 23/ 221.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 83.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 85.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 85.
11- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 85. وينظر: النويري، نهاية الأرب: 23/ 221.

سـنة (226هــ/ 840م)[1]، وأخـرى إلـى الثغـور بقيـادة عبيداللـه بـن عبـد اللـه سـنة (227هــ/ 841م)[2]، وسـار فـي حملـة إلـى بنبلونـة[3] سـنة (228هــ/ 842م)[4]، ثم أرسـل الأميـر حملة عسـكرية إلى بـلاد جليقية بقيـادة محمد ابن الأميـر عبد الرحمن سـنة (231هــ/ 845م)[5]، وأخـرى لغزو الروم سـنة (235هــ/ 849م)[6]، ثم إرسـال حملة عسكرية إلى بلاد العدو، وكانت فيها وقعة البيضاء سنة (237هـ/ 851م)[7].

فتمكن الأمير عبد الرحمن الثاني من التصدي لكل التحديات التي جابهت دولته، وتأمين المدن، ولا سيما مدن الموانئ، وعمل على تأمين حركة السير العامة في البحر الأبيض المتوسط والحركة التجارية في الأندلس، فهو أخضع جزر الأندلس إلى طاعته بعد أن خرجت عن الطاعة، وأضرت بمَنْ يمر بها من مراكب المسلمين[8].

كما صد كل الهجمات البحرية التي تعرضت لها الأندلس من الأعداء[9]. وهذا ما سنعرضه بالتفصيل في فصل الخدمات التجارية.

توفي الأمير في سنة (238هـ/ 852م)[10]، وترك وراءه أرقى ما وصلت إليه الأندلس من تنظيم وإدارة.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 86.

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 86؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 156.

3- بنبلونة: مدينة من مدن الأندلس، كانت عاصمة حكم غرسية بن شانجة، بينها وبين مدينة سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص55.

4- العذري، ترصيع الأخبار، ص30؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 86؛ الدليمي، التحديات الداخلية الخارجية، ص74.

5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 88؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 225.

6- ابن الأثير، الكامل: 5/ 530؛ السامرائي، تاريخ الجهاد الإسلامي، ص130.

7- النويري، نهاية الأرب: 23/ 226.

8- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 49؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 19.

9- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 20؛ أبو مصطفى، دراسات أندلسية، ص114.

10- ابن الأثير، الكامل: 5/ 543؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 157.

5 ـ محمد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/852 ـ 886م):

هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[1]، تولى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة (238هـ/ 852م)[2]، كنيته أبو عبد الله[3].

عزز ما كانت عليه الدولة من ظهور إداري متميز، فـ"أقام أبهة الملك بالأندلس، ورتّب رسوم المملكة، وعلا عن التبدل للعامة"[4]، ثم اهتم بالجند والجيش، فوصل عدد الجند في أيامه إلى مائة ألف فارس، وأنشأ سبع مائة قطعة بحرية[5]، كل تلك الاهتمامات كانت لحفظ أراضي الأندلس ومحاربة المتمردين. فظهرت في عهده تحديات داخلية، تمكن من القضاء على أكثرها وأشهرها هي تمرد أهل طليطلة، فخرج اليهم الحكم ابن الأمير محمد في حملة عسكرية سنة (239هـ/ 853م)، واستمرت الحملات إلى سنة (240هـ/ 854م)[6]، وتمرد أهل طليطلة سنة (243هـ/ 857م)[7]، وتمرد طليطلة سنة (244هـ/ 858م)[8]، وتمرد ابن سالم، فأرسل إليه القائد موسى بن موسى سنة (248هـ/ 862م)[9]، ولأجل ضمان استقرار الأوضاع، فقد سار الأمير محمد في سنة (254هـ/ 868م) إلى ماردة وطليطلة لإقرار الأمور فيها[10]، ثم القضاء على تمرد مدينة سرية سنة (255هـ/ 868)[11]، وتمرد عمروس عامل وشقة سنة

1- النويري، نهاية الأرب: 23/ 227؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 21.
2- الحميدي، جذوة المقتبس، ص31؛ ابن الأثير، الكامل: 5/ 543؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 244.
3- الحميدي، جذوة المقتبس، ص31؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 93.
4- ابن الأثير، الكامل: 5/ 543-544.
5- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص57.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 94-95؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 227.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 96.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 96.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 97.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 100.
11- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 100.

(257هـ/ 870م)[1]، وتمرد سرقسطة وتطيلة سنة (258هـ/ 871م)[2]، ثم تمردات طليطلة وبنبلونة سنة (259هـ/ 872م)[3]، وسنة (260هـ/ 873م)[4]، وتمرد ابن مروان الجليقي قلعة الحنش سنة (261هـ/ 874م)[5]، ثم محاولة إقرار الأمور في مدينة سرقسطة، من خلال إرسال حملة عسكرية بقيادة المنذر ابن الأمير محمد سنة (264هـ/ 877م)[6]، والقضاء على تمردات كورة رية والجزيرة الخضراء وتاكرنا سنة (265هـ/ 878م)[7]، وإقرار الأوضاع في كورة رية ونواحي الجزيرة الخضراء سنة (266هـ/ 879م)[8]، وسنة (267هـ/ 880م)[9]، كما عمد إلى إقرار الأوضاع في كورة رية وكورة البيرة من خلال إرسال قوة عسكرية في سنة (269هـ/ 882م) بقيادة محمد بن أمية بن شُهَيْد[10]، ومحاولته القضاء على تمرد عمر بن حفصون[11] في بربشتر سنة (271هـ/ 884م)[12]، وتمرد ابن مروان في جبل اشبرغزة (271هـ/ 884م)[13]، وتمرد حارث بن حمدون في مدينة الحامَّة من خلال إرسال المنذر ابن الأمير محمد على راس قوة عسكرية بقيادة محمد بن جهور وذلك سنة (273هـ/ 886م)[14].

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 100.
2- العذري، ترصيع الأخبار، ص31؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 101.
3- ابن الأثير، الكامل: 5/ 683؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 101.
4- العذري، ترصيع الأخبار، ص35؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 102.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 102-103.
6- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص107؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 102.
7- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 53؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 103.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 103.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 104.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 105.
11- عمر بن حفصون: هو أحد المتمردين، بلغ شأنه في "الشقاق والفتن مبلغاً، لم يبلغه ثائر بالأندلس". ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 106.
12- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص107؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 105.
13- ابن الأثير، الكامل: 6/ 107؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 105.
14- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 106.

كما عمل على مجابهة التحديات الخارجية من خلال إرسال الجيوش إلى بلاد الثغور لمحاربة الأعداء، وصد هجماتهم المتواصلة على البلاد الأندلسية، وأشهر تلك التحديات السير في حملة عسكرية إلى ألبة والقلاع لصد الهجمات الشمالية سنة (207هـ/ 822م)[1]، ثم أرسل حملة عسكرية أخرى، بقيادة محمد إلى موسى بن موسى إلى برشلونة، وفتح مدنها سنة (242هـ/ 856م)[2]، ثم إرسال حملة عسكرية إلى بنبلونة سنة (246هـ/ 860م)[3]، وأخرى إلى برشلونة سنة (247هـ/ 861م)[4]، وحملة أولى إلى حصون ألبة والقلاع بقيادة عبد الملك بن العباس سنة (249هـ/ 863م)[5] وثانية في سنة (251هـ/ 865م)[6] وثالثة في سنة (252هـ/ 866م)[7]، وحملة إلى جرنيق بقيادة الحكم ابن الأمير محمد سنة (253هـ/ 867م)[8]، وأخرى إلى الثغر الأقصى، ثم إلى ألبة والقلاع سنة (268هـ/ 881م)[9]. ولا ننسَ العمليات العسكرية التي جابهت الأخطار التي ظهرت على السواحل وهو ما سنفصله في فصل الخدمات التجارية. توفي الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (273هـ/ 886م)[10]، تاركاً دولة، كان لها حضورها العالمي آنذاك.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 95.
2- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص117؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 95-96.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 97؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 228.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 97.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 98.
6- ابن الأثير، الكامل: 5/ 611؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 98.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 99؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 228.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 99.
9- مجهول، أخبار مجموعة، ص132؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 105.
10- مجهول، أخبار مجموعة، ص132؛ ابن الأثير، الكامل: 6/ 113.

6ـ المنذر بن محمد (**273ـ 275هـ/886ـ 888م**):

هو المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[1]، كنيته أبو الحكم[2]. تولى الإمارة بعد موت أبيه الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة (273هـ/ 886م)[3].

ظهرت في عهده تحديات جمة، استغل القائمون عليها وفاة الأمير محمد بن عبد الرحمن، محاولين استغلال تلك الظروف للقضاء على الدولة الأندلسية، ففي أيامه، امتلأت الأندلس، بالفتن، وصار في كل جهة غالب[4]، إلا أن الأمير لم يقف ناظراً محدقاً إلى تلك التحديات والأخطار، بل جابه بكل حزم وقوة خلال عمر إمارته القليلة.

وأشهر تلك التحديات الداخلية تمرد ابن حفصون في كورة رية سنة (273هـ/ 886م)[5]، وكورة رية وقبرة سنة (274هـ/ 887م)[6].

ثم جابه الأخطار الخارجية من خلال إرسال حملة عسكرية بقيادة محمد بن لب إلى ألبة والقلاع سنة (273هـ/ 886م)[7].

فاستطاع خلال مدة إمارته، من إخماد الفتن ورؤوس الفتن حسب ما يذكر لسان الدين بن الخطيب[8] أن "أبطال الرجال وإنجادهم من أهل الفتنة يذعنون إليه دون

1- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص287؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 230؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 24.
2- الحميدي، جذوة المقتبس، ص31؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 113؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 24.
3- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص57؛ ابن الأثير، الكامل: 6/ 113؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 245.
4- ابن الأثير، الكامل: 6/ 120.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 115؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 231؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 159.
6- ابن الأثير، الكامل: 6/ 120؛ المراكشي، المعجب، ص52؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 116.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 115.
8- أعمال الأعلام: 2/ 25.

محنة، ويهرعون إليه بالطاعة قبل أن يطلبها"، وعلى الرغم من المبالغة في هذا النص إلا أنه يوضح الحال التي كان عليها الأمير المنذر في محاربة أهل الفتن، بحيث أذعنوا له بالطاعة.

ويصف الشاعر دولة الأمير المنذر بالقول [1]:

بالمُنْـذِرِ المَيْمُـونِ طَـابَ زَمانُنا
وبِـطـيـبِ دَوْلَـتِـهِ تـطـيـبُ الأَنْـفُـسُ

توفي الأمير المنذر سنة (275هـ/ 888م)[2] عن إمارة لم تستمر طويلًا، تمكن خلالها من الحفاظ على الدولة وإقرار الأوضاع فيها.

7ـ عبد الله بن محمد (275ـ 300هـ/888ـ 912م):

هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[3]، كنيته أبو محمد[4]. اتصفت إمارته بكثرة الفتن في الأندلس، واستفحال أمر ابن حفصون[5]، بحيث لم يكن له من الأندلس إلا مدينة قرطبة، كما يذكر النويري[6]، إلا أنه لم يعجز عن رد تلك التحديات، فجهز لها الجيوش، وحارب المتمردين[7].

وأشهر تلك التحديات الداخلية هي الاضطرابات في بربشتر وحصون رية، فخرج الأمير عبد الله بنفسه في حملة عسكرية سنة (276هـ/ 889م)[8]، وتمرد ابن

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 119.
2- النويري، نهاية الأرب: 23/ 231.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص1؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 231.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 120.
5- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص121؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص32؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 121؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 231.
6- نهاية الأرب: 23/ 231.
7- مجهول، أخبار مجموعة، ص133؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 28-29.
8- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص53؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 122.

عمرون في مدينة لبلة، فأرسل له قوة عسكرية، بقيادة عثمان بن عبد القادر سنة (276هـ/ 889م)[1]، وتمرد خير بن شاكر الذي ظهر في جيان، فأرسل له الأمير حملة عسكرية بقيادة ابن أبي عبدة سنة (277هـ/ 890م)[2]، وتمرد ابن حفصون في قبرة، وتمرد استجة، فخرج الأمير عبد الله بنفسه إليهم سنة (278هـ/ 891م)[3]، وتمرد ابن حفصون مرة أخرى في بربشتر، فأرسل إليه حملة عسكرية بقيادة المطرف ابن الأمير عبد الله سنة (280هـ/ 893م)[4]، وتمرد سعيد بن وليد بن مستنة في كورة باغة، فأرسل إليه الأمير حملة عسكرية بقيادة عبد الملك بن أمية سنة (281هـ/ 394م)[5]، وتمردات في تدمير، فأرسل لها حملة عسكرية، بقيادة هشام بن عبد الرحمن بن الحكم سنة (283هـ/ 396م)[6]، وتمرد ابن خصيب في لبلة، فأرسل له الأمير حملة عسكرية، بقيادة أبان ابن الأمير عبد الله، وبعد القضاء على ذلك التمرد، سار إلى استجة، لمجابهة تمرد ابن حفصون هنالك سنة (284هـ/ 397م)[7]، وتمرد عمر بن حفصون سنة (285هـ/ 398م)[8]، وإرسال قوة عسكرية بقيادة عباس بن عبد العزيز للقضاء على تمرد ابن يامين وابـن موجول في كركي وجبل البرانس سنة (285هـ/ 398م)[9]، وحملة أخرى بقيادة أبي العباس أحمد بن محمد إلى كورة مورور وشذونة ورية، لإقرار الأمور فيها سنة (287هـ/ 900م)[10]، وتمرد أحمد بن

1- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص121؛ ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص66-67.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص24، 92؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 122.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص54؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 123-124.
4- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص108؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 124.
5- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص27، 106؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 124-126.
6- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص114؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 138.
7- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص120؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 138.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 138.
9- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص127؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 138.
10- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص128؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 139.

معاوية بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية في فحص البلوط وترجيلة سنة (288هـ/ 901م)[1]، وتمرد ابن حفصون في رية، فأرسل له الأمير قوة عسكرية بقيادة أبان ابن الأمير عبد الله سنة (291هـ/ 903م)[2]، وتمرد ابن حفصون في جيان سنة (292هـــــ/ 904م)[3]، وتمرد فهر بن أسد في حصن تش من كورة جيان سنة (293هـ/ 905م)[4]، ثم إقرار الأمور في الجزيرة الخضراء، بإرسال حملة عسكرية بقيادة أبان ابن الأمير عبد الله سنة (294هـ/ 906م)[5]، وإقرار الأمور في بنبلونة، بإرسال حملة عسكرية بقيادة أبان ابن الأمير عبد الله سنة (294هـ/ 906م)[6]، وتمرد ابن حفصون في رية، فتم إرسال حملة عسكرية بقيادة أبان ابن الأمير عبد الله سنة (295هـ/ 907م)[7]، وسنة (296هـ/ 908م)[8]، وإقرار الأمور في رية وفريرة ومجابهة أصحاب ابن حفصون، بإرسال حملة عسكرية، بقيادة العاصي ابن الأمير عبد الله سنة (297هـ/ 909م)[9]، ثم إقرار الأمور في كورة رية، ومجابهة تمرد ابن حفصون وابن مستنة في قرى قرطبة بإرسال حملة عسكرية، بقيادة العاصي ابن الأمير عبد الله سنة (298هـ/ 910م)[10]، وإرسال حملة عسكرية إلى حصون ابن حفصون في ببشتر سنة (299هـ/ 911م)[11].

1- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص133؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 140.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص140؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 140.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، 141؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 141.
4- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص25، 142؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 142.
5- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص142؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 142-143.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 143.
7- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص143؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 143.
8- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص143؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 144.
9- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص144؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 145.
10- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص146؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 147.
11- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 149.

كمـا واجـه التحديـات الخارجيـة، وأشـهرها إرسـال حملـة عسـكرية بقيـادة محمـد بـن عبـد الملك إلـى بنبلونـة سـنة (298هــ/ 910م)[1]، وحملة أخـرى بقيادة محمد بن عبد الملك إلى برشلونة سنة (299هـ/ 911م)[2].

وتمكن بسياسته تلك من إقـرار الأمـور في بلاد الأندلس إلى أن توفي سنة (300هـ/ 912م)[3].

ونظراً لخطورة تلك المرحلة، والمخاطر التي جابهتا الداخلية منها والخارجية، رأى الأمير عبد الرحمن الناصر بضرورة إبدال وتغيير فلسفة الحكم التي كانت عليها بلاد الأندلس بنظام وفلسفة أكثر رقي مما كانت عليه في بلاد الأندلس بنظام الخلافة كنظام سياسي ساعد في تأخير تدهور الأحوال في الأندلس مائة عام.

من كل ما سبق، يمكن القول إن دولة الأندلس في عصر الإمارة، واجهت الكثير من التحديات الداخلية الخطيرة التي حاولت السيطرة على الدولة، والتي لم تبق من سلطة للأمير في وقت ما إلا العاصمة قرطبة، فكانت المجابهة والتحدي واضحين في التصدي لتلك الأخطار، وإعادة هيبة الدولة، وإيجاد الاستقرار الداخلي، والذي نجحوا في إقراره آنذاك.

كما كانت الأخطار الخارجية تشكل عبئاً كبيراً على كاهل الدولة آنذاك، ولاسيما من قبل النورمان والإفرنج. إلا أن أمراء عصر الإمارة تمكنوا وبكل جدارة من الحفاظ على البلاد وتأمين المدن، لا سيما مدن الموانئ التي كانت تشكل شريان الدولة الاقتصادي. كما عمل كل الأمراء بجهودهم الحثيثة نحو دوام حركة الجهاد مع دوام حالة الاستقرار الداخلي؛ وبناء دولة حضارية بكافة وجوهها.

1- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص93؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 148.

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 149.

3- المراكشي، المعجب، ص53؛ ابن الأثير، الكامل: 6/ 257-258.

ثانياً: عصر الخلافة الأندلسية:

1 ـ عبد الرحمن الثالث (300 ـ 350هـ/912 ـ 961م):

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل، كنيته أبو المطرف، لقبه الناصر لدين الله[1]، ولي الأندلس سنة (300هـ/ 912م)، وهي كما يصفها ابن عذاري[2] "نار تضطرم شقاقاً ونفاقاً، فأخمد نيرانها، وسكن زلازلها، وكان يشبه بعبد الرحمن الداخل، وهو أول من تسمّى بأمير المؤمنين".

إذنْ؛ لم يستلم عبد الرحمن الناصر ولاية الأندلس، وهي في أفضل حالاتها، فقد كانت التمردات الداخلية في أوج عنفوانها فضلاً عن الأخطار الخارجية المستمرة، فواجه كل تلك التحديات، وعمل على تفخيم البناء والسلطان، وتعظيم الجند، ولغرض إنجاح ذلك، قسم أموال الجباية إلى ثلاثة أقسام، **الأول** للجند والحرب، **والثاني** للبنيان، **والثالث** للأمور العامة[3].

ثم أعلن نفسه خليفة سنة (316هـ/ 928م)[4].

1- الحميدي، جذوة المقتبس، ص33؛ ابن الأثير، الكامل: 6/ 257؛ المراكشي، المعجب، ص54؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 181؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 156.

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 157. وينظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص135؛ المراكشي، المعجب، ص54-55.

3- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص57؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 183.

4- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص60؛ ابن الابار، الحلة السيراء: 1/ 198؛

Allen, Marilyn Penn, B.S, Cultural Flourishing In Tenth Cenyury Muslim Spain Among Muslims, Jews, And Christians, A Thesis submitted to the Faculty of The School of Continuing Studies and of The Graduate School of Arts and Sciences in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, in Liberal Studies, Georgetown University, Washington D.C. December , 2008 , P. 40-41.

ومن أشهر التحديات الداخلية التي واجهها عبد الرحمن الناصر مع بداية توليه الإمارة هي التمردات في كركي وجبل البرانس، فتم إرسال قوة عسكرية، بقيادة عباس بن عبد العزيز القرشي، لإقرار الأمور فيها سنة (300هـ/ 912م)[1]، وتمرد كورة قبرة سنة (300هـ/ 912م)[2]، وضبط مدينة استجة بعد إنهاء التمرد فيها سنة (300هـ/ 912م)[3]، والتمردات في جيان ورية سنة (300هـ/ 912م)[4]، وتمرد سعيد بن هذيل في حصن المنتلون سنة (300هـ/ 912م)[5]، كما خرج الأمير سنة (300هـ/ 912م) لإقرار الأوضاع في حصون تاجلة وبسطة ومربيط وحصون وادي اش ومناطق جبل الثلج ومدينة شلوبينية[6]، واستمر في المسير إلى كورة رية والجزيرة الخضراء وقرمونة سنة (301هـ/ 913م)[7]، ومن التحديات الداخلية تمرد مدينة لبلة سنة (304هـ/ 916م)[8]، وتمرد حبيب بن عمر في مدينة قرمونة سنة (305هـ/ 917م)[9]، وتمرد كورة رية سنة (306هـ/ 918م)[10]، وتمرد عبد الرحمن بن عمر بن حفصون في حصن طرش سنة (307هـ/ 919م)[11] وتمرد كورة رية سنة (309هـ/ 921م)[12]، وكورة البيرة ورية وجبل ببشتر سنة (310هـ/ 922م)[13]، ومدينة ببشتر وحصون رية سنة

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 159.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 159.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 160.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 160-161.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 161.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 161.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 164.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 169.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 171.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 173.
11- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 174-175.
12- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 180.
13- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 182.

(311هـ/ 923م)[1]، وكورة البيرة وجيان سنة (313هـ/ 925م)[2]، وتمرد حفص بن عمر بن حفصون في مدينة ببشتر سنة (315هـ/ 927م)[3]، وتمرد ابن الزيات سنة(315هـ/ 927م)[4]، ومدينة ببشتر سنة (316هـ/ 928م)[5]، كما سار الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (317هـ/ 929م) إلى مدينة بطليوس، ثم إلى ماردة، ثم إلى اكشونبة، في حملة عسكرية، لإعادة ضبطهما[6]، ثم سار إلى مدينة ببشتر لإقرار الأوضاع فيها سنة (317هـ/ 929م)[7]، وواجه تمرد مدينة بطليوس ومدينة شاطبة سنة (317هـ/ 929م)[8]، وخروجه في قوة عسكرية لإقرار الأوضاع في مدينة طليطلة سنة (320هـ/ 932م)[9].

ومن أشهر التحديات الخارجية صد الهجمات التي قادها غرسية بن اذفنش صاحب جليقية على الأندلس، وانتهت بمقتله سنة (301هـ/ 913م)[10]. كما تم إرسال حملة عسكرية بقيادة أحمد بن محمد بن أبي عبدة إلى أرض الحرب سنة (304هـ/ 916م)[11]، وإرسال حملة عسكرية إلى بلاد الحرب بقيادة أحمد بن محمد بن أبي عبدة سنة (305هـ/ 917م)[12]، وأخرى إلى الثغر الأعلى بقيادة الحاجب بدر

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 183.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 189.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 193.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 194.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 196.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 199-201.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 201.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 201.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 206.
10-ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 166.
11-ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 169.
12-ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 170.

بن أحمد سنة (306هـ/ 918م)[1]، ثم قيام الأمير بحملة عسكرية إلى دار الحرب في وادي الحجارة سنة (308هـ/ 920م)[2]، وإرسال حملة عسكرية إلى بنبلونة بقيادة عبد الحميد بن بسيل سنة (311هـ/ 923م)[3]، والسير بحملة عسكرية إلى بنبلونة سنة (312هـ/ 924م)[4]، وإرسال حملة عسكرية إلى الثغر؛ حيث شانجة بن غرسيه سنة (314هـ/ 926م)[5]، ولتأمين الحدود الجنوبية للخلافة، عمد الخليفة عبد الرحمن الناصر بفتح مدينة سبتة المغربية سنة (319هـ/ 931م)[6]، وإرسال حملة عسكرية إلى جليقية سنة (327هـ/ 938م)[7]، وإرسال حملة عسكرية إلى بلاد العدوة بقيادة قاسم بن محمد لإخضاع دولة الأدارسة سنة (333هـ/ 944م)[8]، وإرسال حملة عسكرية إلى بلاد جليقية سنة (339هـ/ 950م)[9]، وأخرى إلى الروم سنة (341هـ/ 952م)[10]، وإرسال حملة عسكرية إلى جليقية سنة (342هـ/ 953م)[11]، وأخرى إلى دار الحرب سنة (346هـ/ 957م)[12].

فقضى عمره في الغزوات والحروب، إلى أن دانت له الروم[13]، فتمكن من توحيد البلاد، وأدى ذلك إلى إزدهار الصناعة والتجارة وحركة الموانئ، وكل ذلك سنفرده في فصل الخدمات التجارية.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 172.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 173.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 184-185.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 185.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 191.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 204.
7- ابن الأثير، الكامل: 6/ 447؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص98؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 168.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 211.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 217.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 218.
11- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 218.
12- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 218.
13- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص58.

توفي الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (350هـ/ 961م)[1]؛ بعد حكم دام خمسين عاماً. اأمن خلالها بلاد الأندلس، وأصبحت ملاذ طلاب العلم، وفتح آفاق التجارة نحو جميع البلاد، والوصول حتى الشرق.

2- الحكم الثاني (350- 366هـ/961- 977م):

هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته: أبو المطرف، ويقال: أبو العاص، لقبه المستنصر بالله[2]، كان جامعاً للعلوم، ومحباً لها؛ إذ "جمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من ملوك الأندلس قبله، وذلك بإرساله فيها إلى الأقطار، واشترائه لها بأعلى الأثمان"[3]، وهو بذلك ساعد على زيادة الحركة التجارية في الموانئ الأندلسية، وحتّم على الموانئ توفير الخدمات لجميع التجّار التي تدخلها.

وعمل إلى قطع الخمر في الأندلس، فأمر بإراقتها، وتشدد في ذلك، حتى إنه عمد إلى استئصال شجرة العنب، إلى أن قيل له إن الخمر يُعمل من التين، وغيره[4]. وذلك يدل على التقوى التي كان عليها الخليفة المستنصر بالله.

ويذكر ابن عذاري[5] رواية في غاية الروعة، يوضح فيها سياسة الخليفة الحكم المستنصر تجاه الرعية، فيذكر أنه قام سنة (356هـ/ 966م) بـ"مخاطبة العمال بكور

1- ابن الأثير، الكامل: 6/ 580؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 173.

2- الحميدي، جذوة المقتبس، ص33؛ المراكشي، المعجب، ص59؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 233.

3- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 186. وينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص33؛ المراكشي، المعجب، ص59؛ ريبيرا، خوليان، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ط2، دار المعارف، (مصر: 1994)، ص156؛ راضي، علي محمد، الأندلس والناصر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (د.م: 1967)، ص67.

4- المراكشي، المعجب، ص66.

5- البيان المغرب: 2/ 239.

الأندلس، يعنّفهم على جرأتهم، ويحذّرهم من سطوته وعقوبته؛ إذ اتصل به أن بعضهم قد استزادوا زيادات فاحشات، يعاملون بها الرعية ظلماً لهم؛ فأنكر ذلك عليهم".

ولهذا، فإن الأوضاع الداخلية في بلاد الأندلس كانت شبه مستقرة، بسبب السياسة الحكيمة للخليفة المستنصر بالله.

كما كان مواصلاً لجهاد الروم والمتمردين[1]، وأشهر التحديات الخارجية التي واجهت بلاد الأندلس خلال خلافته إرسال حملة عسكرية إلى شنت اشتبن سنة (352هـ/ 963م)[2]، وأخرى إلى ألبة بقيادة غـالب ويحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون سنة (354هـ/ 965م)[3]، كما اهتم بالقضاء على نفوذ الأدارسة في بلاد المغرب، والمتمثل في الحسن بن كنون، وجعل مناطق نفوذه خاضعة لبلاد الأندلس سنة (362هـ/ 972م)[4].

كما صد جميع الهجمات التي تعرضت لها الأندلس من قبل النورمان[5].

فكان لتلك السياسات الداخلية والخارجية التي اتبعها الخليفة الحكم المستنصر الدور البارز في تأمين الأمن الداخلي للأندلس، والذي بدوره كان أحد أسباب ذلك النشاط الاقتصادي الـذي ظهر في الأندلس خلال عهده، إلى أن توفي سنة (366هـــ/ 977م)[6]، فدخلت بلاد الأندلس مرحلة جديدة، تمثلت في ظهور الصراعات العنيفة بين العرب والبربر والعبيد، وكان على حساب سلطة الخليفة آنذاك، وشكّل ذلك الصراع معول هدم لبلاد الأندلس، إلى أن قوّض نظام الحكم الأموي (عصر الخلافة) في الأندلس، وشتّت البلاد، إلى دويلات حكم غير مستقرة.

1- المراكشي، المعجب، ص71.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 236.
3- ابن خلدون، العبر: 4/ 173.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 246-248.
5- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 42.
6- ابن الأثير، الكامل: 7/ 103؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 176.

3ـ هشام الثاني الخلافة الأولى (366ـ 399هـ/977ـ 1009م):

هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، كنيته أبو الوليد، لقبه **المؤيد بالله**، بويع له بالخلافة سنة (366هـ/ 977م)[1]، وعمره كان عشرة أعوام، وكان الأمر بيد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي رأى أن الخليفة صغير السن "مشتغل باللعب والفتك والخلاعة، فحجر عليه"[2]، وتغلب على الأمر[3]، ولم يترك للخليفة "سوى الخطبة والضرب باسمه للدينار والدرهم"[4]. فظهر في عهده بروز ما يُعرف بالحجابة العامرية التي ابتدأت بظهور:

أ- **المنصور بن أبي عامر** (367-392هـ/ 977-1002م): هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد[5]، استلم المنصور بن أبي عامر قيادة الدولة الأندلسية، بوصفه حاجباً للخليفة صغير السن، وبمباركة والدة الخليفة السيدة صبح، بعد أن ضمن لها "سكون الحال، وزوال الخوف، واستقرار الملك لابنها... وأمدّته المرأة بالأموال، فاستمال العساكر إليه"[6]، فعمد على بناء جيش قوي، بالاعتماد على المرتزقة[7].

ويبدو أن الأوضاع الداخلية كانت لا زالت مستقرة، فعدّ العدّة للغزوات الخارجية وقيادة حملات الجهاد على الثغور، فكانت أشهر تلك التحديات الخارجية،

1- ابن الأثير، الكامل: 7/ 104؛ المراكشي، المعجب، ص72؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 253.
2- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص62.
3- الحميدي، جذوة المقتبس، ص37.
4- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص62.
5- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 199؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 256.
6- المراكشي، المعجب، ص74.
7- ابن خلدون، العبر: 4/ 177؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 92.

والتي زادت عن خمسين غزوة خلال مدة حكمه للأندلس[1] السير في حملة عسكرية إلى حصن الحامة من بلاد جليقية سنة (366هـ/ 976م)[2]، وأخرى إلى مدينة مدريد، فافتتح حصن مولة، وأقر الأمور فيها سنة (366هـ/ 976م)[3]، كما سار في حملة عسكرية إلى طليطلة، فافتتح حصن المال وحصن زنبق، وأقر الأمور فيها سنة (367هـ/ 977م)[4]، وأرسل حملة عسكرية إلى بلاد العدوة ومحاصرة الحسن بن كنون للقضاء على دولة الأدارسة سنة (375هـ/ 985م)[5]، والسير في حملة عسكرية إلى بلاد البشكنس سنة (379هـ/ 989م)[6]، وأخرى إلى شنت ياقب سنة (387هـ/ 997م)[7]. كما قاد العساكر في غزو شمال الأندلس، ففتح برشلونة، وقتل ملكها بريل (Borrell)[8]، واستمر في تلك الحملات، إلى أن توفي سنة (392هـ/ 1002م)[9]، فتولى ابنه عبد الملك أمر الحجابة وإدارة الخلافة الأندلسية.

ب- عبد الملك المظفر بن أبي عامر (392-399هـ/ 1002-1008م):

هو أبو مروان المظفر بالله بن المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر المعافري، تولى الحجابة بعد موت أبيه، في شهر رمضان سنة (392هـ/ 1002م)،

1- المراكشي، المعجب، ص83. لغزوات المنصور بن أبي عامر ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص74-80؛ أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ن)، ص193-197.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 264.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 265.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 265.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 281.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 282.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 295.
8- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص63.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 301.

ولقب بالمظفر وسيف الدولة[1]، وأقره الخليفة هشام (المؤيد بالله) على الأمر[2]، ويذكر ابن سعيد[3] "بلغت الأندلس في مدته إلى نهاية الهدوء والرفاهية"، فقد ضبط الدولة، وحارب الفتنة ورموزها، وغزا النصارى[4]، وبتوليه، أصبح نظام الوراثة هو النظام السياسي المتّبع في إقرار الحجابة في الخلافة الأندلسية، والذي كان له الدور الكبير في نهايتهما[5].

وهذا الهدوء والاستقرار لم يأتيا من فراغ، بل من سياسات اتبعها تجاه أعداء الدولة، فغزا الروم العديد من الغزوات[6] لصد التحديات الخارجية، أشهرها السير في حملة عسكرية إلى بلاد الإفرنج، ففتح حصن ممقصر من برشلونة سنة (393هـ/ 1002م)[7]، وأخرى إلى بلاد جليقية سنة (395هـ/ 1004م)[8]، وثالثة إلى بنبلونة، ثم إلى سرقسطة، ثم إلى وشقة فبربشتر سنة (396هـ/ 1005م)[9]، كما سار في حملة عسكرية إلى قشتالة سنة (397هـ/ 1006م)[10]، وإلى حصن شنت سنة (398هـ/ 1007م)[11]، وإلى شانجة بن غرسية سنة (398هـ/ 1007م)[12].

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 3.
2- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص66؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 239.
3- المغرب في حلى المغرب: 1/ 213. وينظر: المراكشي، المعجب، ص85.
4- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 212-213.
5- مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 96.
6- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص66.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 4.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 4.
9- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 12.
10- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 13-14.
11- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 21.
12- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 23.

واستمر على نفس السياسة، إلى أن قتل سنة (398هـ/ 1007م)[1]، وتولى أخوه الحجابة العامرية.

جـ- عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر (398-399هـ/ 1007-1009م):

تولى الأمر (حجابة الخليفة المؤيد بالله) بعد موت أخيه، لكنه كان يختلف عنه في كل شيء[2]، فسمّته العامة بـ شنجول؛ أي أحمق[3]، وكانت له حملة إلى جليقية سنة (399هـ/ 1009م)[4]، فعمد على تسمية نفسه بولي العهد، "فضجّ بنو أمية، واستعظموا طغيانه وغيّه، فثار عليه وعلى هشام منهم ثائر"[5]، وهو محمد بن هشام بن عبدالجبار، فخلع الخليفة المؤيد بالله، وقتل عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر (شنجول) سنة (399هـ/ 1009م)[6]، ثم قام بالأمر من بعد ذلك[7].

وبخلع الخليفة المؤيد نجد أن بلاد الأندلس لم تهنأ بالاستقرار السياسي، وكان للبربر دور كبير في فقدان ذلك الاستقرار، بل زاد الأمر تولي أمر الأندلس شخصيات من خارج البيت الأموي، فدخلت البلاد في أتون الصراع العنيف على السلطة، وشاركت كل القوى المتنفذة في هذا الصراع، فهذا انقلاب المهدي على العامريين في سنة (399هـ/ 1009م)، وإلى إلغاء الخلافة في سنة (422هـ/ 1031م) لم تعرف الأندلس استقراراً سياسياً، بل أصبح التمزق سمة من سمات هذه المدة، وآل الأمر بعد

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 15، 24.

2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 213.

3- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص66. ويذكر ابن عذاري ان هذا الاسم لزمه وغلب عليه كون اسم أمه "عبدة بنت شنجة النصراني". البيان المغرب: 3/ 38.

4- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 48-49.

5- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص67.

6- ابن الأثير، الكامل: 7/ 105؛ المراكشي، المعجب، ص86؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 253؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 245؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 179.

7- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، هامش ص67.

ذلك إلى ما يعرف بدويلات الطوائف. وهو ما سنوضحه بشكل مختصر لاحقاً، كما سنبين دور الموانئ في تلك المدة.

4 ـ محمد بن هشام (الخلافة الأولى) (399 ـ 400هـ/1009 ـ 1010):

هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، لقبه المهدي، كنيته أبو الوليد، تولى الخلافة بعد يوم من خلع هشام بن الحكم سنة (399هـ/ 1009م)[1]، وقد فرح أهل قرطبة بخلافته فرحاً عظيماً، فأقاموا الولائم أياماً يتنقلون بها من موضع إلى آخر مع المزامير والملاهي، في أرجاء قرطبة[2]، وتهافت الناس إليه يبايعونه[3].

ومن إجراءاته لحفظ أمان قرطبة قيامه بإخراج الصقالبة الموالين للعامريين منها إلى أطراف الأندلس، وخاصة إلى الشرق[4]، للخلاص من شرورهم أولًا، ولزيادة قوة الثغور ثانياً.

ثم قام، فجند الأجناد من العامة، وقربهم إليه مُبعداً الصقالبة والبربر[5]. واستمر الحال من الهدوء، إلى أن حاول هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، القيام عليه بمساندة البربر، "فقام عامة أهل قرطبة مع المهدي، فانهزم البربر وأسر هشام بن سليمان، فأُتي به إلى المهدي، فضرب عنقه"[6].

فعمد البربر إلى شخصية أموية أخرى، وهي سليمان بن الحكم، والتفوا حوله لمعارضة الخليفة المهدي، فتمكنوا بعد مدة من إقصائه، وتنصيب سليمان خليفة في الأندلس[7].

1- المراكشي، المعجب، ص88؛ ابن الأثير، الكامل: 7/ 106؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 50.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 74.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 61-62.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 77، 83.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 82.
6- المراكشي، المعجب، ص88. وينظر: النويري، نهاية الأرب: 23/ 245؛ ابن خلدون، العبر: 4/ 180.
7- المراكشي، المعجب، ص88-89.

5ـ سليمان بن الحكم الخلافة الأولى (400هـ/1010م):

هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، كنيته أبو أيوب، لقبه **المستعين بالله**، تولى الخلافة في ربيع الأول من سنة (400هـ/ 1010م)[1]، ولغرض إقرار الأمور في الأندلس أرسل العمال إلى الولايات لتأمين استقرارها وتبعيتها لنظامه، وخرج إلى قتال الإفرنج الذين دخلوا مدينة سالم[2].

ولم يستمر طويلاً، بعد أن تمرد عليه البربر في نفس السنة، وخلعوه في شهر شوال لنفس السنة، ونصبوا هشام (المؤيد بالله) خليفة على الأندلس[3].

6ـ هشام الثاني (المؤيد بالله) الخلافة الثانية (400ـ 403هـ/1010ـ 1013م):

تولى الخلافة للمرة الثانية بعد خلع الخليفة سليمان، في شهر ذي الحجة من سنة (400هـ/ 1010م)[4] وقام بعدة إجراءات، الغرض منها استتباب الأوضاع في الأندلس، والقضاء على رؤوس الفتنة آنذاك، فعين واضح الفتى حاجبا لدولته وقتل محمد بن هشام بن عبد الجبار، وكتب إلى البربر للدخول في طاعته[5]، وعين ابن وداعة على شرطة مدينة قرطبة "فاشتد على أهل الريب، وهابه الجند وغيرهم"[6]. ثم بدأت الوفود تتوافد إلى الخليفة من العبيد والبربر، لإنهاء الفتنة، إلا أن ضعف الخليفة وعدم قدرته على إدارة البلاد لم تنجح كل تلك المساعي[7].

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 91-92؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 246؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 245.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 92-94.
3- المراكشي، المعجب، ص89؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 92.
4- ابن الأثير، الكامل: 7/ 287؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 100؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 245.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 100-101.
6- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 105.
7- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 108-111.

ففي سنة (403هـ/ 1013م)، حصل القتال بين أهل قرطبة والبربر الذين كانوا يساندون سليمان بن الحكم، والتي أنهت دولة الخليفة هشام الثاني (المؤيد بالله) نهائياً[1].

7- سليمان بن الحكم الخلافة الثانية (403- 407هـ/1013- 1016م):

تولى الخلافة للمرة الثانية، بعد يوم من خلع الخليفة هشام بن الحكم، وبمساندة البربر[2] سنة (403هـ/ 1013م)[3]، وكان من ضمن جنده رجلان من نسل الأدارسة، وهما القاسم وعلي أبناء حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﵁، فجعلهما على رأس الجند المغاربي، ثم جعلَ علياً والياً على مدينة سبتة وطنجة، وجعلَ القاسم والياً على الجزيرة الخضراء[4].

كما أدى نزول البربر في قرطبة إلى هجرة أكثرية مَن بقى من العبيد الصقالبة منها إلى بلنسية وشاطبة ودانية[5]. وهذه المدن الثلاث هي مدن أشهر الموانئ الأندلسية آنذاك، وهذا يؤكد أنها كانت ملاذاً آمناً لكل الأندلسيين.

إن حدوث الانقسامات في بلاد الأندلس بين البربر والعبيد (الصقالبة) شجّع علي بن حمود أن يراسل العبيد لدعمه في الحصول على السلطة في الأندلس، فحصل

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 112.

2- ابن الأثير، الكامل: 7/ 307؛ المراكشي، المعجب، ص90.

3- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 113؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 245.

4- المراكشي، المعجب، ص91؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 114-115؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 251. وعن نسل الأدارسة ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، ط4، راجع النسخة وضبط أعلامها: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2007)، ص45؛ فيلالي، عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، (القاهرة: 2001)، ص265؛ العلوي، أحمد بن علي، أنساب الشرفاء الأدارسة، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات، المملكة العربية السعودية، تحت رقم 7227.

5- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 115.

على الرد الإيجابي منهم، فسار بجيش إلى قرطبة، يريد السلطة، فحصل له ذلك بعد قتله للخليفة سليمان[1].

8ـ علي بن حمود (407 ـ 408هـ/1016 ـ 1018م):

هو أول مَن ملك الأندلس من بني هاشم، لقبه الناصر لدين الله؛ إذ خرج من مدينة سبتة التي كان عليها إلى مدينة مالقة سنة (405هـ/ 1014م)، ثم اتجه إلى مدينة قرطبة، فبويع له في قرطبة سنة (407هـ/ 1016م)[2].

لم تستمر حالة الوفاق بينه وبين العبيد الصقالبة؛ إذ عمدوا سنة (408هـ/ 1016م)، إلى تقديم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (الاموي)، ولقّبوه بالمرتضى، بعد مخالفتهم لعلي بن حمود، إلا أن شدته في تسيير الأمور لم تعجبهم[3]، واستمر علي بن حمود على الحكم، إلى أن قتله أحد العبيد الصقالبة، وهو في الحمام سنة (408هـ/ 1018م)[4]. فتولى الأمر بعده أخوه القاسم.

9ـ القاسم بن حمود الخلافة الأولى (408 ـ 412هـ/1018 ـ 1021م):

لقبه المأمون، كنيته: أبو محمد،[5] تميز عهده بالهدوء[6] إلا من بعض التمردات التي قضى عليها مثل تمرد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الناصر وموالي

1- المراكشي، المعجب، ص91.
2- ابن الأثير، الكامل: 7/ 328؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 116، 120؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 252؛ الصفاقسي، أبو الثناء محمود بن سعيد، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة والأطهار، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2011): 1/ 398.
3- ابن الأثير، الكامل: 7/ 329-330؛ المراكشي، المعجب، ص98؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 122.
4- ابن الأثير، الكامل: 7/ 330؛ المراكشي، المعجب، ص98.
5- ابن الأثير، الكامل: 7/ 331؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 124.
6- الحميدي، جذوة المقتبس، ص42.

العامريين عليه، فقتله[1]، إلى أن قام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود في مالقة، ففرّ القاسم إلى إشبيلية، ودخل يحيى إلى قرطبة دون قتال[2].

فكان للصراع بين الحموديين دورٌ كبيرٌ في عدم وجود استقرار سياسي على مستوى نظام الحكم في الأندلس. وكان للعبيد الصقالبة والبربر الدور نفسه في ذلك الأمر، من خلال استمالة البعض على البعض الآخر، ولم تكن تلك الاستمالة - بالتأكيد - إلا لمصالحهم العامة.

10 ـ يحيى بن علي بن حمود الخلافة الأولى (412 ـ 413هـ/1021 ـ 1022م):

تقدم ذكر نسبه عند نسب أبيه علي بن حمود، كنيته: أبو زكريا، وقيل أبو محمد، وقيل أبو إسحق، لقبه المعتلي بالله، بويع في قرطبة يوم الاثنين مستهل جمادي الأولى، سنة (412هـ/ 1021)، من قبل أهل الأندلس والبربر بعد فرار عمّه إلى مالقة[3]، فبقي بها، إلى أن جمع عمه القاسم قواته، فعاد مسيطراً على قرطبة[4].

11 ـ القاسم بن حمود الخلافة الثانية (413 ـ 414هـ/1022 ـ 1023م):

دخلَ إلى مدينة قرطبة في خلافته الثانية، يوم الثلاثاء الموافق 18 / ذي القعدة / سنة (413هـ/ 1022م)، فاستمال العبيد الصقالبة إلى نفسه، وبقي خليفة إلى أن خلعه أهل قرطبة[5]، ففرّ إلى مدينة إشبيلية، لمّا رأى من جور وتعسّف وقلّة طاعة البربر، واستقرّ بها[6].

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 125-131.
2- المراكشي، المعجب، ص99.
3- الحميدي، جذوة المقتبس، ص44؛ المراكشي، المعجب، ص99؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 131.
4- المراكشي، المعجب، ص99.
5- ابن الأثير، الكامل: 7/ 331؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 133-134.
6- المراكشي، المعجب، ص100؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 132.

12 ـ عبد الرحمن الخامس (414هـ/1024م):

هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله، كنيتهُ أبو المطرف، لقبهُ **المستظهر بالله**، تولى الخلافة سنة (414هـ/ 1024م)[1]، اتفق أهل الرأي في قرطبة على إعادة الأمر إلى بني أمية، فكان لهُ الأمر[2]؛ ثم غلبوا عليه، وقتلوه[3].

13 ـ محمد الثالث بن عبد الرحمن (414 ـ 416هـ/1024 ـ 1025م):

هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله، لقبه **المستكفي بالله**، كنيته أبو عبد الرحمن، تولى الخلافة سنة (414هـ/ 1024م)[4]، بعد أن قتل الخليفة عبد الرحمن بن هشام بمساعدة العامة، وتولى الأمر بعده[5]؛ إلا أنهم (العامة) كانوا السبب في خلعه ونفيه إلى الثغور، وعادَ الأمر إلى يحيى بن علي مرة ثانية[6].

14 ـ يحيى بن علي بن حمود الخلافة الثانية (416 ـ 418هـ/1025 ـ 1027م):

بعد خلع الخليفة محمد الثالث (المستكفي بالله) عن الخلافة، جيء بـ يحيى بن علي بن حمود الذي كان مستقراً في مدينة مالقة، فسار إلى قرطبة، بعد أن بايعه البربر، ودخلها يوم الخميس يوم 16 / رمضان / سنة (416هـ/ 1025م)[7]؛ فبقي بها إلى سنة (418هـ/ 1027م) بعد أن تم الاتفاق على رد الأمر إلى بني أمية[8].

1- ابن الأثير، الكامل: 7/ 333؛ المراكشي، المعجب، ص105؛ ابن الأبار، الحلة السيراء: 2/ 12.
2- الحميدي، جذوة المقتبس، ص45؛ المراكشي، المعجب، ص105؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 246.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 138.
4- الحميدي، جذوة المقتبس، ص47؛ ابن الأثير، الكامل: 7/ 334؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 54.
5- المراكشي، المعجب، ص105؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 246.
6- المراكشي، المعجب، ص107-108.
7- المراكشي، المعجب، ص102-103؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 143.
8- الحميدي، جذوة المقتبس، ص47؛ ابن الأثير، الكامل: 7/ 337؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 55.

15 ـ هشام الثالث (418 ـ 422هـ/1027 ـ 1031م):

هو هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر[1]، تولى الأندلس بعد الصراع السياسي الطويل الذي عانته، فأجمع أهل قرطبة على رد الأمر إلى بني أمية[2]، فاجتمعوا على هشام بن محمد، ليكونَ الخليفة سنة (418هـ/ 1027م)، كنيتهُ أبو بكر، لقبهُ المعتدَّ بالله[3]، لم تستمر خلافته طويلًا، فقد تمردَ عليه جمع من الجند، فخلعوه يوم الثلاثاء 12 / ذي الحجة/ سنة (422هـ/ 1031م)[4]، "وانقطعت الدولة المروانية من يومئذ"[5].

من خلال التقديم السابق للواقع السياسي لبلاد الأندلس خلال عصر الخلافة، تبين أن الدولة لم تكن بمنأى عن التحديات الداخلية أو الخارجية، وعملت بجد على معالجتها، بالسياسة تارة، وبالقوة تارة أخرى، وكان الازدهار الحضاري في ازدياد إلى سنة (366هـ/ 977م) بتولي الخليفة هشام الثاني للخلافة، وهو صغير السن، فبدأت بوادر التدهور، وازدادت تلك البوادر بعد وفاة الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة (392هـ/ 1002م)، ثم بانتهاء الحجابة العامرية سنة (399هـ/ 1009م)، وظهور الخلفاء الضعفاء مع تنامي قوة البربر والعبيد الصقالبة، فضلاً عن ظهور أحفاد الأدارسة، وتوليهم الحكم في الأندلس. كل تلك الأمور كانت سبباً في تدهور الأوضاع السياسية الداخلية في الأندلس، والتي عجّلت بالتأكيد في إنهاء حكم الأمويين فيها، وتشرذمها إلى دويلات صغيرة.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 145؛ النويري، نهاية الأرب: 23/ 256؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 246.
2- الحميدي، جذوة المقتبس، ص47؛ ابن الأثير، الكامل: 7/ 337؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 55.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 145.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 145.
5- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 55.

وقد بقيت ثغور بلاد الأندلس خلال تلك المدة مستقرة نسبياً، لأن الجيش العربي الإسلامي احتفظ بتفوقه في أكثر الأوقات، فضلاً عن أن عمليات الاسترداد الصليبية لم تظهر بشكلٍ جاد وقوي إلا بعد سقوط الخلافة[1].

لكن الواقع الحضاري للأندلس على عكس الواقع السياسي، فنلاحظ أنه كان محافظاً على دوره العالمي، وهذا ما برهنته الآثار المتبقية من تلك الحقبة، فلم نجد نصاً تاريخياً يذكر توقف الحركة التجارية طوالَ وجود التمردات الداخلية والأخطار الخارجية؛ بل العكس كانت التجارة مع المناطق الشمالية مستمرة وتكفل بها اليهود الراذانية وغيرهم من التجّار النصارى القادمين من البلاد الغربية عبر الأندلس براً، سالكين الممرات الجبلية عبر جبال البرتات[2]، كما عمل بعض المتمردين على تنشيط الحركة التجارية، فنجد قيام المتمرد عمر بن حفصون وأصحابه بعد سيطرتهم على ميناء الجزيرة الخضراء سنة (301هـ/ 913م) بتسيير المراكب التجارية إلى أرض العدوة في التجارات، فيقضون بها الحاجات، ويستفيدون من الأموال التي تدرّها عليهم تلك التجارات[3].

فهذا دليل واضح على أن بلاد الأندلس وموانئها لم تتأثر تجارتها بكل الأخطار إلى حد ما التي واجهتها، بل العكس، فما عمله الأمراء والخلفاء من اتباع سياسات متنوعة كان له دور كبير في إنعاش النشاط التجاري، ولا سيما في الموانئ وتقديم كافة السبل لذلك، وهذا ما سنفصّله في فصلي الخدمات والتسهيلات التجارية.

1- كونستبل، التجارة والتجار، ص36.
2- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، (ليدن: 1889)، ص154-155؛ لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص347؛ عبد العزيز، هشام فوزي، يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي 92-897/ 711-1492، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 1996، ع15، ص103.
3- المقتبس، تح: شالميتا، ص87.

الفصل الثالث

النشاط الاقتصادي ودوره في تنشيط موانئ الأندلس

أدى الواقع الجغرافي لبلاد الأندلس دوراً إيجابياً في النشاط الاقتصادي، فاستثمر الفاتحون لتلك البلاد التنوع في التضاريس ووجود الأنهار مع تنوع المناخ، بشكل جعلَ تلك البلاد ذات وارد اقتصادي كبير، وقد تطلّب هذا النشاط الاقتصادي وجود خدمات وتسهيلات تجارية، وهذا ما حدث حقاً، أي أنه لولا وجود نشاطات اقتصادية، لما ظهرت الحاجة إلى تلك الخدمات والتسهيلات التجارية.

اعتمدت الموانئ الأندلسية على النشاط الاقتصادي، بشكل كبير، مُشّكلاً سلسلة متواصلة، لا يمكن الفصل بينهما، في مختلف الميادين الاقتصادية ونشاطاتها، ولعل في مقدمتها:

أولاً: الزراعة:

تُعدّ الزراعة في مقدمة النشاطات الاقتصادية، بسبب شهرتها، وازدهرت بشكل ملحوظ في عصري الإمارة والخلافة، وذلك بسبب الاستقرار السياسي أولاً، لا سيما في عصر الأمراء الأول، مع توفر البيئة الجغرافية الملائمة لنجاح هذا النشاط، من

أرض خصبة، ومياه وفيرة، وتنوع في المناخ ثانياً، وانعكس ذلك في غزارة وتنوع الإنتاج الزراعي في الأندلس، حتى عدت الزراعة آنذاك الركيزة الأساسية للموارد المالية فيها[1].

وأطلق العرب المسلمون على الزراعة اسم الفلاحة أو فلاحة الأرض، وعرفها ابن خلدون[2] أنها "النظر في النبات، من حيث تنميته، ونشؤه بالسقي والعلاج، واستجادة المنبت، وصلاحية الفصل، وتعاهده بما يصلحه ويتمّه من ذلك كله".

ويعرّفها ابن العوام[3] تعريفاً كاملًا بأنها إصلاح الأرض "وغراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يصلحه التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها، وإصلاح ذلك، وإمداده بما ينفعه، ويجوده، وعلاج ذلك بما يدفع بمشية الله الآفات عنه، ومعرفة جيد الأرض ووسطها والدون منها، وهذا هو الأصل الذي لا يستغنى عنه، ومعرفة ما يصلح أن يزرع أو يغرس في كل نوع منها من الشجر والحبوب والخضر واختيار النوع الجيد من ذلك، ومعرفة الوقت المخصص بزراعة كل صنف منها، والهوى الموافق لذلك وغراسة ما يغرس فيها، فكيفية العمل في الزراعة وفي الغراسة أيضاً، ومعرفة أنواع المياه التي تصلح للسقي

1- البكر، خالد بن عبد الكريم، النشاط الاقتصادي في الأندلس، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، (الرياض: 1993)، ص102؛ القيسي، الزراعة والري في الأندلس، ص74؛ أبو ارشيد، ارشيد يوسف، الحضارة الإسلامية، ط2، مكتبات ونشر العبيكان، (المملكة العربية السعودية: 2005)، ص446؛
Seeley, Robert Benton , The Spanish Penisula , London, p.69.

2- ابن خلدون، العبر: 1/ 548.

3- ابن العوام، يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي، الفلاحة، تح: جوزفي انطونيو نيكودي، (مدريد: 1802)، ص6-7. وينظر: بنحمادة، سعيد، التراث الفلاحي الإسلامي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط مقوماته ومراحل تطوره، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، (الدار البيضاء: 2011)، ص61.

لكل نوع منها، وقدرة ومعرفة الزبول، وإصلاحها، وما يصلح منها بكل نوع من أنواع الأشجار والخضر والزرع والأرض، وكيفية العمل في عمارة الأرض قبل زراعتها وبعد غراستها وتزبيلها وتعديلها لجر الماء عليها بعد سقيها، وتقدير ما يحتمل من الأرض من أنواع البذر... وعلاج الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة لها، وتدبير ذلك كله، والقيام عليه بما يصلحه".

فمن خلال النص المذكور آنفاً، يتبين لنا أن الزراعة في الأندلس كانت منظمة بشكل دقيق، ولم تكن تدار بطريقة عشوائية، أو كيفية، وإنما وفق أسس وقواعد وأصول[1].

ونستطيع من النص المذكور آنفاً أن نوضح تلك الأسس والأصول، من خلال تحليله؛ إذ يبين:

1. أن الزراعة لها تعريف خاص منوط بها، وكل مَن يعمل وفق هذا التعريف، فإنه يعدّ مزارعاً، فهي: غراسة الأشجار، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها، سواء بشكلٍ طبيعي، أو باتباع وسائل التطعيم الزراعي.
2. مَيّزَ أهل الأندلس بين الأراضي الصالحة للزراعة، والتي تجود فيها محاصيل زراعية بعينها، وبين الأراضي غير الصالحة لمثل هذه المحاصيل، وذلك يعتمد على الخبرة والتجربة الطويلة[2].
3. معرفة أوقات زراعة المحاصيل، فلكي تحصل على إنتاج جيد، يجب زراعة كل منتج في وقته المحدد.

1- Archibald, Wilberforce, Spain and her Colonies , NEWYORK, (Peter Fenelon Collier: MDCCCXCVIII), P.19.

2- ينظر: النعسان، محمد، الزراعة في الأندلس، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت) على الموقع:

www.zeraiah.net.

4. معرفة أنواع المياه التي يحتاجها كل نوع من المحاصيل، أو الأشجار، وتتبع ذلك بدقة، وتوفير ما يحتاجه من الماء دون زيادة، أو نقص.
5. استخدام الأسمدة الحيوانية، وبشكل يحدده نوع المحصول، فلكل محصول نوع محدد من السماد الحيواني، ومراعاة ذلك، فضلاً عن استخدام النوع المناسب من تلك الأسمدة[1].
6. تعديل الأراضي الزراعية بشكل مستمر، لضمان وصول الماء إلى جميع المزروعات، وبشكل متساو.
7. تحديد كمية البذور لكل منطقة محددة من الأرض، وبذرها، أي أن لا تكون عملية البذر عشوائية وكثيفة، فيجب أن تكون منظمة.
8. معالجة المزارع من الآفات التي تلحق بها، وعدم تركها دون علاج[2].

كل تلك الأمور بيّنت أن الزراعة في الأندلس كانت زراعة منهجية، وهذا هو السبب في ازدهارها.

وبذلك، فقد تطورت الزراعة في الأندلس بعد دخول المسلمين إليها؛ إذ أدخلوا العديد من الأصناف الزراعية إلى بلاد الأندلس كزراعة قصب السكر والتوت والأرز والقطن والموز[3]، كما عمدوا إلى الاهتمام بالزراعة، من خلال تنظيم وإصلاح وسائل

1- النكادي، يوسف، أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الانسانية - الرباط، (الدار البيضاء: 2011)، ص258.

2- بوتشيش، إبراهيم القادري وعبد الهادي البياض، التربة: آفاتها، تقنيات علاجها وتدبير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية (القرن 5هـ/ 11م)، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، (الدار البيضاء: 2011)، ص215-216.

3- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، دار بيبليون، (باريس: 2008)، ص274.

الري فيها، فبـنوا السدود البدائية، وشقّوا القنوات والأنهار، وأقاموا عليها القناطر والجسور، وحفروا الآبار، وجمعوا مياه الأمطار في خزانات كبيرة[1]. وكانوا مهرة في تصريف مياه الأنهار، وتوزيعهـا بواسطة السدود والقنوات والسواقي، كما برز دور الطواحين الأفقية في نقل المياه إلى الأراضي الزراعية فضلاً عن كونها أرحية لطحن الحبوب[2]. للاطلاع على بعض أدوات العمل الزراعي في بلاد الأندلس، ينظر الأشكال رقم (8) ورقم (9) ورقم (10).

وكانَ لحيوانات العمل اهتمام خاص، ولا سيما تلك التي تستخدم في حرث الأرض، فقد كانت بعض القرى تختص في تربيتها[3].

وبسبب التنوع الجغرافي، فقد عرفت بلاد الأندلس الكثير من المحاصيل الزراعية، والتي ساهمت بشكل كبير على سد احتياجات البلاد وما كان يفيض عن

1- المسعودي، جميلة مبطي، أقصى الغرب الأندلسي دراسة سياسية حضارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2010، ص161؛ توماس ف. غليك، التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، تر: صلاح جرار، مراجعة: همام غصيب، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 2/ 1351-1352؛ الطاهري، أحمد، تقنيات الفلاحة الأندلسية بين التراث العلمي المحفوظ والدراسات التاريخية، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، (الدار البيضاء: 2011)، ص190.

2- سانشيز، اكسبيراثيون غارثيا، الزراعة في إسبانيا المسلمة، تر: أكرم ذا النون، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 2/ 1379؛ الطيبي، توفيق أمين، كتب الفلاحة الأندلسية أرجوزة ابن ليون التجيبي في الفلاحة، بحث منشور ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، (تونس: 1997): 2/ 415؛ غليك، التكنولوجيا الهيدرولية: 2/ 1359-1360.

3- لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد الغرناطي الأندلسي، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرحه وضبطه وقدم له: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2003): 1/ 32.

الحاجة، كان يصدر إلى البلدان الأخرى، كما أن البلاد من خلال إنتاجها تلك المحاصيل قد علمت ما تحتاج إلى استيراده من البلاد المجاورة، وبالحالتين كلتيهما كانت الموانئ هي السبيل لذلك التبادل التجاري، بل إن ذلك فرض على الموانئ إيجاد الأجواء المناسبة سواء للتصدير أو الاستيراد، وهو ما سنوضحه في فصلي الخدمات والتسهيلات التجارية.

ومن أشهر المحاصيل التي كانت بلاد الأندلس تنتجها هي:

1 ـ الحبوب وأنواعها:

أ- القمح والشعير: يعدّ محصولي القمح والشعير الغذاء الرئيسي للسكان في الأندلس، ولا سيما بعد طحنهما، وجعلهما دقيقاً[1]، وتأتي الأهمية ابتداء للقمح؛ إذ يزرع في مدن الأندلس، كـ اشبونة التي يذكر الزهري[2] أنها "كثيرة الأرزاق من الزرع والحبوب"، وتعدّ أراضي مدينة مرسية من أجود الأرضي لزراعة القمح؛ إذ تنتج الحبة من القمح أضعاف ما تنتجه باقي المناطق[3].

وتصنف أراضي مدينة يبورة[4] من الأراضي الخصبة، كونها تنتج القمح بوفرة، ولا يوجد في الأندلس منطقة أكثر منها إنتاجاً له[5]، ويشتهر فحص بلاطة الموجود بين

1- البكر، النشاط الاقتصادي، ص128؛ وينز، دايفيد، فنون الطبخ في الأندلس، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 2/ 1030.

2- الجعرافية، ص85.

3- الزهري، الجعرافية، ص100.

4- يبورة: من مدن الأندلس الكبيرة والعامرة بالسكان، تبعد عن بطليوس مرحلتان، فيها أسواق ومسجد جامع، وتشتهر بزراعة القمح والبقوليات فضلاً عن الفواكه، وتزدهر بالتجارات الداخلة والخارجة منها. الحميري، الروض المعطار، ص616.

5- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 544.

لشبونة وشنترين بزراعة القمح، ففيه الأراضي الشاسعة التي يستمر الحصاد فيه أربعين يوما[1].

ولمدينة استجة فحص ممتد "جيد الزراعات كثير الإصابة في الحنطة والشعير"[2]، وكذلك مدينة شريش تتميز بزراعة القمح "وأسعارها موافقة"[3]، ولا تقل مدينة ابدة[4] شهرة بوجود مزارع القمح والشعير[5]، وتجود أراضي شبرب (من أعمال بلنسية) بالقمح[6].

وبذلكَ تنتشر زراعة الحبوب في أرجاء كثيرة من الأندلس غطت غالبية حاجة أهل الأندلس من الحبوب، وكانت بلاد الأندلس تغطي النقص من خلال استيراده من بلاد المغرب العربي، لاسيما من مدينة تنس[7] ومكناسة الزيتون[8].

ب- الأرز: يزرع في بلنسية، بسبب جودة أرضها وتناسبها لهذا المحصول[9].

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 550؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص46؛ بروفنسال، ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، ترجمة إلى الإسبانية: إميليو جارثيا جومث، ترجمة إلى العربية: علي عبد الرؤوف البمبي - علي إبراهيم المنوفي، مراجعة: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة: 2002)، مج2: 1/ 236.

2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 572.

3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 572-573.

4- ابدة: مدينة في الأندلس تقع على النهر الكبير من أعمال جيان، أسسها الأمير عبد الرحمن الحكم (206-238هـ/ 822-852م)، بينها وبين مدينة بياسة سبعة أميال. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 64؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص15.

5- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 569؛ الحميري، الروض المعطار، ص6.

6- ابن غالب، محمد بن أيوب، نص أندلسي جديد قطعة من كتاب (فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس)، تح: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مطبعة مصر، القاهرة، 1955، مج1: 1/ 285.

7- ابن سعيد، الجغرافيا، ص142.

8- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 181.

9- العذري، ترصيع الأخبار، ص17؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 242؛ السامرائي، خليل إبراهيم، ري بلنسية الأندلسية والأحكام والضوابط المتعلقة، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بيت الحكمة، (بغداد: 1987)، ص355.

جـ- القطن والكتان:

كانَ للعرب المسلمين دور في ظهور هذه الزراعة في الأندلس[1]، وصاحب الفضل الأكبر في ذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م)؛ إذ يعد أول مَن أدخل زراعة وصناعة القطن إلى الأندلس[2].

وهما من المحاصيل المشهورة في الأندلس، وذلك بسبب جودة تربة الأندلس، ولا سيما المناطق التي تزرع فيها تلك المحاصيل حتى تصل تجارتها إلى إفريقيا[3]، فابن الفقيه يؤكد كثرة القطن والكتان في بلاد الأندلس[4]، ومن مدن الأندلس المشهورة بتلك الزراعة مدينة إشبيلية، بسبب جودة تربتها، فاشتهرت بزراعة القطن؛ بحيث إن زراعة القطن الإشبيلي لا تضاهيه زراعة في أرض من الأندلس[5]، ومن كور إشبيلية مدينة رندة التي تتميز بوجود مزارع كثيرة للقطن فيها[6]. كما تشتهر اندراش بالكتان ويصفه الحموي[7]" بالفائق"، فضلًا عن وجوده في مدينة شبرب[8]، وتعدّ مدينة البيرة من مدن الأندلس المشهورة بزراعة الكتان الذي يعادل كتان النيل[9].

1- Seeley, The Spanish, p.69.

2- عبد اللطيف، عصام أحمد، كساء الإنسان وتطور صناعته، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي، مطبعة الرشاد، 13-15/ شباط، (بغداد: 1989): 1/ 122.

3- العذري، ترصيع الأخبار، ص96.

4- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، (ليدن: 1302)، ص88.

5- العذري، ترصيع الأخبار، ص96؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص293؛ الحميري، الروض المعطار، ص59؛ العبادي، أحمد مختار، الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، أبريل - مايو - يونيو، 1980، مج 11، ع1، ص143؛ سلمان، مثنى فليفل، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1990، ص39.

6- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 329.

7- معجم البلدان: 1/ 260.

8- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص285.

9- الرازي، صفة الأندلس، ص68؛ الحميري، الروض المعطار، ص46.

وتأتـي أهميـة هذيـن المحصوليـن فـي أنهمـا يسـتخدمان فـي المجـالات الصناعيـة، ولا سـيما صناعـة النسـيج وصناعـة الحبـال، وكذلـك اسـتخدام الزيـت المستخرج منه في الإنارة.

وعن زراعة القطن، يذكر ابن ليون[1] هذه الأبيات:

ونـــحـــو ســـبـــع ســـكـــك لـــلـــقـــطـــن قُـــلْ
مـــع دبـــغ حـــبِّـــه تـــجـــدْ وجـــهَ الـــعـــمـــلْ
وسَـــــقْـــــيُـــــه كـــــل أســـــبـــــوع ومـــــا
نُـــقـــش طـــــاب وأتَـــــــى مـــتـــمَّـــمـــا

والتي تبين مدى المعرفة التي كان يتمتع بها أهل الأندلس في زراعة هذين المحصولين، وأنها كانت زراعة منظمة تتبع الأسلوب العلمي المنهجي.

د- البقوليات:

كمـا انتشـرت زراعـة البقوليـات فـي الأندلـس بشـكل ملحـوظ، فهـذه مدينـة يـورة من مـدن الأندلـس المشـهورة بزراعـة البقوليات، بسـبب خصوبـة تربتها التي لا تضاهيها تربة[2].

2. الفواكه وأنواعها:

يذكر المقّري[3] برواية ابن سعيد أن الأندلس أكثر البلاد وفرة بالفواكه بقوله "وأما الثمار وأصناف الفواكه؛ فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها". وأكثر هذه الفواكه شهرة هي:

1- الطيبي، كتب الفلاحة الأندلسية: 2/ 426.
2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 544-545.
3- نفح الطيب: 1/ 200. وينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 195.

أ- التين:

تكاد الأندلس تتميز بوجود التين، وكثرة أنواعه، فهنالك التين القوطي، والتين المالقي، والتين الشعري[1]. وتنتشر زراعة التين في أغلب مدن الأندلس. فتعد مدينة مالقة من أشهر مدن الأندلس بزراعة التين ووفرته فيها[2].

حتى إن المثل يضرب بجنس التين المالقي، فقال الشاعر فيه[3]:

مـالـقـة حُـيِّـــيـتَ يـا تينها   الـفُـلْـكُ مـن أجـلـك يأتِينها

نهى طبيَبي عـنـهُ فـي عِلتَي   مـا لطبيبي عـن حَياتي نهَى

كما اشتهرت مدينة إشبيلية بوجود التين فيها بكثرة حتى إن ظلال أشجاره يمتد على مسافة أربعين ميلاً[4]، ولا تخلو مدينة أندة - ضمن أعمال بلنسية- من زراعته، فيوجد فيها بكثرة[5]، فضلًا عن مدينة شنتمرية، ووصفها الشريف الإدريسي[6] بأنها "كثيرة الأعناب والتين"، وتتميز مدينة اشكوني الواقعة ضمن كورة تدمير أن التـين يوجد فيها من غير غراسه[7]، فضلًا عن مدينة لقنت[8]، وجزيرة يابسة التابعة للأندلس؛ إذ يكثر فيهما التين[9].

1- الشقندي، فضائل الأندلس، ص52؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 200؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 242.
2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 423؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني، (بيروت: د.ن)، ص438.
3- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص234؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 151.
4- الحميري، الروض المعطار، ص59.
5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 264.
6- نزهة المشتاق: 2/ 543.
7- الحميري، الروض المعطار، ص61.
8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.
9- الزهري، الجعرافية، ص129.

ب- الزيتون:

يذكر ابن الفقيه[1] أن بالأندلس "زيتون كثير"، لذا؛ فتعد زراعة الزيتون من الزراعات المشهورة في بلاد الأندلس والمنتشرة في معظم مدنه، ففي مدينة إشبيلية يوجد الكثير من أشجار الزيتون[2]، وتوجد أشجار الزيتون كذلك في مدينة بسطة القريبة من وادي اش من أعمال جيان[3]، فضلًا عن حصن اركش الواقع على وادي لكة؛ إذ يتميز بوجود أشجار الزيتون فيه بكثرة[4]، وكورة قبرة التي تميزت بكثرة الزيتون[5]. فضلًا عن مدينة لبلة وحصن ببشتر[6].

ويستفاد من تلك الزراعة ما يستخلص من الزيوت التي تستخدم في الإنارة أولاً، وفي الطبخ ثانياً، فقد كانت تصدر بلاد الأندلس من الزيتون الشيء الكثير حتى أصبح سمة لها.

جـ- الكمثرى: من الفواكه المشهورة لكثرة زراعتها في الأندلس، فتوجد في مدينة اشكوني[7]، فضلًا عن مدينة شنترة[8] التي تعدّ من أكثر البلاد زراعة للكمثرى[9].

1- مختصر كتاب البلدان، ص88.

2- العذري، ترصيع الأخبار، ص95؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي: 1/ 195؛ الحميري، الروض المعطار، ص59؛ دوبلانهول، كزافييه، تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر: معاوية سعيدوني، تقديم ومراجعه: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، (تونس: 2008)، ص337.

3- الحميري، الروض المعطار، ص113؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 237.

4- الحميري، الروض المعطار، ص28.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 305.

6- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص292، 295.

7- الحميري، الروض المعطار، ص61.

8- شنترة: من مدن لشبونة. ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص291.

9- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 543؛ الحميري، الروض المعطار، ص347.

د- **التفاح**: يذكر الحميري[1] وجوده في مدينة شنترة بقوله "وهي أكثر البلاد تفاحاً، ويجلّ عندهم حتى يبلغ دورها أربعة أشبار".

هـ- **الرمان**: من الفواكه المعروفة في الأندلس، ويوجد في مدينة اشكوني بكثرة[2].

و- **البندق**: تزرع أشجار البندق في الأندلس، وتتميز بعض المدن به، ومنها مدينة فريش؛ إذ يذكر ياقوت الحموي[3] أن "فيها البندق الكثير".

ز- **الخوخ**: يُزرع في الأندلس بكثرة[4].

ح- **الموز**: يشتهر حصن شلوبينية الواقع ضمن أعمال كورة البيرة بأنه كثير الموز[5]، فضلًا عن مدينة شمجلة من أعمال رية أنها يكثر فيها الموز[6].

ط- **الصنوبر**: أو شجر الشبين[7]، حظيت أشجار الصنوبر بالاهتمام من قبل المزارعين لما لها أهمية في الحياة العامة في الأندلس، واستخدامها في كثير من الصناعات، ولا سيما صناعة السفن والمراكب، فيوجد شجر الصنوبر بكثرة في مدينة طرطوشة[8]، والذي ليس له نظيرٌ في الطولِ والغلط عن باقي أشجار الصنوبر في الأندلس[9].

1- الروض المعطار، ص347. ويذكر ياقوت الحموي أن "فيها تفاحاً، دور كل تفاحة ثلاثة أشبار". معجم البلدان: 3/ 367. وينظر: الغرناطي، أبو حامد محمد بن عبد الرحيم بن سليمان المازني القيسي، المعرب عن بعض عجائب المغرب، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1999)، ص15.

2- الحميري، الروض المعطار، ص61؛ خلف، محمد مولود، فضل العرب على زراعة الرمان بالأندلس، منشور في ندوة التربة والزراعة عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، (جامعة بغداد: 1988)، ص4.

3- معجم البلدان: 4/ 259.

4- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 200.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 360.

6- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 361.

7- الحميدي، جذوة المقتبس، ص239؛ ابن خراط الإشبيلي، اقتباس الأنوار، ص190.

8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 734؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص286.

9- الحميري، الروض المعطار، ص391.

ي- العنب: يكثر العنب في مدينة شنتمرية الواقعة ضمن مدن اكشونبة[1]، كذلك في مدينتي طركونة ولبلة؛ إذ فيهما من العنب ما لا يحصى[2]، ومدينة لقنت فيها من الأعناب الكثير[3].

ك- القراسيا: يزرع وينتشر في مدينة بلنسية؛ إذ يذكر الحموي[4] أن "الغالب على شجرها القراسيا، ولا يخلو منه سهل، ولا جبل"، كما يوجد في سواحل شنترين وشذونة[5].

ل- التوت: يشتهر وجود التوت في حصن شنش القريب من مدينة المرية؛ إذ فيه التوت الكثير[6]، وكذلك يوجد في مدينة بسطة القريبة من وادي اش[7].

م- قصب السكر: تنتشر زراعة قصب السكر في أغلب المدن الأندلسية[8]؛ إذ يزرع في مدينة إشبيلية، ويعدّ ساحلها من السواحل التي تشتهر بهذه الزراعة[9]، كما يزرع في حصن شلوبينية من أعمال البيرة على ساحل البحر[10]، فضلًا عن مدينة شمجلية ضمن أعمال رية، تتميز بكثرة قصب السكر[11]. ويستخدم مستخلص القصب في مجالات صناعية عديدة، ولا سيما صناعة الكعك والحلوى[12].

1- الحميري، الروض المعطار، 347.
2- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص292؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص132.
3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.
4- معجم البلدان: 1/ 490.
5- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 144.
6- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 164.
7- الحميري، الروض المعطار، ص113.
8- واطسون، اندريو، الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي، تر: أحمد الاشقر، مراجعة: محمد نذير سنكري، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، (سوريا: 1985)، ص63.
9- العذري، ترصيع الأخبار، ص96؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص293؛ الحميري، الروض المعطار، ص59.
10- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص283؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 360.
11- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 361.
12- مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تح: امبروزيو اويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج التاسع والعاشر، 1962، ص231-233.

ن- **الجوز واللوز**: يوجد الجوز في حصن فريرة القريب من جبل شلير، الذي يتميز بأنه طعمه يختلف عن باقي الجوز في المناطق الأخرى[1]، كما يوجد بكثرة في مدينتي طركونة والبيرة[2] فضلًا عن حصن ببشتر[3].

3. النباتات العطرية:

أ- **الزعفران**: يستخدم في كثير من الأطعمة الأندلسية[4]، وتكثر زراعته في الأندلس، فيزرع في بلنسية الكثير منه[5]، كما يزرع في بياسة الواقعة ضمن كورة جيان[6]، وتعدّ طليطلة من مدن الأندلس المشهورة بزراعته[7]، وتشتهر منطقة وادي الحجارة بأنها من غلاتها الكثيرة الزعفران[8]، كما يجود في مدينة باغة[9].

ب- **العنبر**: مادة كالشمع، تفرزها الحيتان، وتستخدم في تصنيع العطور[10]. ويوجد على ساحل مدينة لشبونة على المحيط الأطلسي ويتميز عنبرها بأنه فائق[11]،

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 567.
2- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص283؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص132.
3- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص295.
4- سانشيز، الزراعة في إسبانيا: 2/ 1378؛ أبو الفضل، محمد أحمد، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515-686هـ/ 1121-1287م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية: 1996)، ص260.
5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 490؛ ابن كثير، تقويم البلدان، ص167؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص133.
6- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص284؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 518؛ الشقندي، فضائل الأندلس، ص55-56.
7- البكري، المسالك والممالك: 2/ 394؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 40؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 143.
8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 553؛ الحميري، الروض المعطار، ص606.
9- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص283.
10- جواتياين، س.د.، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، (الكويت: 1980)، هامش ص214.
11- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 195.

كما يوجد في ساحل مدينة باجة[1]؛ وفي ساحل مدينة شذونة أطيب العنبر العربي فيها[2]، وفي شلب شمال وغرب إشبيلية على ساحل المحيط الأطلسي يوجد من العنبر الكثير، ولا سيما في شنترين[3]، كما يوجد على ساحل مدينة اكشونبة[4].

جـ- العصفر: تكاد مدينة إشبيلية تنفرد بزراعة العصفر وإنتاجها له عن باقي مدن الأندلس[5]، ويستخدم كمادة أولية في الصباغة ومواد الزينة[6].

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 356.
2- الحميري، الروض المعطار، ص339.
3- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، مسالك الممالك وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، مطبعة بريل، (ليدن: 1927م)، ص46؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 380.
4- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص291.
5- الحميري، الروض المعطار، ص59.
6- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، كتاب النبات، تح: برنهارد لـﭭين، فرانز شتاينر بـﭭيسبادن للنشر، (د.م: 1974): 3/ 167؛ بولنز، لوسي، نباتات الصباغة والنسيج، تر: مصطفى الرقي، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 2/ 1391.

ثانياً: الصناعات والحرف:

اهتمت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة بالصناعة اهتماماً بالغاً، بعد أن شاهدت الأوضاع التي وصلت إليها بقية الأقاليم من خلال الصناعة، فكان لوفرة عوامل النهوض الصناعي من مواد أولية وأيد عاملة أثر كبير في تطور الصناعة في الأندلس.

ولا نستطيع هنا أن نلم بكلِ الصناعات التي ظهرت في الأندلس في تلك الحقبة إلا أننا يمكن أن نبين دور تلك الصناعات ومكانتها في ازدهار حركة التجارة في الأندلس؛ فنجد أنه كان من أولويات عمل الأمير عبد الرحمن الداخل بعد دخوله إلى مدينة قرطبة، والتي استقر بها سنة (138هـ/ 755م)، بناءه للقصر، والمسجد الجامع[1].

وهذا الأمر بالطبع يحتاج إلى صناع وعمال مهرة، ولم يستطع الداخل عمل تلك الاعمال لولا وجود العمال الماهرين، فهذا دليل على وجود أيد عاملة ماهرة، تجيد الصناعات الحرفية واليدوية.

ويذكر ابن حيان[2] في حديثه عن الأمير محمد واهتمامه بالصناعة أنه كان "مشغوفاً بتشييد مبانيه، مستنبطاً لآلاتها، مختاراً لصناعاتها، مبالغاً في إتقانها، ساخياً بالإنفاق عليها، مؤثراً لأنافة أشخاصها على فسح ساحاتها، راغباً عما كان يأخذ به

1- مجهول، أخبار مجموعة، ص80-83؛ ابن الأثير، الكامل: 4/ 641؛ الشطشاط، علي حسين، تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة: 2001)، ص102.

2- المقتبس، تح: مكي، ص226-227.

آباؤه من الاقتصاد في تنجيدها إلى ضد ذلك من التفخيم لها والإعلاء لغررها... وتفخيم مصانعها، وتوسيع أقطارها".

فهذا النص يوضح لنا مدى اهتمام الأمراء في الأندلس بالصناعة من خلال تشييد الأبنية لذلك، وجلب الآلات، واختيار أنواع الصناعة، وجلب الصناع المهرة وبذل الأموال الطائلة لذلك، وتوسيع تلك الخدمة في الأندلس.

ومن شواهد تطور الصناعة آنذاك ما صنعه عباس بن فرناس من آلة سماها المنقالة، وهي ساعة لمعرفة الأوقات، فأحكم صناعتها، ورفعها إلى الأمير محمد[1] ونقش عليها هذه الأبيات[2]:

ألا إنـنـي لـلـديـن خـيـرُ إداةٍ — إذا غابَ عَنكُم وقتَ كلِ صلاةْ
ولم ترَ شمسَ النهارِ ولم تنرْ — كواكبُ ليلٍ حالك الظلماتِ
بُيمن أميرُ المسلمينَ محمدً — تجلتْ عن الأوقـاتِ كَلُّ صلاة

كما قام الخليفة الحكم المستنصر بالله سنة (354هـ/ 965م) بإرسال وفد إلى ملك الروم لجلب الفسيفساء للمسجد الجامع، داعياً إلى مجيء الصانع لتركيبها، وعند مجيئه، عمد الخليفة الحكم المستنصر إلى جعل عدد من مماليكه يرافقونه "لتعلم الصناعة، فوضعوا أيديهم معه في الفسيفساء المجلوبة، وصاروا يعملون معه، فأبدعوا، وأربوا عليه، واستمروا بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم"[3].

يوضح لنا هذا النص مدى اهتمام الخلافة بالصناعات في الأندلس، والعمل على وجودها فيها دون الحاجة إلى جلبها من مكان آخر، وهذا الإهتمام نجده من خلال كثرة المصانع التي انتشرت في أغلب مدن الأندلس، وكان لهذا الاهتمام دور إيجابي في تنشيط الموانئ الأندلسية، من خلال تصدير البضائع واستيراد ما يحتاجه

1- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص282.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص282-283.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 237-238.

الأندلسيون في صناعاتهم من البلدان الأخرى، وهذا النشاط حتّم على أهل البلاد العمل في ترويج سلعهم في الموانئ وتسهيل تقديم كل الخدمات التي يحتاجونها في الموانئ. ولهذا؛ فقد تعددت وتنوعت الصناعات في بلاد الأندلس، فظهرت العديد منها، ولعل أبرزها:

1. الصناعات المعدنية:

تتميز الأندلس بوفرة معادنها؛ إذ يذكر صاحب تاريخ الأندلس[1] أنه كان في بلاد الأندلس "نيف على ثمانين معدناً في أنواع مختلفة من الرصاص والنحاس والقزدير والفضة وغير ذلك".

وسبّب ذلك الوجود للمعادن إلى ظهور صناعات، أهمها:

أ- صناعة الحديد: يعدّ الحديد من أكثر المعادن شيوعاً في المجالات الصناعية، وكان سبباً في ازدهار الصناعة في الأندلس لتوفره في مدن عديدة من الأندلس[2]، فهو يوجد في مدينة أندة التابعة لبلنسية؛ إذ يوجد في جبلها معدن الحديد[3]، فضلًا عن وجوده في كور مدينة المرية[4]، ويوجد كذلك في مدينة فريش الواقعة غرب فحص البلوط [5]، وفي مدينة البيرة[6]، والذي ساعد بدوره على ظهور صناعات معدنية كثيرة، وانتشار مصانع كثيرة، تختص بالحدادة منها في مدينة شلطيش؛ إذ يذكر الشريف الإدريسي أن فيها صنعة الحديد التي يعجز عن صنعته أهل البلاد؛ إذ فيها تصنع

1- مجهول، ص54.
2- البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص162.
3- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص285؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 182.
4- مجهول، تاريخ الأندلس، ص54؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 162.
5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 259.
6- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص283؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص163.

المراسي التي ترسو بها السفن والمراكب[1]، كما توجد في مدينة مرسية مصانع لصنع السكاكين والأمقاص المذهبة[2]. للصناعات الحديدية، ينظر الأشكال رقم (4) ورقم(5) ورقم (6) ورقم (7) ورقم (8) ورقم (9) ورقم (10).

ب- الصياغة: توفرت في الأندلس المواد الأولية للصياغة، ولعلَّ ابرزها الذهب والفضة لظهور صناعة الصياغة، وكالتالي:

- **صناعة الحلي الذهبية**: مما لا شكَ فيه أن للذهب استخدامات عدة، منها استعماله للزينة، فضلاً عن سكّه في دور الضرب، وتحويله إلى نقد. وهذا ما يعطي الدول التي تملك الذهب وتحوله إلى نقد أن تكون أكثر استقلالية من الدول التي لا تملك هذا المعدن النفيس، أو أنها ستستنزف الكثير من وارداتها لجلب هذا المعدن.

ولهذا اشتهرت صناعة الذهب بشكل ملحوظ في بلاد الأندلس، فقد كان يستخرج من نهر لاردة، فيجمع منه الذهب الكثير[3]، ووجوده في نهر حدرة القريب من مدينة غرناطة، وعند مصبّ نهر تاجة على المحيط الأطلسي[4].

- **الفضة**: تاتي أهمية معدن الفضة من خلال استخدامه في الزينة فضلاً عن استعماله في سكّ العملة والدراهم الفضية في دور الضرب، واشتهرت صناعته في الأندلس لكثرته فيها؛ إذ يوجد في "كورة تدمير وجبال حمة بجانة، وبإقليم كرتش من عمل قرطبة"[5]، كذلك وجوده في مدينة مرسية والحامة ومدينة باجة[6].

1- نزهة المشتاق: 2/ 542؛ الحميري، الروض المعطار، ص343-344.
2- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 201.
3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 143؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 248؛ شحلان، أحمد، التجارة والصناعة في الأندلس، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت) على الموقع: http://www.andalusite.ma.
4- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 248.
5- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 143.
6- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 248.

جـ- الزئبق: من المعادن المشهورة في الأندلس بشكل واسع، فهو يوجد في جبال البرانس[1]. وكان يحتاج إلى أيد عاملة كثيرة لاستخراجه[2]. وكانت أهمية الزئبق تكمن في استخدامه في تنقية الذهب[3]. ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي دعت إلى ظهور مكاتب خاصة بالعمالة، فضلاً عن كثرة الفنادق.

2. صناعة المنسوجات:

اشتهرت الأندلس بالصناعات النسيجية المميزة، وأهميتها تكمن في كونها تقدم المواد الأولية لصناعة الملابس، والتي لا غنى للإنسان عنها.

يذكر لومبار أن أول مَن أدخل الطراز (مصنع لصنع الملابس) إلى الأندلس هو الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، وكان موقعه في القصر، لإنتاج الأقمشة الفاخرة لسد حاجته[4].

كما يذكر لسان الدين بن الخطيب[5] أن الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م)، اهتم بالصناعات النسيجية، فأقام "مدينة تشتمل على آلاف من الخلق قد اتخذت فيها المرافق، والمساجد، والحمام، والشرف، ولو تتبعنا أصنافهم، وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم، وينافسون به المشرق من بضائعهم ومقدار جراياتهم ونفقاتهم، لضاق عنه الكتاب".

من هنا، يتضح لنا فخامة ذلك المكان (المصنع) الذي أقامه الخليفة الناصر(300-350هـ/ 912-961م) والذي بالتأكيد قد لبّى الشيء الكثير ممّا كانت تحتاجه الأندلس من المنسوجات، فضلاً عن التصدير.

1- مجهول: تاريخ الأندلس، ص54؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 200؛ فليح، الحياة الثقافية في قرطبة، ص23.
2- الحميري، الروض المعطار، ص6؛ لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص165.
3- كونستبل، التجارة والتجار، ص280.
4- لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص127.
5- أعمال الأعلام: 2/ 40-41. وينظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص181.

ثم انتشرت صناعة الطراز في الأندلس بسرعة، فمدينة سرقسطة تنفرد بطرازٍ نسيجي لصنع الثياب التي تنسج من فراءِ السمور؛ بحيث تسمى تلك الثياب المنسوجة بالثياب السرقسطية[1]، وكانت قرطبة تفخر بوجود ثلاثة عشر ألف منسجاً فيها[2].

وتعدّ مدينة المرية من المدن المشهورة بالصناعاتِ النسيجية؛ إذ يُذكر أن أهلها جلّهم – رجالاً ونساءً – كانوا صنّاعاً، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب بجودته الحرير، وأكثر صناعة رجالها الحياكة، فضلاً عن تميّزها بصناعة ثياب الحرير الموشّاة بالذهب[3]، وينقل المقّري أن فيها ثمانمائة نولٍ لنسجِ طرز الحرير، ولنسجِ الثيابِ الجرجانية والأصفهانية ثمانمائة نولٍ، لكل منهما[4]. للاطلاع على بعض أدوات الغزل والنسيج، يُنظر الأشكال رقم (11) ورقم (12) ورقم (13) ورقم (14).

وخلال السنوات ما بين (210-313هـ/ 825-925م) تم تطوير النولِ في الأندلس بشكل يُسهِل عملية نسج خيوط الحرير[5]، وهذا يدل على أن هنالك مَن يعمل على تطوير تلك الصناعات فضلاً عن وجودها.

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص22؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص287-288.

2- هيلنبراند، روبرت، زينة الدنيا: قرطبة القروسطية مركزاً ثقافياً عالمياً، تر: عبد الواحد لؤلؤة، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 1/ 196؛ ريسلر، جاك، الحضارة العربية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، (بيروت: 1993)، ص157.

3- الزهري، الجعرافية، ص101؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140؛ غلام، نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط2، دار المعرف، (مصر: 1977)، ص78؛ عباس، فائزة حمزة، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية (92-422هـ/ 711-1031)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1989، ص72.

4- نفح الطيب: 1/ 163. وينظر: ابن الوردي، خريدة العجائب، ص19؛ سويلم، سائدة عبد الفتاح أنيس، علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (138-300هـ/ 755-912م)، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2002، ص149؛ Seeley The Spanish, p6.9.

5- Allen , Cultural Flourishing In Tenth Cenyury Muslim Spain, p. 33.

واشتهرت مدينة بلنسية بنوع من النسيج يسمّى بالنسيج البلنسي لجودته[1]. كما اشتهرت الأندلس بالصناعات الكتّانية، والتي لا يفرق بينها وبين الكاغد (الورق) الجيد الصقل في الرقة والبياض[2].

ومن صناعة المنسوجات صناعة القناعز، وهو ما يتّخذهُ أهل الأندلس فوق رؤوسهم، وهو أشبه بالقلنسوة[3]. واشتهر حصن فرقصة التابع لمدينة دانية، بصناعة الأكسية التي نسبت إليه، وسمّيت بالأكسية الفرقصية[4].

وكان على تلك الصناعة أفراد يعرفون بالخياطين[5]، وهي مهنة مَن يخيط الملابس[6]، وكان لهم رئيس، يسمّى عريف الخياطين[7]. وكانت صباغة تلك المنسوجات والملابس صنعة مشهورة في بلاد الأندلس، ويعتمدون في الصباغة على نوع من الأعشاب، تختص بها البلاد، فيصبغ به الحرير وغيره[8]، وأطلق على مَن يقوم بهذه المهنة بالصباغ[9].

3. الصناعات الجلدية:

شهدت بلاد الأندلس تطور ملموساً في صناعة الجلود، وهذا متأتٍ من قسوة الشتاء فيها[10]، ولحاجة الأسواق إلى أنواع محددة من الصناعات الجلدية، فيذكر

1- المقَّري، نفح الطيب: 3/ 221.
2- العبادي، الحياة الاقتصادية، ص144.
3- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 166.
4- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 255.
5- السقطي، محمد بن محمد الأندلسي، في آداب الحسبة، اعتناء: ج.س كولان وإ.ليفي برفنسال، مكتبة ارنست ليرو، (باريس: 1931)، ص62.
6- السقطي، في آداب الحسبة، ص63.
7- البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص216.
8- ابن حوقل، صورة الأرض:1/ 114.
9- السقطي، في آداب الحسبة، ص63.
10- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 259.

المقدسي أن فيها "السَّفن الذي يتخذ منه مقابض السيوف"[1]، واشتهرت بها مدينة مالقة[2] التي كان يجلب إليها جلود التماسيح من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتصنع منها "مقابض السيوف الصلبة جداً"[3]، وصناعة الأحذية الجلدية[4].

وبلغَ ميناء قرطبة شأناً كبيراً في فن الدباغة وصناعة الجلود، ولا سيما بعد مجيء زرياب إليها من بغداد، ففـرضَ "طريقة تناول الطعام على مفارش من جلد، على بلاط عبد الرحمن الثاني"[5].

كما كانت تستخدم جلود السنجاب والأغنام والأرانب في صناعة الفراء المبطنة[6]. وكانت تلك الصناعة تحتاج إلى دباغة تلك الجلود التي اشتهرت بها مدينة باجة بسبب خاصية المياه المتوفرة فيها، لدباغة تلك الجلود[7].

4. الصناعات الخشبية:

اشتهرت بلاد الأندلس بالصناعات الخشبية، واعتمدت تلك الصناعة على ما توافر فيها من الأخشاب، ففيها أخشاب الصنوبر المميزة بالصناعات الخشبية، وكانت

1- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص192. يُقصد **بالسَّفن**: الجلد الخشن. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص620.
2- الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، مطبعة بريل، (ليدن: 1927م)، ص46.
3- مجهول، حدود العالم، ص136. وينظر: عباسي، يحيى أبو المعاطي محمد، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238-488هـ/ 852-1095م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مصر، 2000، ص500.
4- البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص193.
5- بلباس، ليوبولدو تورتيس، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031م)، ط2، تر: علي عبد الرءوف البمبي - علي إبراهيم المنوفي - السيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة: 2002)، مج2: 2/ 425.
6- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 260.
7- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص290؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 403.

عمـلية قطع تلك الأخشاب تقع على عاتق النشارين الذين يقومون بقطع الأشجار، وكان عملهم هذا يتطلب أن يحدوا مناشيرهم قبل الشروع في العمل[1]. للمنشار، يُنظر الشكل رقم (4).

ولعلَّ أبرز تلك الصناعات هي صناعة المراكب، والتي سنفرد لها في فصل الخدمات التجارية، فضلاً عن الاستخدامات الخشبية الأخرى كالبناء مثلاً، فقد كانت تحمل الأخشاب العريضة إلى ميناء بلنسية "فيصرف في الأبنية والديار"[2]، وبلا شك، كانت صناعة الأبواب والشبابيك الخشبية من مميزات هذه الصناعة.

فظهرت في الأندلس مدن محددة، اشتهرت بتلك الصنعة، مثل مدينة طرطوشة لوجود أشجار الصنوبر في جبالها[3]، وكان في مدينة المرية العديد من المصانع[4] التي كان يصنع فيها "كل شيء حسن من الأثاث"[5].

وكان في مدينة إشبيلية دار لإنشاء المراكب الخشبية[6]، فضلًا عن الجزيرة الخضراء التي كانت تحتوي على أكبر مصانع الأندلس بدليل إيعاز الخليفة الناصر (300-350هـ/ 912-961م) سنة (344هـ/ 955م) للقائمين عليه بصنع مركب ضخم[7]، كما كان في مدينة لقنت مصنع لصنع المراكب[8]، وفي جزيرة يابسة، وبسبب توفر أشجار الصنوبر، وجدت مصانع لإنشاء المراكب والعدد الخاصة بها[9]، وتختص

1- السقطي، في آداب الحسبة، 65.
2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 560.
3- الحميري، الروض المعطار، ص391.
4- العذري، ترصيع الأخبار، ص86؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140.
5- مجهول، الجعرافية، ص101.
6- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص88؛ محمود، المسلمون في الأندلس، ص209.
7- ابن الأثير، الكامل: 6/ 562.
8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558؛ الحميري، الروض المعطار، ص511.
9- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 424؛ الحميري، الروض المعطار، ص616.

مدينة جيان بصناعة المحاريث الزراعية والصناعات الخشبية الأخرى[1]. وعرف صاحب هذه الصنعة بالنجار، وكان لهم رئيس، يسمّى عريف النجارين، وقام عباس بن فرناس بدور كبير إظهار أشكال مميزة من الخشب في الأندلس[2]، كما كان لها سوق خاصة، تسمّى بسوق الخشابين[3].

5. الصناعات الغذائية:

أ- صناعة الأطعمة: تعدّ من الصناعات المشهورة في بلاد الأندلس، والتي تعتمد بشكل كبير على الزراعة، فنجد بروز صناعات مهمة مثل صناعة الجبن التي اختصت بها مدينة شريش[4]، وصناعة استخراج زيت الزيتون تكون من خلال معاصر خاصة، تقوم بعصر الزيت لاستخدامه في الحياة اليومية في الطعام وغيره[5]، وكان هنالك مخازن لخزنِ الزيتِ المستخرج، لمدد طويلة لا سيما في مدينة إشبيلية[6]. ومن الصناعات المنتشرة آنذاك صناعة الخمور، بدليل وجود فنادق متخصصة بخزنها، إلا أن أمراء بني أمية ضيقوا على تلك الصناعة[7]، بسبب تحريم الإسلام لها لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[8].

1- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/ 49.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص284؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص215.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 56.
4- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 184؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص202.
5- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 238.
6- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص292؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص204-205.
7- المراكشي، المعجب، ص66؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 46.
8- سورة المائدة، الآية 90.

وكان لمجيء زرياب إلى بلاد الأندلس دور في ظهور بعض الأصناف الجديدة منها، فهو قد جدّد في "الأطعمة المعروفة، وانتشرت وصفات جديدة، ابتكرها، كما أدخل... خضراوات، لم تكن شائعة"[1].

فضلاً عن ظهور حرفة الطباخ الذي يقوم بطبخ الطعام للناس، وكانَ عليه تنظيف الرحاب وتغطية القدور وإبعاد الذباب عنها[2].

ب- **طحن الغلال وصناعة الخبز**: أبدع الأندلسيون في طحن الغلال، من خلال إنشاء المطاحن (الأرحاء) على الأنهر، وجلب المياه إليها، في حال لم يكن هنالك نهر؛ إذ عمد أهالي مدينة طركونة إلى جلب المياه إلى المطاحن (الأرحاء) من البحر في طريقة محكمة[3]، وكان النصارى في قرطبة يقومون بعمل الخبز وبيعه[4].

أما عن طبيعة هذا العمل؛ فقد كان يقوم به أفراد، يعرفون بالفرانين والخبازين، ويبدو أن الحرفتين كلتيهما متلازمتان، فالأول يهيئ الفرن، والثاني يقوم بصناعة الخبز وإجراء عمليات الطبخ[5]، وكان لوالي السوق الرقابة الكاملة على تلك المهنة، فقد كان يمنعهم من إحراق ما يحتطب من الأزقة، إلا ما كان من الحطب المشهور للفرن[6].

1- هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط8، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الجيل بيروت - دار الآفاق الجديدة بيروت، (بيروت: 1993)، ص490. وينظر: حلاق، حسان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الأندلس - صقلية - الشام، ط2، دار النهضة العربية، (بيروت: 2012)، ص48.

2- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله، رسالة أحمد عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب. نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة: 1955)، ص96-97.

3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 202.

4- بنعميرة، عمر، جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، جوان، 1995، العدد الرابع عشر، ص59.

5- ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل أندلسية، ص89؛ ابن بسام، محمد بن أحمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، (بغداد: 1968)، ص21.

6- ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل أندلسية، ص91.

وفضلاً عن قيامهم بتهيئة العجين وإنضاجه وبيعه[1]؛ فقد كانت العوائل الغنية تعجن الخبز في البيت، ويرسلونه إلى صاحب الفرن لإنضاجه[2]، كما كان صاحب هذه المهنة يقوم بطبخ الطعام للأهالي[3].

جـ- صناعات أخرى: اشتهرت في الأندلس صناعات كثيرة، منها صناعة الحبال وصناعة الحصر وصناعة السلال[4]. وكان يقوم بهذه الحرفة أناس، عُرفوا بالحبالين، وكانت لصناعاتهم أهمية كبيرة في الموانئ، ولا سيما الحبال لاستخداماته في ربط البضائع، وفي المراكب والسفن[5]، وكانت أكثر الحبال تصنع من الحلفاء[6].

6. صناعة الرقاع والورق:

اهتمت الدولة الأندلسية في عصري الإمارة والخلافة بصناعة الورق والرقاع (الرَّق)، وتوفير جميع المستلزمات لذلك؛ إذ كانت الرقاع تصنع بشكل واسع في الأندلس من جلود الأغنام والغزال[7]، ثم اختفت تلك الصناعة، وظهرَ مكانها صناعة الورق، لا سيما في عصر الخلافة، ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الورق (الكاغد) مدينة شاطبة؛ إذ كان يصنع فيها أجود الأنواع[8]، فضلًا عن مدينة بلنسية التي صنعت

1- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص52؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص215.
2- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 256.
3- السقطي، في آداب الحسبة، ص31.
4- ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل في الحسبة، ص102؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 256.
5- مجهول، أخبار مجموعة، 139.
6- السقطي، في آداب الحسبة، 64.
7- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 260.
8- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 309؛ الحميري، الروض المعطار، ص337؛ Seeley , The Spanish, p.69.

الورق من القطن والكتان[1]، واستخدمت تلك الصناعة الطريقة الشرقية، من خلال تكوين عجينة غزول الكتان والقنب وخلطهُ بالجير، ثم يمرر في طاحونة مع استخدام الغراء، ومزجه مع المعجون، ووضعه في قالب خاص، ثم يجفف[2]. ومن أهم الخلفاء الذين اهتموا بتلك الصناعة الخليفة الحكم المستنصر، فقد كان يجمع في داره جميع الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبطِ والإجادة في التجليد[3].

7. صناعة الزجاج:

انتشرت صناعة الزجاج في الأندلس بشكل واسع. ويذكر ابن سعيد[4] أن عباس بن فرناس هو أول مَن "استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة"، فظهرت هذه الصناعة في مدن مرسية والمرية ومالقة؛ إذ يوجد فيهما مصانع، تصنع الزجاج الغريب والمميز فضلاً عن طلي الفخار بالزجاج المذهب[5]. وكان يُعرف مَن يقوم بهذه الصنعة بالزجّاج، وكانت لهم أفرانهم الخاصة بهم التي يصنعون به الزجاج[6].

8. صناعة الفخار:

اشتهرت مدن الأندلس مرسية والمرية ومالقة بصناعة الفخار المزجج والمذهب، فضلاً عن صناعة الفخار الفسيفسائي ذي الألوان العجيبة[7]. وكانت تُستخدم في هذه الصناعة تقنيات وأشكال وأنواعٍ متعددة بدءاً من الأواني البسيطة

1- العبادي، الحياة الاقتصادية، ص153.
2- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 260؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص498.
3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 386.
4- المغرب في حلى المغرب: 1/ 333.
5- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 202؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص211.
6- السقطي، في آداب الحسبة، ص67.
7- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 202.

غيـر المزينـة، وانتهـاء إلـى الأوانـي الخزفيـة المذهبـة، والتـي غالبـاً مـا كانـت تقلّد المعادن الثمينة[1].

9. صناعة شباك الصيد:

وتوجد هذه الصنعة في بزليانة، "وهي قرية كالمدينة في مستو من الأرض... وبها الحمام والفنادق... وتبعد عن مالقة ثمانية أميال"[2] ففيها كانت تصنع تلك الشباك وتحمل إلى المناطق المجاورة لها[3].

10. صناعة الوشي والديباج:

وهي نوع من صناعة الملابس المميزة، وتعدّ من الصناعات المشهورة في الأندلس، وكانت تستخدم في عملها خيوط الحرير والذهب، وتعمل من المطرزات الكتابية ما يبهر الناظر، ولقيمتها الاعتبارية فقد اعتاد الأمراء والخلفاء آنذاك على إهداء السفراء وقادة الجند أيام المناسبات الملابس والجلاليب المصنوعة من الديباج المنسوج بخيوط الذهب[4]، فاشتهرت بها مدينة قرطبة[5]، ثم غلبت هذه الصنعة على مدينة المرية، فأجادت العمل؛ بحيث لم يوجد مَن يجيد هذه الصنعة مثل أهل المرية[6]، فضلًا عن مدن مالقة ومرسية اللتين عرفتا إلى جانب مدينة المرية بصناعة الوشي المذهب[7].

1- بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 413.

2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 565.

3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 565.

4- بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 419-420.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 119؛ سالم، عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الإسكندرية: 1985)، ص275.

6- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 119؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/ 193.

7- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 201؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص274.

11. صناعة الكحل:

ظهرت في الأندلس صناعة الكحل في مدن تسمّت باسمها، فهذا الكحل الشلوذي الذي يصنع في مدينة شلوذ، من الرصاص[1]، وشهرة الكحل جاءت كونه يستخدم في علاج أمراض العيون، فقد كان طبيب العيون يسمّى بالكحال[2].

12. صناعة الخرز:

وجدت صناعة الخرز في الأندلس، وتفنن الأندلسيون بها، فهم يصنعونه من المرجان بعد استخراجه من البحر، واشتهرت مدينة سبتة بذلك؛ إذ فيها سوق خاصة لذلك، ويقوم الصّنّاع بتفصيل المرجان من خلال الحك وترتيبه، ومن ثم ثقبه وتنظيمه وفق مواصفات معينة[3].

فضلاً عن ذلك، كان هنالك بعض الصناعات التي عرفت من خلال أصحابها كصناعة الآجر التي كانت وبلا شك تحتاج إلى أفران خاصة لبناء البيوت، أو المخازن، أو الفنادق، أو غيرها من أعمال البناء. وقد اهتم الأمراء والخلفاء الأمويون والعامة في البناء والعمران[4]، فكانت مهنة البناء من المهن المميزة حتى كان لهم رئيس، يسمّى شيخ البنّائين[5]. وصناعة العطور التي عرف صاحبها بالعطّار، فهو يقوم بصناعة المواد العطرية والإتجار بها، كالمسك والزعفران[6].

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 360؛ مجهول، الأندلس وما فيه، ورقة رقم (6).
2- أمين، حسين، جهود العرب في العلوم الطبية في العصرين العباسي والأندلسي، مجلة المورد، بغداد، 2008، ع2، مج، 35، ص19.
3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 529.
4- البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص217.
5- السقطي، في آداب الحسبة، ص25.
6- ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل أندلسية، ص86؛ البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص218.

ومن المهن المشهورة في بلاد الأندلس مهنة الجزار، والتي ظهرت بسبب حاجة الناس إلى أكل اللحوم؛ إذ يقوم صاحب هذه المهنة بذبح الحيوانات وبيع لحومها، وظهرت بشكل واسع في الأندلس، وكان والي السوق يشرف عليها[1]، فكان يتوجب عليهم غسل الحصران التي يوضع عليها اللحم، وأن لا يرفعوا الموازين فوق رؤوسهم مخافة الغش[2]، وخصص لهم مكان في مدينة قرطبة بالقرب من النهر الماء الكثير لاستخدامه في النظافة[3].

كما عرفت بلاد الأندلس حرفة الحجّام، وهي من الحرف الطبية، فقد كان صاحبها يقوم باستخراج الدم الفاسد من الجسم، فضلاً عن قيامه بقلع الأسنان المتضررة[4].

1- السقطي، في آداب الحسبة، ص32؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص34.

2- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة. نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة: 1955)، ص55؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص33.

3- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، (بيروت: 1965)، ص145.

4- ابن عبد الرؤوف، ثلاث رسائل في الحسبة، ص114.

ثالثا: التجارة:

سيطرَ العرب المسلمون على النشاط التجاري البحري من الشرق إلى الغرب، لا سيما بعد فتحهم لبلاد الأندلس، فلم يعد مكان للأساطيل الأخرى خلال عصري الإمارة والخلافة[1]، وكان ذلك بسبب ازدهار النشاط الزراعي والصناعي في مناطق نفوذهم، لا سيما في بلاد الأندلس التي تمتعت بظهور نشاط تجاري مميز، لكثرة الحاجات المطلوبة والفائضة، علاوة على ذلك، ظهور الأزمات الاقتصادية في بلاد الأندلس، بسبب ظهور المجاعة في السنوات التي ذكرناها سابقاً[2]، فضلًا عن ذلك، فإن "نقل السلع من البلد البعيد المسافة، أو شدة الخطر في الطرقات، يكون أكثر فائدة للتجّار وأعظم أرباحاً، وأكفل بحوالة السوق"[3]. وجاء هذا التميز كون التجارة هنالك كانت تجارة داخلية، من خلال نقل البضائع والمواد من الموانئ، وإلى المدن الداخلية، وبالعكس.

وسهّلت تلك العملية وجود شبكة الأنهار التي تغطي معظم مدن الأندلس؛ وتجارة خارجية، من خلال استيراد وتصدير البضائع، ولا سيما إذا ما علمنا أن بلاد الأندلس كانت سوقاً رائجةً، لكلِ البضائع القادمة من خارج البلاد، بدليل ما ذكره ابن

1- لوفران، جورج، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، تر: هاشم الحسيني، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت: د.ن)، ص29-30.

2- النقيب، أحلام حسن مصطفى، الأزمات الاقتصادية في الأندلس على عصري الإمارة والخلافة 138-366هـ/ 755-976م أسبابها وعلاجها، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات أندلسية ومغربية، مكتب القمة للنشر، (الموصل: 2010)، ص30.

3- ابن خلدون، العبر: 1/ 422. وينظر: وات، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت: 1998)، ص62-63.

حزم[1] أن بلاد الأندلس "مورد كل تحفة، وغاية آمال الراغبين، ونهاية أماني الطالبين، إن بارت تجارة، فإليها تجلب، وإن كسدت بضاعة، ففيها تنفق".

وما يُميز التجارة أيضاً هو اتجاه التجّار المسلمين نحو بلاد المغرب العربي والمشرق دون بلاد الغرب، بسبب النهي الشرعي عن الذهاب إلى أرض الحرب، فقد شدد الإمام مالك ﷺ على الذهاب في "التجارة إلى أرض الحرب، لجري أحكام المشركين عليهم. قال ابن حبيب: وأخذ من قول مالك وأصحابه أنه لا يجوز الخروج إليها تاجراً، ولا غيره، إلا المفاداة. وينبغي أن يمنع الإمام الناس من ذلك، ويشدد في ذلك، ويحصل الرصد فيه"[2].

أما عن طبيعة التجارة والمتاجرة مع بلاد الغرب (دار الحرب)، وهل كان هنالك تبادل تجاري؟

يمكن القول إنه كان هنالك نوع من التبادل التجاري بين بلاد الأندلس وبلاد الغرب، وتكفّل بها آنذاك أهل الذمة من التجّار سواءً كانوا من اليهود أو النصارى، وكانوا يسمّون بالراذانيين، وكانوا يجلبون البضائع من تلك البلاد، لا سيما الجواري والخصيان[3]، التي كانت أشهر بضائعهم، وسنعرض الطرق التجارية التي سلكوها لاحقاً. يُنظر الخارطة رقم (9).

1- فضائل الأندلس، ص1.

2- ابن فرحون، أبو الوفاء إبراهيم بن الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد اليعمري المالكي، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1995): 2/ 159. وينظر: الأصبحي، مالك بن أنس، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1994): 3/ 294.

3- ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص153؛ ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 97، 110؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 151. وكان رأي الإمام مالك بن أنس في التجارة مع أهل الذمة وتجارة الرقيق قوله: "ما علمته حراماً، وغيره أحسن منه". الأصبحي، المدونة: 3/ 295.

وكانت سمة الطرق التجارية في بلاد الأندلس أنها كانت واصلة عبر الموانئ الأندلسية مثل طرطوشة والمرية ومالقة ودانية وإشبيلية وبلنسية وكان لها دور كبير في تنظيم الحركة التجارية في البلاد، كما لم تنقطع أساطيلها عن شق عباب البحر الأبيض المتوسط حاملة معها البضائع الأندلسية إلى بلاد المغرب العربي وموانئ مصر[1].

كما كان للتجّار الأندلسيون دورٌ في ظهور هذا النشاط، فنجد التاجر الأندلسي قاسم بن عاصم المرادي (ت300هـ/ 912م) وهو من أهل بجانة وصل بتجارته إلى بغداد[2]. والتاجر محمد بن معاوية المعروف بابن الأحمر (ت358هـ/968م)، دخل بلاد الهند تاجراً[3]. فضلًا عن نشاط التاجر مسعود بن خيران (ت371هـ/ 981م) من أهل بجانة الذي وصل بتجارته إلى المشرق[4]. فهذا يدل على أن التجّار الأندلسيين كانوا من التجّار النشيطين في هذا المجال، بدليل أن بضائعهم وصلت إلى بلاد الهند.

وللاطلاع على أهمية التجارة في بلاد الأندلس لابدَّ لنا من التعرف على الطرق التجارية أولاً، ثم التعرف على الحركة التجارية الداخلية منها والخارجية ثانياً، للوقوف على نوع البضائع الصادرة والواردة في أدناه:

1. الطرق التجارية:

كان لبلادِ الأندلس شبكة من الخطوط التجارية المشهورة، لا سيما إذا ما علمنا أن دار الإسلام آنذاك كانت مرتبطة اقتصادياً "بشبكة مندمجة متنوعة للغاية من الدروب

1- بروفنسال، ليفي، الحضارة العربية في إسبانيا، ط3، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، (القاهرة: 1994)، ص75؛ المسري، حسين علي، تجارة العراق في العصر العباسي، (الكويت: 1982)، ص374-375.

2- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، تاريخ علماء الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1997)، ص282.

3- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 347-348.

4- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص396.

البحرية والبرية الأساسية"[1]، ويذكر الجعماطي[2] أن في بلاد الأندلس كان "ما مجموعه 59 مسلكاً رئيساً، و273 طريقاً ثانوياً".

وكانت تلك الطرق ذات حركة دؤوبة ومستمرة لا تهدأ إلا في الظروف المناخية السيئة[3].

ومن أشهر تلك الطرق لا سيما المتجهة من الموانئ والقادمة إليها:

فأبدأ أولاً بعاصمة الأندلس مدينة قرطبة التي امتلكت شبكة من الطرق، أولها طريق، يصلها بمدينة إشبيلية[4]، ويمر عادة بمدينة استجة[5]. وطريق آخر منها إلى مدينة سرقسطة[6]، ومنها يخرج طريق إلى مدينة تطيلة، ثم إلى مدينة لاردة[7]. كما يخرج منها طريق يصل إلى مدينة اربونة[8]، وطريق آخر إلى مدينة بطليوس[9]، ولها طريق يصل إلى مدينة قبرة[10]، وطريق إلى مدينة تدمير[11]، وطريق آخر إلى مدينة جيان[12]، وطريق إلى مدينة مالقة[13]، وطريق إلى مدينة

1- هيك، جين، الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية، تر: محمود حداد، الدار العربية للعلوم ناشرون، (بيروت: 2008)، ص106.
2- الجعماطي، عبد السلام، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف، (316-483هـ)، دار ابن حزم، (بيروت: 2010)، ص57.
3- الاصطخري، مسالك الممالك، ص46-47؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 263.
4- الاصطخري، مسالك الممالك، ص46؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص198؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص109؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 264.
5- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص198؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص14.
6- الاصطخري، مسالك الممالك، ص46؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص21.
7- الاصطخري، مسالك الممالك، ص46؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 264.
8- ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص89.
9- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص46.
10- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص282؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص149.
11- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص285.
12- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص284.
13- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص159.

طليطلـة[1]، وآخـر إلـى وادي الحجـارة[2]. وطريـق مشـهور إلـى مدينـة المريـة[3]، ومنـه إلـى مدينـة مرسـية، وإلى بلنسـية، ثـم إلى طرطوشـة[4]. كمـا يتفرع منهـا طريق إلـى مدينـة ببشـتر[5]. ويخـرج منـه طريق إلـى الجزيـرة الخضـراء يبلغ طوله خمسـة وخمسون ميلاً[6].

وهنالك طريق آخر يمر على مدينة قورية، ومنها يتفرع إلى فروع، الأول إلى مدينة ماردة، والثاني إلى مدينة باجة[7].

وكان هنالك طريق منه إلى بلاد المغرب العربي، فمن مدينة قرطبة، إلى مدينة مكناسة، ثم يمر إلى هوارة، ثم إلى مدينة نفزة، ومنها إلى سمورة المغربية[8].

ثم مدينة إشبيلية التي ضمت الميناء المشهور؛ إذ كانت خلال عصر الإمارة والخلافة من أكثر مدن الأندلس ازدهاراً بعد قرطبة[9]، ومنها كانت تتفرع الطرق التجارية إلى معظم مدن الأندلس، فهنالك طريق يوصلها إلى مدينة لبلة[10]، وطريق آخر إلى مدينة مرسية، كما يخرج منها طريق إلى مدينة قرمونة[11]، وطريق آخر إلى

1- الاصطخري، مسالك الممالك، ص46؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص198؛ ابن الخراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص151؛ ابن الشباط، محمد بن علي المصري التوزري، وصف الأندلس (قطعة في وصف الأنـدلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط)، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، صحيفة معهد الـدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الرابع عشر، 1967-1968، ص120.

2- ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص89؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص198.

3- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 116؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 264.

4- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص46؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 264.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص37.

6- مجهول، الأندلس وما فيه، ورقة رقم (16).

7- الاصطخري، مسالك الممالك، ص47.

8- الاصطخري، مسالك الممالك، ص46-47.

9- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 294.

10- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 115؛ العذري، ترصيع الأخبار، 110.

11- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص198.

مدينة طليطلة[1]، وطريق آخر إلى مدينة بطليوس[2]. كما كانت السفن التجارية تدخل إليها قادمة من المحيط الأطلسي، ومحملة بالبضائع[3]..

وللموانئ الأخرى طرق مشهورة، فـ لميناء طركونة طريق إلى مدينة لاردة[4]، وطريق آخر إلى مدينة بلنسية، وطريق يربطه مع البحر[5]، وطريق آخر إلى مدينة سرقسطة[6].

كما امتاز ميناء بنشكلة أن له طريقاً بحرياً مع جزائر بني مزغناي في المغرب العربي[7].

ولميناء بلنسية طريقان يربطه مع مدينة قرطبة: **الأول** عن طريق مدينة بجانة، ثم إلى قرطبة، **والثاني** عن طريق الجادة إلى مدينة قرطبة[8]، كما أن له طريقاً يربطه مع جزيرة شقر[9]، وطريق آخر إلى ميناء طرطوشة[10]، فضلًا عن الطريق الواصل إلى مدينة طليطلة[11]، وله طريق إلى مدينة مرسية من خلال المرور بجزيرة شقر، ثم إلى مدينة شاطبة، ثم إلى بيار، وإلى قرية **عصف**، فـأوريولة، ثم مرسية[12]، ومن ميناء بلنسية هنالك طريق إلى مربيطر[13].

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص110.
2- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص46.
3- ابن خراط الإشبيلي، اختصار اقتباس الأنوار، ص102؛ الشقندي، فضائل الأندلس، ص50.
4- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص125.
5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص124.
6- اليعقوبي، البلدان، ص195.
7- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص56.
8- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص47.
9- العذري، ترصيع الأخبار، ص19؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص102.
10- الاصطخري، مسالك الممالك، ص47.
11- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص130.
12- العذري، ترصيع الأخبار، ص17.
13- العذري، ترصيع الأخبار، ص19.

وكان يخرج من ميناء دانية طريق، يربط بينه وبين ميناء لقنت[1]، وطريق آخر بحري يوصل بين دانية والإسكندرية[2]، ولميناء لقنت طريق، يربط بينه وبين مدينة الش حيث مرسى شنت بول[3].

وكان يخرج من مرسى شنت بول (مدينة الش) طريق مشهور إلى ميناء لقنت[4]، وطريق آخر يخرج إلى مدينة اوريولة[5].

وكان يخرج من ميناء قرطاجنة طريق إلى مدينة مرسية[6]. ولميناء بجانة طرق مشهورة، أهمها الواصل إلى مدينة قرطبة، وآخر واصل إلى مدينة مالقة[7].

كما يرتبط ميناء المرية بشبكة طرق، أهمها الطريق الواصل مع ميناء قرطبة[8]، والطريق الواصل إلى مدينة طليطلة[9]، فضلًا عن الطريق البحري الموصل بينها وبين مدينة الإسكندرية، وكانت السفرة فيه تستغرق بين الشهر والشهرين[10]، وطريق بحري آخر يصل إلى مدن سلرن ونابلي وجايت[11]. وطريق آخر إلى بلاد المغرب العربي؛ حيث مرسى وهران[12].

ولمرسى شلوبينية طريق بري مع مرسى المنكب وآخر بحري مع مرسى مليلة في بلاد المغرب العربي[13].

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص170.
2- كونستبل، التجارة والتجار، ص80.
3- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص170.
4- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص31.
5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص34.
6- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص151.
7- الاصطخري، مسالك الممالك، ص47.
8- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 116؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 264.
9- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص130.
10- كونستبل، التجارة والتجار، ص73، 80.
11- لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص347.
12- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 252.
13- الحميري، الروض المعطار، ص343.

وعـرفَ ميناء مالقة شبكة من الطرق أشهرها إلى مدينة ارشذونة[1]، وطريق آخر إلى مدينة استجة[2]، فضلًا عن الطريق الواصل مع ميناء بجانة، والطريق الواصل إلى جبل طارق[3]، ومدينة بزليانة[4]. ولمرسى طريف طريق إلى الجزيرة الخضراء[5].

وأعطى الموقع الجغرافي لـ ميناء الجزيرة الخضراء طرقاً متعددة، فلهُ طريقٌ بحري إلى ميناء سبتة في بلاد المغرب العربي، ويحدد العذري[6] مسافته بالقول "وتتحرك السفينة من مرسى الجزيرة عند بزوغ الشمس، فلا ترتفع قدر الرمحين، إلا وقد رست بمدينة سبتة"، وتقدر المسافة بـ 30 كم[7]. وله طريق آخر إلى ميناء مالقة[8]، كما له طريقان مع ميناء إشبيلية: **الأول** بحري: من الجزيرة الخضراء، إلى الرمال في البحر، ثم إلى موقع نهر برباط، ومسافته ثمانية وعشرون ميلاً، ثم إلى موقع نهر بكة ومسافته ستة أميال، ثم إلى "الحلق المسمّى شنت بيطر اثنا عشر ميلا"[9]، ثم إلى القناطر المقابلة لجزيرة قادس اثنا عشر ميلاً، ومنها الصعود إلى نهر إشبيلية؛ حيث رابطة روطة ومسافتها ثمانية أميال، ثم إلى المساجد ستة أميال، ثم إلى مرسى طربشانة، ثم إلى العطوف، ثم إلى قبتور، ثم إلى قبطال[10]، ثم إلى جزيرة ينشتالة، ثم إلى الحصن

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص179.
2- الاصطخري، مسالك الممالك، ص47.
3- الاصطخري، مسالك الممالك، ص47.
4- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص44.
5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص127.
6- ترصيع الأخبار، ص118. وينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص74.
7- ابن العربي، الصديق، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة، (بيروت: 1984)، ص89.
8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 540.
9- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 540.
10- قبتور وقبطال: قريتان من قرى مدينة إشبيلية، تقعان وسط نهرها (النهر الكبير). الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 540؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص149.

الزاهر، ثم إلى مدينة إشبيلية، وكل تلك المسافة ستون ميلاً[1]. **والثاني** بري: يبدأ من الجزيرة إلى نهر برباط، إلى قرية فيسانة[2]، ومنها إلى مدينة ابن السليم، ثم إلى جبل منت، ثم إلى قرية عسلوكة، ثم إلى المدائن، فـ ذيـرد الحبالة، فـ إشبيلية، ومسافته مرحلة[3].

ولا يخلُ ميناء شنت مارية من الطرق التي تربطه مع المناطق الأخرى، فلهُ طريقٌ، يربطهُ مع ميناء شلب[4]، كما أن لمرسى شلب طريقان: الأول إلى مدينة بطليوس، والآخر إلى مدينة مارتلة[5]، وطريق آخر إلى ميناء قصر أبي دانس[6].

ولميناء لشبونة طريق، يخرج منها إلى خليج بسكاية، ثم إلى بريطانيا وبلاد السيلت[7]، فضلًا عن ميناء قصر أبي دانس الذي له طريق، يصله بخليج بسكاية، ثم إلى المناطق الشمالية[8]. وكانت تتفرع من ميناء القصر عدة طرق منها إلى ميناء شلب[9].

ولجزر البليار (منورقة وميورقة ويابسة) شبكة من الطرق التجارية التي تربطها مع مدن الأندلس والمناطق الأخرى؛ إذ كان لجزيرة ميورقة طريق، يربطها مع جزيرة منورقة[10]، كما كان لها طريق آخر، يربطها بجزيرة يابسة[11]. وتوزعت

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 540.
2- يصفها الشريف الإدريسي بأنها: "قرية كبيرة ذات أسواق عامرة وخلق كثير". نزهة المشتاق: 2/ 541.
3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 540-541.
4- الحميري، الروض المعطار، ص347.
5- الحميري، الروض المعطار، ص342.
6- أرسلان، الحلل السندسية: 1/ 52.
7- لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص348.
8- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 295؛ لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص348.
9- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص161.
10- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص188.
11- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص188.

طـرق جزيـرة ميورقـة بين جزيرتـي منورقـة واليابسـة، وآخر إلـى جزيرة سـردينيا[1]. واشـتهرت جزيـرة يابسـة بطريـق، يربطها مـع جزيرتـي ميورقـة ومنورقـة، وآخر إلى ميناء دانية[2].

وإذا كانت المصادر التاريخية والكتب الجغرافية لم تذكر الطرق بين الموانئ الأندلسية وبعض مدن الأندلس، والبلاد المجاورة، لا سيما مع بلاد المغرب العربي، بشكل واضح وصريح، فذلك لا يعني عدم وجود تلك الطرق، فهي كانت تذكر الطرق المشهورة مرة، وكانت تكتفي بذكر الإشارة إليها مرة أخرى. فالإصطخري[3] عندما يذكر طرق بعض موانئ بلاد المغرب مع بلاد الأندلس، يكتفي بالإشارة العامة، كما في ميناء أصيلا؛ إذ يذكر أنه "أقصى المعابر إلى الأندلس"، فهو لم يحدد لنا مع من أي ميناء من موانئ الأندلس كانت تربطه.

وهنالك الطريق الذي يسلكه التجّار الغربيون (اليهود الراذانية وغيرهم) القادمون من البلاد الغربية عبر الأندلس براً، سالكين الممرات الجبلية التي تقطع جبال البرتات[4]، فيعبرون من خلالها إلى طنجة، ثم إلى إفريقية، فمصر، ثم إلى دمشق، ويعبرون إلى بغداد والكوفة والبصرة، ومنها إلى بلاد الأحواز، ومنها إلى بلاد فارس، ويتجهون إلى الهند والصين، وبالعكس[5].

فعملت شبكة الطرق التجارية البحرية المتصلة بالموانئ الأندلسية على اندماجها بالأسواق الداخلية والأسواق الخارجية، واستمر مجيء التجّار إليها من أبعد نقطة في المغرب العربي ومصر، والالتقاء بشبكة الطرق الداخلية[6].

1- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص185، 188.
2- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص188، 198.
3- مسالك الممالك، ص39.
4- ابن خرداذبه، مسالك الممالك، ص154-155؛ لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص347.
5- ابن خرداذبه، مسالك الممالك، ص154-155؛ هيك، الجذور العربية، ص413.
6- كونستبل، التجارة والتجار، ص99-100.

مما سبق يمكن القول إن بلاد الأندلس كانت تملك شبكة كبيرة من الطرق التجارية، داخلية كانت أم خارجية، فكل موانئ الأندلس تتصل بمدنها الداخلية، وإن لم نجد في بعض المصادر كل الطرق، إلا أنه وبلا شك كانت كل موانئ الأندلس تملك طرقاً داخلية وخارجية، ولا سيما مع بلاد المغرب العربي ومصر وبلاد الشام.

وبذا؛ حتمَّ وجود تلك الشبكة من الطرق التجارية إلى ضرورة وجود خدمات تجارية تحتوي النشاط التجاري الواسع فضلاً عن تأمين تلك الطرق، والعمل على إصلاحها دائماً، وهذا ما سنوضحه في فصل الخدمات التجارية.

2. الحركة التجارية:

عملت شبكة الطرق التجارية الواصلة بين مدن الأندلس بشكل عام، وموانئها بشكل خاص، وتلك الواصلة مع البلدان المجاورة إلى تسهيل عملية التجارة الداخلية، من جهة، والخارجية من جهة أخرى. وهذا ما سنبينه في أدناه:

أ- التجارة الداخلية: كانت هنالك حركة تجارية نشيطة بين مدن الأندلس الداخلية، من جهة، وبينها وبين جزر البليار، من جهة أخرى، وكان سبب تلك التجارة هو وجود فائض من بضائع معينة في مدينة ما، مما يستوجب نقل تلك البضائع الفائضة إلى المناطق التي يوجد فيها نقص، ولكي يتم جلب البضائع المطلوبة من جهة أخرى. فمثلاً كان محصول الأرز يزرع في مدينة بلنسية بشكل واسع؛ بحيث يفيض عن حاجة المدينة، ولذلك نجده يحمل إلى كل مدن الأندلس[1]. ولوجود الأشجار بشكل كثيف في مدينة لتنكشة - ضمن أعمال جيان - نجد أن الأخشاب تنقل منها إلى كافة مدن الأندلس[2]، كما كانت

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص17.

2- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 13.

الأخشاب تنقل من حصن قلصة عبر النهر إلى جزيرة شقر، ثم إلى البحر، فيحمل في المراكب إلى مدينة دانية باتجاه الجنوب، ويستخدم في صناعة السفن، وإلى بلنسية، باتجاه الشمال، لاستخدامه في البناء[1]. كما كان الزبيب واللوز والتين يجلب من جزيرة يابسة، إلى جزيرة ميورقة[2].

ويذكر ابن بشكوال أن عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني كان يقوم بشراء الثياب في مدينة بجانة، ثم يقوم بتعديلات عليها، ويحملها إلى مدينة قرطبة؛ ليبيعها هنالك[3]. وكان زيت إشبيلية يحمل إلى مدن الأندلس كافة[4]، وكان الزيتون يجلب من مدن الأندلس إلى جزيرة يابسة[5]. وهنالك السمور الذي ينقل من مدينة تطيلة إلى المدن الأخرى في الأندلس[6]، وكان الزعفران يحمل من وادي الحجارة إلى مدن الأندلس كافة[7]. كما كانت جلود النسور تحمل من ساحل الجزيرة الخضراء بعد اصطيادها إلى أكثر مدن الأندلس[8].

وكذا الحال مع كل المحاصيل والصناعات التي تفيض حاجتها في مدينة ما، كانت تنقل إلى المدن التي تحتاجها، وذلك الأمر أوجد في بلاد الأندلس حركة تجارية داخلية نشطة، حاولت خلالها إيجاد نوع من التوازن الاقتصادي والغذائي في مدنها. وبلا شك أن ذلك النشاط في التبادل التجاري كان يحتاج إلى خدمات وتسهيلات تسهل عملية ذلك التبادل، وسنحاول معرفتها لاحقاً.

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 560.
2- الزهري، الجعرافية، ص129.
3- الصلة رقم / 698: 1/ 278.
4- الزهري، الجعرافية، ص89.
5- الزهري، الجعرافية، ص129.
6- مجهول، حدود العالم، ص135.
7- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 553؛ الحميري، الروض المعطار، ص606.
8- العذري، ترصيع الأخبار، ص120.

ب-التجارة الخارجية: معلوم أن أغلب التجارة الخارجية للأندلس كانت عبر موانئها؛ لأن تجارتها كانت مع بلاد المغرب العربي ومصر وبلاد المشرق، والطريق الواصل بينهما هو المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، وبذلك كانت السفن هي الوسيلة الوحيدة لنقل تلك التجارات، وعلى هذا الأساس، كانت الموانئ في بلاد الأندلس ذات حيوية ونشاط تجاري أكثر من أي موانئ في المنطقة. وكانت التجارة الخارجية لبلاد الأندلس تقسم إلى قسمين صادرات، تمثل البضائع التي تصدرها بلاد الأندلس، وهي تلك البضائع التي زادت عن حاجة البلاد، بشكل عام، وواردات، وهي جميع المواد والبضائع التي كانت بلاد الأندلس تحتاج إليها في الحياة اليومية، وسواء كانت تلك البضائع أساسية أم شكلية، وكالآتي:

- **الصادرات**: تنوعت لائحة الصادرات من بلاد الأندلس، من محاصيل زراعية إلى مواد خام، إلى مصنوعات، إلى غير ذلك، مما جادت به أرض الأندلس، وزاد عن حاجتها[1].

فيعدّ التين من أشهر صادرات بلاد الأندلس إلى خارج البلاد؛ إذ كان ما ينتج بشكل عام يفيض كثيراً عن الحاجة الداخلية، فكان يصدر من مدينة مالقة عبر السفن إلى بلاد المغرب العربي وبلاد المشرق[2]. كما كانت بلاد الأندلس تصدّر محصول القطن الذي كان ينتج في مدينة إشبيلية، إلى بلاد المغرب العربي، وما والاها[3]. ويعدّ الزيت من المواد الأساسية التي يصدّرها الأندلسيون، فقد كان يؤخذ من جبل الشرف

1- البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص274.

2- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص438؛ باشا، نجاة، التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (تونس: د.ن)، ص70.

3- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص293؛ الحميري، الروض المعطار، ص59؛ حمودة، تاريخ الأندلس، ص219.

في إشبيلية، ويحمل إلى بلاد المغرب العربي وبلاد الروم ومصر، ويصل حتى اليمن[1]، وجزيرة كريت[2].

ويمكن الوقوف قليلاً عند عملية تصدير زيت الزيتون! كيف يتم حفظ الزيت، وحمله تلك المسافات الطويلة؟ هل كانت هنالك أدوات لذلك؟

بالتأكيد كانت هنالك أدوات، يتم فيها وضع الزيت داخله؛ ليحفظ، ثم ينقل دون تلف. فما هي تلك الأدوات؟

تذكر وثائق الجنيزة أن أحد التجّار التونسيين كان يطلب شراء 100 حاوية، يسميها (Zarf) لتعبئة الزيت الذي اشتراه من مصر؛ لينقله إلى المناطق الأخرى[3]. وأغلب القول إن تلك الحاويات كانت مصنوعة من الجلد الذي كان يدبغ بشكل جيد؛ ليحفظ ما بداخله دون تلف.

إلا أن ما يذهل أن أهل الأندلس لم يستخدموا المادة نفسها لتعبئة الزيت، ونقله من مكان، إلى آخر، بل إنهم وكما تذكر وثائق الجنيزة كانوا يستخدمون حاويات مصنوعة من (alum)، وهي مادة غير معروفة، كما تذكر الوثائق[4].

كما شكّلت تجارة الرقيق إحدى صادرات بلاد الأندلس المهمة؛ إذ كانت تصدر الرقيق من الجواري والغلمان، ولا سيما القادمون إليها من السبي، فضلاً عن الخصيان من الصقالبة، ممّن كان يُجلب إليها بواسطة التجّار اليهود والصقالبة، فيُصدَّرون إلى

1- الزهري، الجعرافية، ص89؛ الحميري، الروض المعطار، ص59؛ البكر، النشاط الاقتصادي، ص275؛ النقيب، أحلام حسن مصطفى، العلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الإسبانية على عصري الإمارة والخلافة، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات أندلسية ومغربية، مكتب القمة للنشر، (الموصل: 2010)، ص77.

2- الزهري، الجعرافية، ص132.

3- Goitein. S.D , A Mediterranean Society The Jewish communities of the Arab world as portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, university of California press , London: 1967, V.1, p. 334.

4- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.334.

مصر، وفي بعض الأحيان، يصلون إلى خراسان[1]. ومن صادرات الأندلس الجنطيانا الذي يصفه المقّري[2] بأنه "عقار رفيع"، ويعدّ من صادرات الأندلس المشهورة، ويُصدَّر إلى جميع البلدان[3].

واشتهرت بلاد الأندلس بثرواتها المعدنية، فقد كانت تصدر المعادن، ولاسيما معدن التربة الصفراء ومعدن مغرة اللذان يستخرجان من مدينة لورقة، ويُصدَّران إلى الكثير من الأقطار[4]، كما كانت تصدر الزئبق الذي يستخرج من حصن ابال في شمال قرطبة، ويحمل إلى جميع البلدان[5]، فيصل إلى الحبشة[6]. ويشير البكري أن القرمز الأندلسي الذي يستخرج من مدن إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية، كان يصل إلى البلدان كافة[7].

كما صدَّرت بلاد الأندلس معدن الطين الذي يستخدم في غسل الرؤوس، وكان يُصدَّر إلى بلاد المغرب العربي ومصر والشام والعراق وبلاد الترك[8]. كما كانت تُصدَّر حجر المرقشيتا الذهبية[9].

1- ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص83-84؛ ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 110؛ آشتور. آ.، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر: عبد اهادي عبله، مراجعة: أحمد غسان سبانو، دار قيبة للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق: 1985)، ص 125.

2- نفح الطيب: 1/ 141.

3- البكري، المسالك والممالك: 2/ 385.

4- الحميري، الروض المعطار، ص512.

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 492؛ الحميري، الروض المعطار، ص6.

6- الزهري، الجعرافية، ص124.

7- المسالك والممالك: 2/ 385. وينظر: المقَّري، نفح الطيب: 1/ 141.

8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/ 228؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 161؛ متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط2، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1947): 2/ 229.

9- البكري، المسالك والممالك: 2/ 385. حجر المرقشيتا: حجر متعدد الأصناف منه الذهبي والفضي والنحاسي والحديدي، وكل صنف منه يشبه الجوهر. ينظر: عمارة، قاموس المصطلحات، ص528.

وكانَ لشهرة الكحل الأندلسي الذي يُصنع في مدينة طرطوشة دور في تصديره إلى جميع البلدان وكان يُشَبَّه بالكحل الأصبهاني[1]، كما كان الكحل الشلوذي مميزاً ومعروفاً، وكان يعمل في بلدة شلوذ الأندلسية، ويصدّر إلى بلدان كثيرة[2].

ومن المواد التي كانت تصدرها بلاد الأندلس السكاكين والأمقاص التي تُصنع من معدني الصِفر والحديد، وكانت تُحمل إلى بلاد المغرب العربي[3]. ومن الصادرات الأخرى الأمتعة الأندلسية التي كانت تُحمل من مدينة شاطبة، فتصل إلى بلاد المغرب العربي وغانة حتى بلاد السودان[4]، وكان يجلب إلى مدينة فاس كل جيد من الأمتعة[5]، كما كانت تصدّر الأردية الأندلسية المصنوعة من الكتان في مدينة بجانة، ثم إلى مصر[6].

وللمنسوجات الأندلسية شهرة واسعة، فقد كان يصدَّر من مدينة بلنسية النسيج المعروف بـ(النسيج البلنسي)، فـ يصل إلى بلاد المغرب العربي[7]، وكانت الملابس تصدَّر من بلاد الأندلس، ولا سيما من مدينة مرسية حتى تصل الحبشة[8]، وصدَّرت بلاد الأندلس الثياب السرقسطية إلى البلدان كافة[9]. ومن صادراتها البُسط التي اشتهرت بها، لا سيما تلك المسمّاة بالتنتلية، فكانت تصل إلى بلاد المشرق، وتُستخدم لتغليف الحيطان كنوع من الديكورات المنزلية[10].

1- البكري، المسالك والممالك: 2/ 386؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 143.
2- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 360.
3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 201-202.
4- العذري، ترصيع الأخبار، ص18-19.
5- الزهري، الجعرافية، ص114، 119.
6- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 114.
7- الشقندي، فضائل الأندلس، ص59؛ المقَّري، نفح الطيب: 3/ 221.
8- الزهري، الجعرافية، ص124.
9- العذري، ترصيع الأخبار، ص22؛ النقيب، العلاقات التجارية، ص77.
10-الشقندي، فضائل الأندلس، ص59؛ المقَّري، نفح الطيب: 3/ 221.

وكان الخزّ يصدَّر من بلاد الأندلس إلى الحبشة[1]، فضلًا عن الفراء القنلية[2] المشهورة، فقد كانت تصدِّره إلى بلاد المغرب العربي عبر مدينة سبتة[3]. وصدر نسيج السمور الذي تختص به بلاد الأندلس، ولا سيما مدينة سرقسطة التي تشتهر بنسج فراء السمور، وتصدر تلك المنسوجات على شكل ثياب رقيقة[4].

واشتهرت بلاد الأندلس بتصدير الحرير الذي يعدّ من البضائع المهمة للتجّار آنذاك، وأحسَّ أهالي البلاد بأهميته، فقاموا بتربية دودة القز، من خلال إنشاء مزارع خاصة، يربّى فيها دود الحرير، وكانت تتركّز تلك المزارع في مدينة جيان؛ إذ فيها أكثر من ثلاثة آلاف قرية، كلها تربّي دود الحرير[5]، وكانت هنالك عوامل، ساعدت على نجاح تربية دود الحرير، منها توفر أشجار التوت التي تتغذى على أوراقها، فضلاً عن معرفة الأندلسيين الدقيقة بشهور وضع ذلك الدود للبيض، والعناية به[6]. فأنتجوا من الحرير ما زاد عن حاجتهم، فكان يصل إلى الحبشة[7].

ومن صادرات الأندلس المشهورة الوشي الديباج؛ إذ كان هنالك بعض التجّار متخصصين باستيراد الوشي من الأندلس، كالتاجر وثيمة بن موسى بن

1- الزهري، الجعرافية، ص124.
2- القنلية: حيوان شبيه بالأرنب، يسمّى بالإيطالية (Coniglio). ينظر: المقَّري، نفح الطيب: 1/ 198 من كلام المحقّق هامش رقم 4.
3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 198.
4- ابن غالب، فرحة الأنفس، ص287-288.
5- الحميري، الروض المعطار، ص183؛ اولسومر، بوجن، أسلافنا العرب، تر: محمد محفل، منشورات وزارة الثقافة، (الجمهورية العربية السورية: 1995)، ص38.
6- عريب بن سعد، أبو الحسن الكاتب القرطبي، تقويم قرطبة (كتاب الأنواء)، نشره: رينهارت دوزي، مطبعة بريل، (ليدن: 1961)، ص33؛ العبادي، الحياة الاقتصادية، ص146.
7- الزهري، الجعرافية، ص124؛ الطيبي، أمين توفيق، جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل ((جنيزة القاهرة))، بحث منشور ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، (تونس: 1997): 2/ 142.

الفـرات الفارسـي (ت237هــ/ 851م)؛ إذ خـرج من مصـر إلى بــلاد الأندلس، وكان "يتجر في الوشي"[1].

وكانت بلاد الأندلس تصدِّر الزعفران من مدن طليطلة وبياسة إلى البلدان كافة[2]، فيصل حتى الحبشة[3] وإلى مصر والعراق[4]، فضلًا عن عـروق الزنجبيل التي كانت تصل إلى البلدان كافة[5]، وللعصفر الأندلسي شهرة، فكان يصل إلى البلدان كافة[6]، كما كان الصمغ السماوي يصدّر من بلاد الأندلس، ومن مدينة طليطلة تحديداً إلى البلدان كافة[7].

ومن الصادرات المشهورة المرجان، فقد كان يستخرج من ساحل البيرة وحدها ما يقدّر بـ ثمانين قنطاراً في أقل من شهر، ويصدّر إلى البلدان كافة[8]. فضلًا عن تصدير العنبر؛ إذ يذكر المقّري برواية المسعودي أن العنبر الأندلسي، وبسبب جودته، يصدَّر إلى مصر وغيرها من البلدان[9]. أما الفخّار المذهب؛ فقد كان يصنَّع في مدينة مالقة، ويصدَّر إلى "أقاصي البلاد"[10]. والزئبق الأندلسي كان يصدَّر إلى جميع البلدان[11].

1- الحميدي، جذوة المقتبس، ص536.
2- البكري، المسالك والممالك: 2/ 394؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 518؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 2/ 71.
3- الزهري، الجعرافية، ص124.
4- الحيالي، زينب سالم صالح، العطور في الحضارة الإسلامية دراسة في أهميتها وتجارتها خلال العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2008، ص79.
5- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 144.
6- الحميري، الروض المعطار، ص59.
7- البكري، المسالك والممالك: 2/ 394.
8- البكري، المسالك والممالك: 2/ 385.
9- نفح الطيب: 1/ 143-144.
10- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص438.
11- البكري، المسالك والممالك: 2/ 386؛
Veiga, Gustavo Turienzo , Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, Universidad Complutense DE Madrid, Facultad DE Filologia , Madrid , 2002, Departamento de , Estudios Árabes e Islámicos, PP. 53 , 56.

إذنْ؛ هذه كانت أغلب الصادرات الأندلسية التي كانت تخرج من بلاد الأندلس إلى البلدان كافة بدءاً من بلاد المغرب وصولاً إلى بلاد مصر، فبلاد الشام، فالحجاز إلى العراق، وصولاً إلى الهند.

وتلك الصادرات المتنوعة وبلا شك كانت تصدَّر عبر الموانئ، فمنها ما كان يصدَّر مباشرة عبر السفن، ومنها ما كان يبقى في تلك الموانئ، ولمدة معينة طويلة كانت أم قصيرة، وبذلك، فقد كانت تحتاج إلى مخازن لخزنها، وعمالة ودوابّ لنقلها، وهذا ما وفّرته تلك الموانئ، وهو ما سنبيّنه لاحقاً.

– **الواردات**: رغم تنوّع الناتج المحلي من المحاصيل والصناعات إلا أن البلاد كانت تحتاج إلى استيراد بعض الحاجيات والبضائع التي تفتقر إليها الأسواق الأندلسية، وبعد ارتفاع المستوى المعيشي لأهالي الأندلس أصبحت لديهم الرغبة إلى استيراد البضائع الكمالية، أو سد النقص الحاصل في بعض أوقات القحط، فهي كانت تستورد كل ما تحتاجه من البضائع، وهذا شيء طبيعي في البلدان التي تشهد نمواً سريعاً في كافة المجالات الحضارية[1].

وقد كانت تجارة الجواري والفتيان الصقالبة (الرقيق) من واردات بلاد الأندلس المشهورة، فقد كان يصل سعر الجارية في بعض الأحيان إلى عشرة آلاف دينار، وكانت تُجلب من بلاد الصقالبة[2]. كما كانت تُجلب إلى بلاد الأندلس نوع من الثياب الصوفية من بلاد فلندة، وكانت تضاهي ثياب الخز[3]. ومن الواردات التي اشتهرت بها

1- ينظر: البكر، النشاط الاقتصادي في الأندلس، ص279.

2- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص218؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 41؛ بيرنيط، خوان، هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط البحرية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، السنة الاولى، 1953، ع1، ص75؛ الدليمي، أحمد صالح مهدي، تنظيمات الجيش في الأندلس في العصر الاموي (138-422هـ/ 755-1030م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1989، ص23.

3- الزهري، الجعرافية، ص76.

بلاد الأندلس هي الكتب؛ إذ قامت الدولة باستيراد الكتب، وجمعها، وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل ذلك[1].

كما فرض الواقع السياسي والعسكري على بلاد الأندلس استيراد النبال؛ إذ كانت تستوردها من بلاد السوس الأقصى لاستخدامها في العمليات العسكرية[2]، واستوردت بلاد الأندلس النحاس من بلاد السوس الأقصى[3]، فضلًا عن استيراد مادة السكر المعروف عند الأطباء بالطبرزد، فاستورد التجّار السكر المعروف بالسوسي من مناطق السوس الأقصى في بلاد المغرب العربي[4].

وكانت بلاد الأندلس تعتمد بشكل كبير على قمحها[5]. إلا أن حالات الجفاف التي كانت تمر عليها بشكل متقطع حتّمت عليها استيراد القمح من بلاد المغرب العربي، بواسطة المراكب، ولا سيما من مدينة تنس[6] ومكناسة الزيتون[7]، كما كانت تستورده من مرسى فضاله، فضلاً عن استيرادها للشعير والفول[8]. ولندرة زراعة النخيل في بلاد الأندلس، فقد كانت تستورد التمور من بلاد السوس الأقصى في المغرب العربي[9].

1- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 186.
2- الزهري، الجعرافية، ص117.
3- الزهري، الجعرافية، ص117.
4- الزهري، الجعرافية، ص117؛ الحميري، الروض المعطار، ص330.
5- م.أ. كوك، التطورات الاقتصادية، منشور في تراث الإسلام، تصنيف: جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، تر: محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى، مراجعة: فؤاد زكريا، عالم المعرفة، مايو، (الكويت: 1998): 1/ 249.
6- ابن سعيد، الجغرافيا، ص142؛ الخزاعي، كريم عاتي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1997، ص94.
7- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 181.
8- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/ 239-240.
9- الزهري، الجعرافية، ص118-119.

ومن واردات الأندلس المشهورة الشب؛ إذ كان يجلب من بلاد السوس الأقصى[1]. كما كانت تستورد السمن والعسل من الجزائر بشكل كبير[2]. وللحيوانات مكان في واردات بلاد الأندلس، فالماعز كان يُستورَد من بلاد المغرب العربي، من خلال مرسى فضاله[3]، وكذلك البقر الذي كانت تحمله المراكب من مرسى فضاله، في بلاد المغرب العربي إلى بلاد الأندلس[4].

وللمعدن النفيس حصة من تلك الواردات، فالذهب والجواهر كانت تأتي إلى بلاد الأندلس من خلال التجّار المتخصصين، فهذا تاجر مجوهرات، يأتي من عدن بجواهر كثيرة، يدخل بها بلاد الأندلس أيام المنصور بن أبي عامر الذي اشترى منه ما استحسنه من تلك المجوهرات[5]، فضلًا عن ورود التبر من بلاد النوبة في السودان إلى الأندلس[6]. كما كان الزرنيخ **يستورد** للبلاد من مدينة بنزرت في المغرب العربي[7]. واستوردت بلاد الأندلس "جلود الثعالب السود، وهي أكرم الأوبار وأكثرها ثمناً، ومنها الأحمر والأبيض"[8].

فساهمت تجارة الاستيراد مساهمة فعالة في تنشيط الموانئ وازدهارها وزيادة عمليات التبادل التجاري بأشكاله المختلفة، والتي انعكست إلى تقديم أفضل الخدمات لهؤلاء التجّار لكسب ثقتهم وتجارتهم إلى الموانئ الأندلسية.

1- الزهري، الجعرافية، ص117.
2- الحميري، الروض المعطار، ص163.
3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/ 240.
4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 1/ 240.
5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 291.
6- الزهري، الجعرافية، ص122.
7- الزهري، الجعرافية، ص108.
8- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص55.

الفصل الرابع

الخدمات التجارية في الموانئ الأندلسية

لـم يجـد العـرب المسـلمون خـلال فتحهـم لبـلاد الأندلـس حضـارة متكاملـة فـي البـلاد المفتوحـة، بـل بقايـا حضـارة غابـرة[1]، وبذلـك بـدأت عمليـة بنـاء مقومـات الدولـة التـي تؤسـس للحضـارة الجديـدة، والتـي قُـدِّر لهـا أن تنشـأ بجهودهـم، وتسـتمر لحقـب طويلـة، بـل وتؤثـر بـكل المناطـق والحضـارات المحيطـة بهـا، وفـي كل الميادين الإداريـة والاقتصاديـة والعمرانيـة والفكريـة والاجتماعية.

وكان الميدان الاقتصادي، وبسبب عدة عوامل منها الجغرافية كما ذكرنا سابقاً نشيطاً، بشكل مميز، فوصلت أصداؤه إلى أبعد نقطة من العالم آنذاك، وبما أن التجارة هي إحدى الركائز التي قام عليها النشاط الاقتصادي آنذاك، واعتمدت بشكل كبير على موانئها، فقد عانت من بعض المشاكل التي تعيق حركتها باستمرار، لا سيما أيام الشتاء[2]، بسبب الظروف المناخية السيئة، والتي تسبِّب هيجاناً في البحر الأبيض

1- عيسى، محمد عبد الحميد، الحضارة الأندلسية: مرحلة التكوين، بحث منشور ضمن كتاب ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، تحرير: قاسم عبدة قاسم ورأفت عبد الحميد، دار المعارف، (القاهرة: 1982)، مج2، ص269.

2- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص219.

المتوسط والمحيط الأطلسي، ويؤدي ذلك - بالتالي، وبلا شك - إلى ظهور خطر الإبحار في مثل هذه الظروف.

وكان للاستقرار السياسي وسيطرة الأندلسيين على حوض البحر الأبيض المتوسط، وتأمينه من قطاع الطرق دور كبير في ظهور النشاط التجاري في الموانئ الأندلسية الشرقية كانت أم الغربية.

إلا أننا نلاحظ أن هذا النشاط التجاري في الموانئ الشرقية كان أكبر منه في الموانئ الغربية، والسبب في ذلك قربها أولاً من البلدان التي تأتي منها المراكب، ولقرب المدن الأندلسية التي تذهب إليها البضائع منه، مما لو ذهبت تلك البضائع إلى الموانئ الغربية ثانياً.

وكانت الموانئ مكان استقرار أكثر التجّار أيام المحن، فهذا التاجر إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي القرشي، قدم من مصر إلى الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/ 961-977م)، ولما استمكنت الدولة العامرية، لجأ إلى إشبيلية، واستقر بها[1]. فضلًا عن ذلك، فقد كانت الموانئ إحدى مراحل نقل الحجّاج، وبلا شك، إنهم كانوا يستقرون فيها لمدة معينة لحين وصول السفن وتهيئة الترتيبات اللازمة لذلك[2].

وكان لحرية التجارة وعدم التمييز بين مَن يعمل في التجارة من الأديان كافة - مسلماً كان أم ذمياً - أثرٌ بليغ في انتشارها بشكل واسع في بلاد الأندلس والبلاد الأخرى، وهذا الانتشار يحتّم بالضرورة وجود خدمات أكثر مما هي عليه، مما لو لم تكن هنالك تجارة.

فالبلد الذي لا توجد فيه تجارة لا يحتاج مثلاً إلى فنادق، وإن كانت هنالك حاجة، ففندق واحد أو اثنان، وهذا الحال ينطبق على الحمامات والقيساريات

1- المقَّري، نفح الطيب: 3/ 69.

2- كونستبل، التجارة والتجار، ص71.

والخانات، واليد العاملة وغير ذلك من الحاجات التي ألزمت البلد الذي تنتشر فيه التجارة أن تكون فيه خدمات وتسهيلات يوفّرها ذلك البلد لكل مَن يفد إليها من التجّار وغيرهم، وميزة تلك الخدمات والتسهيلات أنها تجارية بحتة، أي بمقابل، نقدياً كان أم غير نقدي، وليست بالمجان.

أولاً: ملكية الموانئ والمراسي:

نظراً لأهمية الموانئ والمراسي في بلاد الأندلس، فقد عمل الولاة والأمراء والخلفاء على إبقاء ملكيتها للدولة، فكان من أولى وأعظم الخدمات التجارية التي قدّمت للتجّار في الموانئ الأندلسية، هو جعلها ملكاً عاماً، فلا يحق لأي فرد مهما علت سلطته؛ التملك في جميع أراضي الموانئ[1]. وإن كانت ملكاً لأحد، فللدولة الحق في أخذها منه، وتعويضه، وعلى المحتسب مراقبة ذلك، تدعمه السلطة القضائية، وهذا الأمر بينَّه ابن عبدون[2] بشكل واضح وصريح، من خلال النص الآتي الذي يبيّن أن من مهام المحتسب "أن يحمي ضفة الوادي الذي هو مرسى المدينة للسفن أن يباع منها شيء، أو يُبنى فيها بنيان، فإن ذلك المـوضع عين البلد، وموضع إخراج الفوائد، مما يخرجه التجّار، ومأوى الغرباء، وموضع إصلاح السفن؛ فلا يكون فيها ملك لأحد إلا للسلطان وحده. ويجب للقاضي أن يحمي ذلك كل الحماية؛ فإنه موضع التجّار والمسافرين وغيرهم. ويحدّ لصاحب المواريث أن لا يبيع منه شبراً واحداً".

ومن النص المذكور آنفاً نستنتج أن الدولة الأندلسية كانت تولي الموانئ أهمية كبيرة، وجاءت تلك الأهمية كون الموانئ هي المجاز الوحيد لبلاد الأندلس إلى

1- كونستبل، التجارة والتجّار، ص183؛ مصطفى، الخدمات والتسهيلات التجارية، ص66.

2- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص30.

البلدان الأخرى، فضلاً عن أنها مكان إصلاح السفن وملاذ للتجارِ الغرباء[1]، والتي تستطيع - وبلا شك - من خلال ورود أولئك التجّار وتجاراتهم من الحصول على موارد جيدة للدولة، من خلال فرض الضرائب على الأشخاص والبضائع، وهو ما حدا بالدولة إلى وضع موظفين وإداريين، مهمتهم تنظيم الإدارة في الموانئ، من خلال معرفة القادم والخارج من الميناء، فضلاً عن معرفة البضائع وأنواعها؛ بحيث لا يمكن إنزال البضائع المحرمة شرعاً إلى الموانئ، كالخمر مثلاً[2]، فلو كانت ملكاً خاصاً، لعمد مالكوها - وبلا شك - إلى احتكار التجارة فيها، فضلاً عن إيجارها بأسعار مرتفعة، مما يعرض أسواق البلاد إلى إرتفاع الأسعار.

ثانياً: توفير العمال:

كان النشاط التجاري الواسع في الموانئ الأندلسية يحتّم وجود إدارة تجارية، لاسيما في مجال إدارة وتوفير الأيدي العاملة لحاجة التجّار إلى عمّال، للقيام بتحميل البضائع التي يتمّ نقلها من المدن، ورفعها إلى السفن بعد أن نعلم أن معظم السفن كانت حمولتها تشتمل على بضاعة واحدة فقط، كالتين مثلاً[3]، أو القيام بتنزيل حمولات السفن الواردة إلى الموانئ في أماكن معلومة لغرض فرض الضرائب عليها، ثم بيعها.

كما أن بعض المواد التي تصدِّرها بلاد الأندلس كانت تحتاج إلى أيدٍ عاملة كثيرة لاستخراجها وتصديرها، كما في معدن الزئبق، الذي يعدّ من صادرات الأندلس، والذي يشتريه التجّار لتوفره فيها، ونقله إلى المناطق التي تطلبه، فهذه المادة لغرض استخراجها كانت تحتاج إلى ألف رجل يتقاسمون العمل فيما بينهم لاستخراجها،

1- كونستبل، التجارة والتجار، ص183.
2- كونستبل، التجارة والتجار، ص185.
3- المقَّري، نفح الطيب: 2/ 11.

فمنهم مَن يقوم بالنزول داخل الصخور (المناجم)، ويقوم بتقطيع الحجر، وقسم آخر يقوم بنقل الحطب لغرض صهر المعادن، والبعض الآخر يقوم على أواني السبك والتصفية، وقوم لبناء أفران الحرق، والتي تُبنى من أسفل الأرض إلى أعلى بارتفاع مائة قامة[1]. فالتاجر الذي يتاجر بالزئبق، فإنه يحتاج إلى عمال متخصصين بتلك المادة، من حيث حملها ونقلها، وكل ما يستلزم عملها آنذاك.

وإن كان هذا الرقم مبالغ فيه، فهو يوضح الأعداد الكبيرة التي تحتاج إليها بعض الصناعات، والتي تشجّع على ظهور مكاتب خاصة، مهمّتها توفير العمّال.

فضلاً عن أن اصحاب السفن وبلا شك سيحتاجون إلى بعض الأخشاب لإصلاح بعض ما أفسد في السفينة أثناء السفر، فهم بذلك يجب عليهم الاستعانة بأصحاب المهنة المتخصصة بقطع الخشب، فكان في موانئ الأندلس عمّال يتخصصون بقطع الأخشاب بالأجرة، فهم يملكون المناشير لذلك[2]. للمنشار، ينظر الشكل رقم (4).

وبذلك فقد عرفت بلاد الأندلس في موانئها التخصص في العمل، فضلاً عن وفرة اليد العاملة التي توفر على التاجر مشقة البحث؛ إذ إنها تميزت بأن لكل مهنة عاملاً لها، وكانت لهم أماكن مخصصة لهم، يقفون بها، لا يبتعدون عنه[3].

وكان لتلك العمالة أجرة متفق عليها، فقد كانت أجرة العامل في بلاد الأندلس تتراوح بين درهم واحد ودرهم ونصف - كانت قيمة الدينار تعدل ما بين 20.6 درهماً و31 درهماً[4].

1- الحميري، الروض المعطار، ص6؛ لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص165.

2- السقطي، في آداب الحسبة، ص56.

3- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص41.

4- شلميطا، بدرو، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي (دراسة شاملة)، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 2/ 1059.

ويبدو أن الحاجة إلى العمالة كانت أحد الأسباب التي دعت الأمير الحكم الأول (180-206هـ/ 796-822م) إلى استكثار المماليك في بلاد الأندلس[1].

ومما لا شك فيه أنه كانت لتلك العمالة مكاتب خاصة، تنظم عملها؛ إذ يذكر ابن الفرضي أن شخصاً يدعى عبد الله بن يحيى كان يعمل في العمالة، وكَسَبَ مالاً عظيماً بها[2].

فذلك يدل على أنه كان يوجد في المناطق التي تحتاج إلى عمالة، لا سيما الموانئ، كانت لديها المكاتب لذلك، وأنها تتفق مع الشخص الباحث عن العمالة، فذلك المكتب يتفق معه على نوع العمل وعدد العمال وأجرة العمل، وبالتالي؛ فإن المكتب يوفر تلك العمالة، ويدفع لها أجرة العمل التي ستكون - وبدون شك - أقل مما اتفق عليه صاحب المكتب، وبذلك ربح المكتب الفرق بين الاتفاقين مع طالب العمالة وبين العمّال.

ثالثاً: إنشاء دار صناعة السفن:

لقد كانت السفن هي واسطة النقل الوحيدة التي تربط بلاد الأندلس مع البلدان الأخرى، ولا سيما تلك الواقعة في جنوب البلاد وشرقها، وبذلك فقد كانت الحاجة ماسة إلى إيجاد دار لصناعة السفن وإصلاحها، لأن السفن كانت تتعرض خلال رحلتها إلى عوارض، تجبر صاحبها على ضرورة إصلاحها، فتولت الدولة توفير هذه الخدمة المراكب والسفن كافة.

إذنْ؛ كانت مهمة دار الصناعة هي صناعة السفن، فضلاً عن إصلاح السفن التي تحتاج إلى ذلك[3]، وجدير بالإشارة إلى أن عمليات إصلاح السفن كانت تتم خلال

1- ابن الأثير، الكامل: 5/ 196.

2- تاريخ علماء الأندلس، ص188.

3- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص30.

فصل الشتاء، وكان للموانئ التي توفر إصلاح السفن مكان يسمّى بالحوض الجاف مخصص لهذه المهمة (إصلاح السفن)، وبعد إكمال عمليات التصليح يتم ملؤه بالماء، ومن ثم؛ سحب السفينة إلى البحر[1].

وقد اهتمت الدولة الأندلسية في عصر الإمارة في وقت مبكر بوجود دار لصناعة السفن والمراكب لأهميتها، فمع بداية تسلّمه لزمام الأمور، فقد انشأ الأمير عبد الرحمن الداخل دُوراً للصناعة في موانئ طركونة وطرطوشة وقرطاجنة الخلفاء وإشبيلية والمرية[2]، وكانت تشكّل عصب الصناعة البحرية، في ذلك الوقت.

واشتهر ميناء طرطوشة بصناعة المراكب، فضلاً عن إصلاحها، وذلك لوجود الصناع والفَعَلَة فيها، وتوفّر خشب الصنوبر في جبالها؛ إذ يتميز عن بقية أخشاب الصنوبر في بقية المناطق أنه "لا يوجد له نظير في الطول والغلظ... أحمر صافي البشرة دسم، لا يتغير، ولا يفعل السوس ما يفعله في غيره"[3] ومنه كانت تصنع الصواري والمجاذيف وقوائم الأشرعة[4].

ويبدو أن الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) كان له الدور البارز في بناء دار صناعة في مدينة طرطوشة سنة (333هـ/ 944م)؛ إذ يورد لنا عنان[5]

1- Goitein. S.D , A Mediterranean Society, V.1, p. 318.

2- رينو، جوزيف، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي، تعريب وتعليق الحواشي وتقديم: إسماعيل العربي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1984)، ص124.

3- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 555. وينظر: الحميري، الروض المعطار، ص391.

4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 555؛ الحميري، الروض المعطار، ص391؛ أبو مصطفى، كمال السيد، تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف(في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي)، بحث منشور ضمن كتاب: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلّبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، (المملكة العربية السعودية: 1996)، القسم الأول، ص183؛ أبو مصطفى، كمال السيد، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، (الإسكندرية: 1977)، ص88.

5- الآثار الأندلسية، ص121-122؛ وينظر: أرسلان، الحلل السندسية: 3/ 10.

نصاً، وجد على بقايا أثرية في مدينة طرطوشة مكتوباً عليه "بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذه الدار عدة للصناعة والمراكب، عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين، أيده الله، فتمّ بناؤها على يد قائده وعبده عبد الرحمن بن محمد، بعون الله، ونصره، في سنة ثلث وثلثين وثلث مائة".

كما كان ميناء دانية يملك مصنعا لصناعة وتصليح السفن، لا سيما السفن الحربية التي تؤمن سواحل الأندلس[1]، وكان الصناع يجلبون الخشب إليها من حصن قلصة[2]، وتميز ميناء دانية بصناعة أكثر المراكب لجودة تلك الأخشاب[3].

ولم يكن ميناء لقنت أقل شهرة في صناعة السفن، ففيه كانت "تنشأ بها المراكب السفرية والحراريق"[4]. للحراريق، ينظر الشكل رقم (15).

وكان للدولة الأندلسية اهتمام بالغ في دار صناعة السفن، من حيث توفير كافة المستلزمات لإنجاح تلك الدار، فنرى أنَّ الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م)، قد هيأ جميع المستلزمات لدار الصناعة في ميناء المرية، فيذكر ابن حيان[5] أنَّ الخليفة الناصر عزل "عبدالملك بن سعيد المعروف بابن أبي حمامة عن مدينة بجانة، وولى مكانه أحمد بن أبي عبيدة... وعهد إليه الناصر لدين الله بإصلاح الأسطول المستقر لديه، بدار الصناعة بالمرية، وتهذيبه والزيادة فيه، وإعداد آلاته، وجميع ما يحتاج إليه".

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 560؛ الحميري، الروض المعطار، ص231-232.
2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 560.
3- معجم البلدان، ياقوت الحموي: 5/ 424.
4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558. وينظر: الحميري، الروض المعطار، ص511؛ حتّي، فيليب، صانعو التاريخ العربي، ط2، تر: رانيس فريحة، مراجعة: محمود زايد، دار الثقافة، (بيروت: 1980)، ص98.
5- المقتبس، تح: شالميتا، ص323.

ثم قسم مدينة المرية على قسمين: الأول يحتوي على المراكب الحربية والآلة والعُدد، والثاني يحتوي على القيساريات[1].

فكان هذا الاهتمام يعبّر عن فكر الدولة الفاهم لأهمية السفن والمراكب في الجانبين التجاري والعسكري.

ولأهمية موقع ميناء الجزيرة الخضراء نجد أن الأمير عبد الرحمن بن محمد (300-350هـ/ 912-961م) أمر ببناء دار لصناعة السفن فيها[2]. واستمر الاهتمام به، بدليل قيام الخليفة سليمان بن الحكم وخلال خلافته الثانية (403-407هـ/ 1013-1016م) بتعيين القاسم بن حمود بن ميمون الإدريسي والياً على الجزيرة الخضراء[3].

وكانت قرطبة تصنع المراكب والسفن، وقد اهتم الأمراء الأمويون بتطوير دار صناعتها؛ لتتلاءم مع حاجات البلاد، ففي سنة (266هـ/ 879م) "أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة؛ ليتوجه بها إلى البحر المحيط"[4]. وبسبب وجود معدن الحديد فيه، تميز ميناء شلطيش بصناعة السفن ومراسيها التي ترسو بها[5].

كما اشتهر ميناء شنت مارية بصناعة السفن، وكان خشب الصنوبر يُجلب إليه من المناطق القريبة منه[6]. كما أنشأ المسلمون داراً لصناعة السفن في ميناء قصر أبي دانس[7].

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص86.

2- الحميري، الروض المعطار، ص223؛ أحمد، نهلة شهاب، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2009)، ص41.

3- المراكشي، المعجب، ص91؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 114-115؛ أحمد، الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق، ص41.

4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 103-104.

5- الحميري، الروض المعطار، ص344.

6- الحميري، الروض المعطار، ص347.

7- لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص123.

وبذلك نجد أنَّ صناعة السفن كانت منتشرة في معظم موانئ بلاد الأندلس الشرقية والغربية منها، فضلاً عن الموانئ الداخلية.

وعن طبيعة المواد الأولية التي كانت تتطلبها تلك المصانع، ولا سيما الخشب، فنجد أن معظمها اعتمد على ما هو موجود بالقرب منها، وإذا لم يكفِ، فالحاجة كانت تستلزم جلب الأخشاب من جزيرة يابسة الأندلسية، والتي وفّرت تلك المادة لأغلب المصانع[1].

وكان شجر الصنوبر هو المادة الأولية المطلوبة في صناعة السفن، وله أجناس متعددة، منها السرو، فضلاً عن أشجار البلوط، المتوفرة بكثرة على السواحل الشرقية للأندلس، وفي جزيرة منورقة؛ إذ يتميز بالطول، ومقاومته للتعفّن، والمرونة في العمل[2].

وكان الزفت من المواد الأولية التي تُستخدم في صناعة السفن، وكان يُستخرج من عروق أشجار الصنوبر والقطران المستخرج من باطن الأرض فيتم بهما تصليح وإدامة السفن والمراكب البحرية، من خلال ملء الشقوق والثقوب التي سبّبها الإبْحار[3]. وكان مَن يقوم باستخراج الزفت، يسمّى بـقاطر الزفت، أو كلفاط، ووصفه الشاعر بالقول[4]:

وذات كشحٍ أهيَفَ شخْتِ ... كأنما بولغ في النَّحْتِ
زنجيةٌ تحمل اقواتها ... في مثل حدَّيْ طرفِ الجفتِ
كأنما اخرها قطرةٌ ... صغيرةٌ من قاطر الزفت

1- الحميري، الروض المعطار، ص616.

2- Veiga , Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, P. 53 , 56.

3- ابن حيان، المقتبس، تح: الحجي، ص101؛ مصطفى، الخدمات والتسهيلات التجارية، ص72.

4- الحميدي، جذوة المقتبس، ص454؛ الجعماطي، النقل والمواصلات، ص488.

فضلاً عن الأخشاب كانت المسامير إحدى المواد الأولية التي تُستخدم في صناعة السفن التي تبحر في البحر الأبيض المتوسط، بعكس سفن البحر الأحمر التي تستخدم الألياف والشحوم لتماسك السفينة، كون الحديد يذوب بسرعة، في ذلك البحر[1].

ويدخل في صناعة السفينة، "أربعون ربعاً من المسمار المنوع من ألف مسمار في الربع، وخمسمائة في الربع، ويدخل فيها من مسمار التقريط أربعة عشر ألفاً وزنة كل مائة تسع أواق، ومن التقريط الكبير ألفان اثنان، وزن المائة منه أربع وعشرون أوقية، ويدخل فيها من البياض ثلاثون ربعاً، ومن الكتان تسعة أرباع"[2]. للاطلاع على المسامير، ينظر الأشكال رقم (17) ورقم (18) ورقم (19) ورقم (20).

ومن النص المذكور آنفاً، يتضح لنا أن السفينة الواحدة كانت تحتاج إلى الآلاف من المسامير المتنوعة مثل مسامير التقريط ذات الحجم الطبيعي والكبير التي كانت تحتاج إلى صنّاع خاصّين بتلك الصنعة، فضلاً عن البياض - الذي يبدو أنه نوع من أنواع القماش- والكتان.

وكانت أجرة صنّاع المسامير من ضرّابين وكيّار ثلاثة دراهم، وأجرة المعلم على العمل درهمان[3].

وعرف الأندلسيون صناعة الأشرعة المثلثة الشكل الذي يعلق طرفه الأعلى بعارضة طويلة، ويركب مائلاً نحو مؤخّرة السفينة، وتُـدار من أرض السفينة، فاستخدموها بدل الشراع القديم المربع الشكل[4]، وكانت تُصنع تلك الأشرعة من

1- المسعودي، مروج الذهب: 1/ 127؛ صايغ، أنيس، الأسطول الحربي الأموي في البحر الأبيض المتوسط، د.م، (بيروت: 1956)، ص50.
2- السقطي، في آداب الحسبة، ص72.
3- السقطي، في آداب الحسبة، ص71.
4- آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص123.

الكتان، ومن الصوف المأخوذ من الماعز وأكثر ما يكون في الجزيرة الخضراء، فضلاً عن نسجهم الأغطية لجميع مَن في السفينة[1].

كما كانت دار السفن تصنع الحبال التي تحتاج إليها السفن، وتعتمد في الصناعة على الحلفاء المشهورة في بلاد الأندلس[2].

كما أسهب الشعراء في وصف السفن، فيذكر ابن سعيد المغربي برواية ابن غالب أبياتاً شعرية لـ أبي محمد عبد الله بن سلفير الشاطبي يصف مجموعة سفن بحرية[3]:

وبنتِ ماءٍ لمسرى الريح جِرْيَتُهَا ... تمْشي كما مشت النَّكْبَاءُ والثَّمِلُ
قد جَلَّلوها شِراعاً مثل ما نشأَتْ ... يُظلَّها من غمامٍ فوقها ظُلَلُ
كأنها فوق متنِ الريح سَابِحَةً ... فَتْخَاءُ يعلو بها طوراً وَيْسَتفِلُ
جابت بنا كل خَفَّاق الحشَا لَجب ... لملتقى المَوْج في حافاته زَجَلُ

وكان لأهل الأندلس خبرة متراكمة عبر القرون في صناعة المراكب والسفن، وكانوا يأخذون بنظر الاعتبار عند صناعة هيكل المركب، أو السفينة قوة الموج وشدة الريح والمد والجزر[4]، وكان طول السفينة يتراوح في الغالب بين (15-25) متر[5].

ومن المراكب التي ذكرها المؤرّخون لكبر حجمها مركب، صُنع بأمر الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) في سنة (344هـ/ 955م)، وسيّره إلى الشرق، يصفه ابن الأثير[6] بأنه كان "مركباً كبيراً، لم يعمل مثله".

1- Veiga , Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, P. 94-95.

2- Veiga Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, P. 96.

3- المغرب في حلى المغرب: 2/ 389.

4- Veiga , Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, P.65.

5- Veiga , Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, P. 106.

6- الكامل: 6/ 562.

وكان للمحتسب دور كبير في مراقبةِ تلك الصناعة، من خلال ضمان توفير جميع مواد صناعة السفن، فضلاً عن حرصه أن تكون السفن ذات مواصفات جيدة لضمان السفر الآمن[1].

يمكن القول إن إنشاء دار صناعة السفن لم يكن محدداً بمناطق وموانئ معينة، بل كان وجودها على توفر المواد الأولية، من الأخشاب الصالحة لصناعة السفن الدور الأساس في وجود تلك الدور في موانئ معينة دون غيرها.

وقد صُنعت في دار صناعة السفن تلك العديد من أنواع السفن والمراكب، أشهرها:

1. الطريدة:

الجمع طرايد، وهي من مراكب البحر الأبيض المتوسط المشهورة[2]، وهي عبارة عن مركب صغير، يشبه البرميل الكبير الحجم، مفتوحة المؤخرة، بأبواب تُفتح، وتُغلق، وتستخدم غالباً لحمل الخيول للحرب، وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً[3]، وتستخدم هذه السفينة الأشرعة والمجاذيف، وكان لها مجدافان[4] للتوجيه في المؤخرة[5].

1- كونستبل، التجارة والتجّار، ص186.

2- النخيلي، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ط2، دار المعارف، (مصر: 1979)، ص89؛ عبادة، عبد الفتاح، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال بالفجالة، (مصر: 1913)، ص6.

3- المخزومي، أحمد بن عميرة، تاريخ ميورقة، تح: محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2007)، هامش ص66؛ عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص6؛ خماش، نجدة، البحرية العربية، مقال منشور على الشبكة العنكبونية العالمية (الإنترنيت) على الموقع:

www.arab-ency.com

4- المجداف: خشبة في رأسها لوح عريض، تُدفع به السفينة. ينظر: عمارة، قاموس المصطلحات، ص513.

5- كونستبل، التجارة والتجّار، ص63.

2. السفرية:

وهو نوع من المراكب التي كانت تستخدم لنقل البضائع، فضلاً عن الاستخدام الحربي[1]، وصُنع هذا النوع من المراكب في ميناء لقنت[2].

3. الشواني:

مفردها شيني أو شاني أو شينية أو شونة، كانت من أهم القطع الكبيرة التي يتكون منها الأسطول الإسلامي[3]، وكانت تُعرف بالأغربة أو الغربان؛ لأنها كانت تُطلى بالقير، ولها قلوع بيضاء، ولكبر حجمها، فقد كانت مخيفة المظهر، وتجذّف بمائة وثلاثة وأربعين مجدافاً، وكانت مزوّدة بأبراج وقلاع للدفاع وللهجوم، وكان المحاربون يقفون وراء تلك التحصينات، ويسددون من ثغراتها نيرانهم وحجارتهم إلى سفن ومراكب الأعداء وأسوار مدنهم، أما البحارة؛ فكانوا يجلسون في الأقسام السفلى، وكانت القطعة الواحدة تتسع لحوالي مئتي مقاتل وعشرات البحارة والعمّال، كما أنها تحتوي على أهراء[4] لخزن القمح، وصهاريج لخزن الماء العذب[5]، واشتهر ميناء المرية بصناعة هذا النوع من السفن[6]. لـ الشاني، ينظر الشكل رقم (16).

1- النخيلي، السفن الإسلامية، ص64.
2- الحميري، الروض المعطار، ص511.
3- عثمان، محمد عبد العزيز، البحرية العربية في الأندلس منذ بداية تأسيسها إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، مجلة المورد، بغداد، مج12، ع4، 1983، ص71؛ عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص6؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص83.
4- أهراء: مكان لخزن المواد. ينظر: عمارة، قاموس المصطلحات، 71-72.
5- سالم، عبد العزيز، العبادي، أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت: 1981)، ص132-133؛ صايغ، الأسطول الحربي، ص53-54.
6- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص323.

وفيها أنشد الشاعر ابن حمديس الصقلي[1]:

أنـــشـــأتَ شـــوانـــي طـــايـــرة وبـــنـــيـــت عـــلـــى مـــاء مـــدنـــا
بـــبـــروجِ قـــتـــالٍ تحسبُها فـــي شـــمِ شَـــواهـــقـــهـــا قننا
تـــرمـــي بـــبـــروج إن ظـــهَـــرت لـــعـــدو مُـــخـــرقـــة بـــطـــا
ونـــفـــط أبـــيـــض تـــحـــسـبـــهُ مـــاء وبـــه تـــذكـــى الـــسـكـــا
ضـــمـــن الـــتـــوفـــيـــق لـــهـــا ظفرا مـــن هـــلـــك عـــداتـــك مـــا ضنا

4. الحراريق:

وهي نوع من السفن المشهورة، وتعد من كبار المراكب، وإن كانت أقل من الشونة حجماً، وتستعمل على الأخص في حرق سفن العدو، بعد أن يتم تزويدها بالنفط[2]؛ إذ كانت تقوم بحمل أدوات المنجنيق والمواد الملتهبة والخرق المشتعلة لقذف العدو به أثناء المعارك الحربية وحصار المدن، ولم تكن تلك الأساطيل الحربية تستغني عن الحراريق، فكانت تسير في المقدمة، وتقوم بتفريق صفوف السفن المعادية، وكان البناءون يتفنّنون في تصميمها، ويعطون مقدمتها أشكال الخيول، أو الأسود، وكان يجذِّف بها ما يقرب مائة مجذاف[3]، وتميز ميناء لقنت بصناعة هذا النوع من السفن[4]. للحراريق، ينظر الشكل رقم (15).

1- عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص4-5.
2- صايغ، الأسطول الحربي، ص54؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص64؛ عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص5؛ شاهين، محمد علي، الملاحة البحرية وحماية الثغور، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت) على الموقع: www.alghoraba.com.
3- سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص134؛ عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار، ص111؛ بركات، وفيق، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، (الجمهورية العربية السورية: 1995)، ص152.
4- الحميري، الروض المعطار، ص511.

5. الجفن:

هي نوع من السفن، دائرية الشكل، استخدمت بشكل ملحوظ في البحر الأبيض المتوسط لنقل السافرين مقابل أجرة، تدفع مسبقاً[1]. وكان ميناء المرية من أشهر الموانئ التي تصنع هذا النوع من السفن، كما يذكر لسان الدين بن الخطيب[2] أثناء كلامه عن الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ/ 961-977م) بأنه "أنشأ الأسطول... فكان عدده ستمائة جفن".

6. الغراب:

وهو من المراكب القوية المعتمدة في الحروب البحرية، وهو من أقدم المراكب التي عرفت بهذا الاسم في حوض البحر الأبيض المتوسط[3]، وخلال إمارة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م) صنع منها "في البحر سبع مائة غراب"[4].

7. القراقير:

وهي نوع من الـ"مراكب كبار، بقلوع مربعة، تجري إلى أمامها، وإلى خلفها"[5] عظيمة الهيئة، معدّة لنقل المؤن للأسطول[6]، وكانت معروفة لدى أهل الأندلس، وهنالك نوع منها ذو ثلاثة طوابق[7]، وكان المجوس (النورمانديون) يستخدمونها في هجماتهم على الأندلس بكثرة[8].

1- الجعماطي، النقل والمواصلات، ص183؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص23.
2- أعمال الأعلام: 2/ 42.
3- النخيلي، السفن الإسلامية، ص104.
4- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص57.
5- الزهري، الجعرافية، ص92.
6- عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص6؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص120-121.
7- الجعماطي، النقل والمواصلات، ص188؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص121.
8- الزهري، الجعرافية، ص92.

8. الفتاش:

وهو من المراكب البحرية الحربية المشهورة في الأندلس[1].

9. الشحتورة:

تذكر وثائق الجنيزة نوعاً من المراكب التجارية التي كانت تسافر من ميناء المرية إلى ميناء الإسكندرية، يسمَّى الشحتورة، وهو الذي كان يقطع تلك المسافة بـ 65 يوماً[2]، ولم أجد تفاصيل عن هذا النوع من المراكب إلّا أنه بالتأكيد من المراكب التجارية المشهورة.

من هذا نجد أن بلاد الأندلس بموانئها كان لها دورٌ بارزٌ في صناعة السفن وإصلاحها، الحربية منها والتجارية.

أما عن طبيعة صناعة السفن ومَن يتكفل بها؟

فمن خلال النصوص السابقة، تبين لنا أن السفن الحربية كانت الدولة الأندلسية هي مَن تتكفّل صناعتها، بل كانت تضع مَن تراه مناسباً على دور الصناعة لمراقبة العمل وإخراجه على أفضل ما يكون.

وأما المراكب والسفن التجارية؛ فيبدو أن ميسوري الحال من التجّار وغيرهم هم مَن يتولّون دفع تكلفة صناعة السفن التجارية، ثم يقومون بتأجيرها للتجارة مقابل نسبة، يُتّفق عليها، إن لم يستخدموها بأنفسهم[3].

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص82؛ النخيلي، السفن الإسلامية، ص115.

2- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.325.

3- الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1990): 8/ 224؛ كونستبل، التجارة والتجّار، ص195؛ الجعماطي، النقل والمواصلات، 358-375.

أما ثمن الكراء؛ فيُدفَع حال وصول السفينة، وهو قول الإمام مالك[1]، وليس من انطلاقها؛ أو حسب الاتفاق[2].

رابعاً: سكن التّجار (الفنادق والخانات):

أدت الحركة التجارية النشطة من وإلى موانئ بلاد الأندلس، إلى ظهور الحاجة لأماكن، يأوي إليها التجّار والوافدون إليها من عمّال وغيرهم لغرض المبيت، لليلة واحدة، أو لمدة طويلة[3]، لا سيما إذا ما علمنا أن الظروف الجوية في بعض الأوقات تُلزم التاجر البقاء في أحد الموانئ لمدة تزيد عن الشهرين في فصل الشتاء؛ إذ تقلّ حركة النقل. كما أن التجّار وحال وصولهم إلى الموانئ الأندلسية، كانوا يحتاجون - وبشدة - إلى خدمة الفنادق؛ لإنزال بضائعهم فيها، لغرض احتساب ما عليها من ضرائب من قبل موظف الميناء التابع للمحتسب[4] أولًا، ولتأمينها من السرقة، أو الظروف الجوية ثانياً.

وفي رسائل الجنيزة معلومات مهمة عن واقع التبادل التجاري بين بلاد الأندلس والمغرب العربي والتسهيلات التي كانت تقدم للتجّار وما اعتمدوه من أساليب تيسيراً لحركة التجارة، وفي رسالة مؤرخة في التاسع والعشرين من شوال سنة 532هـ الموافق العاشر من أكتوبر (تشرين الأول) 1138م، مرسلة من تاجر مقيم في مدينة المرية،

1- فقول الامام مالك في كراء السفن لصاحبها "لا كراء له إلا إن بلغ". ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، المحلّى بالآثار، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، (بيروت: د.ن): 7/ 26.
2- الجعماطي، النقَل والمواصلات، ص361.
3- الجعماطي، النقل والمواصلات، ص32.
4- النقيب، أحلام حسن مصطفى، ولاية السوق في الأندلس على عصر الخلافة 316-399هـ/ 928-1008م، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات أندلسية ومغربية، مكتب القمة للنشر، (الموصل: 2010)، ص100.

اسمه إسحاق بن بروخ إلى آخر مقيم في مدينة تلمسان في المغرب الأوسط (الجزائر) تبين تسلّم التاجر إسحاق ثمن كمية من النحاس المصقول قد بيعت في تلمسان، وعن أسعار أصناف الحرير في سوق المرية، ذاكراً أسعار النحاس والشمع والفلفل وبعض العقاقير الطبية، كما يتحدث عن حركة المراكب بين المرية وبين الإسكندرية، ونورد فيما يأتي جزءاً من نص الرسالة "... قبل أربعة أيام، تسلمت من تلمسان - مع أبي يعقوب بن المنة - 100 مثقال... ثمناً للنحاس المصقول... وكنت أبلغتكم بأنني تسلمت المائة مثقال المرسلة منكم من فاس. وقد طلبت مني أن اشتري بالمبلغ حريراً. والواقع أن سعر الحرير كان معقولاً. لذلك اشتريت حريراً بخمسين مثقالاً. ولكنْ؛ عندما حان موعد إقلاع المراكب، واتضح لي أنكم سوف تقضون بقية الصيف في الأندلس، أمسكت عن الشراء، وتركت المبلغ.... وأود إعلامكم أن ثمن الميروبالان[1] أعلن في السوق. بعت نصف رطل بنصف مثقال، ثم لاحظت أنكم حددتم الثمن بمثقال ونصف المثقال[2] للرطل، فتركته، ولم أبع سوى نصف الرطل المذكور، أما التربد[3]؛ فثمنه اليوم مثقال واحد للرطلين. بعد يوم من كتابة الرسالة، وصل مركب من الإسكندرية أمضى في الطريق خمسة وستين يوماً. وقال تجّار المسلمين فيه إنهم تركوا وراءهم مركبين على أهبة الاقلاع إلى المرية، ولكنهم لم يُبصروا المراكب المقلعة، وليس لديهم معلومات عنها"[4].

1- الميروبالان: عشب طبي، يستخدم لأمراض الأمعاء. ينظر: الطيبي، جوانب من النشاط الاقتصادي: 2/ 154.

2- المثقال: حدّد المثقال بـ درهم ودانقان ونصف، ما يعادل عشرين قيراطاً، أو خمساً وثمانين حبة. ينظر: ابن بسام، نهاية الرتبة، ص184.

3- التربد: مقيّئ، يشتقّ من نبات، يزرع في بلدان جنوب شرق آسيا. ينظر: الطيبي، جوانب من النشاط الاقتصادي: 2/ 154.

4- الطيبي، جوانب من النشاط الاقتصادي: 2/ 142-154. وينظر:
Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.325.

ورسالة أخرى توردها كونستبل[1]، ومضمونها "من جهة أخرى، لقد اختفى الفلفل، ولم يعرضه أحد. السعر أقل من 130 [ربع دينار للوقية]، ولكنْ؛ لم يشتر أحد. [طبعاً] إن جميع الغرباء، إما باعوا، وكان السعر 132-130، ويعدّون ذلك نعمة، أو أنهم باعوا، وسافروا. ولكن قلبي لم يسمح لي أن أبيع بمثل هذا السعر، واحتفظت بالمواد حتى موعد اقتراب المركب القادم، بأمل أن يرتفع السعر".

وعلى الرغم من كون هاتين الرسالتين لا تدخلان ضمن نطاق الدراسة، فإن هذا الواقع في التعامل كان جارياً في العصور السابقة أيضاً، وإن لم تتوفر تحت أيدينا معلومات كافية في هذا المجال. كما أن هاتين الرسالتين قد زوّدتانا بمعلومات قيمة عن قيمة عن الواقع التجاري في الموانئ في بلاد الأندلس، فهي تعطينا تصوراً أن التاجر كان يقيم في الأندلس لمدة زمنية، قد تصل إلى فصل سنوي، وهذا الأمر يحتّم عليه الاستقرار، وكانت الفنادق هي مَن توفّر الاستقرار له.

كما أن التجّار ولا سيما تجّار الجملة لم يكن بوسعهم إنزال تجاراتهم في أي مكان لبيعها، كما لم يكن بوسع زبائنهم المحتملين أن يعقدوا صفقات البيع والشراء معهم، بل إن الدولة كانت تفرض عليه أن يحمل بضاعته إلى الخانات لغرض فرض الضرائب المحتملة عليها أولاً؛ ثم لضمان تجنّب التجّار الوافدين الوقوع بأيدي المحتالين ثانياً[2]. ولا يمكن أن نغفل أهمية تجارة العبيد (الصقالبة) الذين تأتي بهم قوافل التجّار الراذانية من الشمال والاستقرار لمدة في بلاد الأندلس، ثم المرور إلى بلاد المغرب العربي. هذه الرحلة كانت توجب على التجّار الراذانية - وبلا شك - المبيت في الفنادق الأندلسية أينما وجدت، فلا غرابة - إذن - من وجود تلك الأعداد الكبيرة من الفنادق والخانات.

1- التجارة والتجّار، ص131.

2- كاهن، الإسلام منذ نشوئه، ص277-278؛ كونستبل، التجارة والتجّار، ص188.

وبذلك، فإن الفنادق والخانات كانت من أهم الخدمات التي كانت تقدّمها الموانئ للوافدين إليها من التجّار وغيرهم. وسنبدأ بذكر الفنادق أولاً، ومن ثم؛ الخانات ثانياً:

1. الفندق:

الفندق هو المكان الذي ينزل التجّار والمسافرون وغيرهم فيه[1]، كذلك هو مكان لحفظ البضائع، وخزنها فيه، لتباع أحياناً بالجملة، لذلك كانت في بعض الأحيان تسمّى الفنادق بأسماء المواد المحفوظة فيه[2].

2. الخان:

المكان الذي تُخزن وتُباع فيه بضائع التجّار، فضلاً عن كونه مأوى للتجّار الغرباء[3].

والفرق بين الفندق والخان:

إن الفنادق كانت تُقام داخل المدن، أما الخانات؛ فغالباً ما كانت تُقام خارج المدن على امتداد الطرق التجارية[4].

وتتشابه الفنادق والخانات في أنهما أماكن لخزن البضائع ومأوى للتجّار، وهما متشابهان معمارياً، فيذكر بلباس[5] أن للفندق نفس نظام الخان

1- سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص216؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص875.
2- عباسي، الملكيات الزراعية، ص875.
3- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط2، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، (القاهرة: د.ن)، ص184؛ بلباس، ليو بولدو توريس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، تعريب: علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، السنة الأولى، 1953،، ع 1، ص118؛ الجعماطي، النقل والمواصلات، ص32.
4- عاشور، الحياة الاجتماعية، ص123.
5- الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص120.

المعماري "فهو يتألف من صحن أوسط، حوله ممار، بها أربعة أروقة، تشتمل على الغرف".

وكان الفندق يتكوّن من بهو مستطيل، أو مربّع، تدور به ممرات، تطل على هذا البهو، وتتوزّع غرف الفندق خلف تلك الممرات، وكان الطابق الأرضي في الغالب مخصصاً للمخازن والاصطبلات، أما الطابق العلوي؛ ففيه غرف النزلاء ومخازن البضائع المعدة للبيع، ويوجد فيه سلمان (درجان)، وفي العادة، يخلو الفندق من أي منفذ لتجنب السرقات، وكانت غرفة الفندقي (صاحب الفندق) تقع في الأعلى، ومزوّدة بنافذة، تطل على الباب الرئيسي؛ ليتمكن من مشاهدة الداخل والخارج[1].

وفي بداية الأمر، لم تكن تلك الفنادق تحتوي على أسِرّة للنوم، إنما كان النزلاء ينامون على حصران، يعطيها لهم صاحب الفندق بمعية الأغطية اللازمة، وأحياناً كان يقدم لهم الطعام[2].

ثم ظهرت بعض الخدمات التي تقدم للنزلاء منها إيداع الأموال، وتوفير قاعة لصنع العجين، وفرن لإنتاج الخبز، وأماكن للتجّار العزاب والعوائل، فضلاً عن أماكن لإيواء حيواناتهم، وكانت تتوفر الخمور للجاليات غير الإسلامية[3].

ثم ظهرت خدمة أخرى، وهي توفير (خزنة) في غرف الفندق؛ ليتسنى للساكن، ولا سيما التاجر حفظ أمواله فيها، فقد دلّ على ذلك ما هو موجود في كتاب الأحكام

1- سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص216؛ بولاديان، فيليب اواديس سيمون، الفضاءات الحضرية المفتوحة في المدينة العربية التقليدية، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي، مطبعة الرشاد، بغداد، 13-15/ شباط، 1989: 1/ 277.

2- عباسي، الملكيات الزراعية، ص875.

3- عاشور، الحياة الاجتماعية، ص123-124.

في المسألة (241)؛ من خلال السؤال عن "مَن استودع وديعة وساكن في فندق، فأراد سفراً، فدفعها إلى رجل ساكن في فندق، فجعلها في خزانته"[1].

كما ظهر التخصص في الفنادق، ونقصد بالتخصص هنا أن الفندق كان يأوي تجاراً متخصصين، ببضاعة ما، فكانت بعض الفنادق في عصر الإمارة مختصة ببيع بالخمور، إلى أن تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد الإمارة، فأمر بإراقة تلك الخمور، كما يذكر ابن سعيد[2] أن الأمير عبد الرحمن "استفتح دولته، بهدم فندق الخمور".

ويبدو أن أعداد الفنادق كان كبيراً جداً في بلاد الأندلس؛ بحيث لا يسير السائر مسافة أو مسافتين إلا وجد فندقاً أو بيتاً، أعدّ لنزول التجّار والمسافرين، ويقدّم فيه الطعام والعلف للحيوانات، وكان الحساب يُدفَع عند الخروج من الفندق[3].

وفي بعض الأحيان، ولعدم وجود فنادق في بلدة ما، يقوم البعض بتحويل بيوتهم في الأزقة إلى فنادق للسكن، وهذا ما نجده في المسألة رقم (342) في كتاب الأحكام في السؤال التالي "الجاران في الزنقة يحوّلان داريهما فندقين... بنى أحدهم في داره فندقاً عظيماً. وبنى الثاني فندقاً أقل من هذا الأول، وليس بين أبواب الفنادق والدار الثالثة إلا نحو ثلاثة أذرع، وليس في البلد فنادق غير هذه"[4].

وهذا يدل على أن الحاجة إلى وجود الفنادق كانت ملحة آنذاك، بسبب كثرة الوافدين من التجّار، وغيرهم، ولا يمكن أن نغفل أن الواقع الجغرافي لبلاد الأندلس أوجد ذلك التنوع الاقتصادي، والذي - بدوره - كان سبباً في نشاط الحركة التجارية، فضلاً عن وجود نوع من الاستقرار في الواقع السياسي.

1- المالقي، عبد الرحمن بن قاسم الشعبي، الأحكام، تقديم وتحقيق: الصادق الحلوي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1992)، ص175.

2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 46.

3- محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، حررها وقدم لها: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الإمارات العربية المتحدة: 2002)، ص58-59؛ عباسي، الملكيات الزراعية، ص875.

4- المالقي، ص212-213. وينظر: الونشريسي، المعيار المعرب: 9/ 41.

فكان ميناء بجانة يحتوي على الكثير من الخانات[1]، ونلاحظ أن ميناء المرية المشهور، وبسبب كثرة المراكب التجارية الوافدة إليه من بلاد الشام والإسكندرية، كان فيها تسعمائة وسبعون فندقاً[2] والكثير من الخانات[3]، وهذا العدد الهائل من الفنادق يدل على أن المدينة كانت مفعمة بالنشاط التجاري.

وربما يستغرب البعض من هذا العدد الكبير من الفنادق والخانات، فيمكن القول إن غرف الفندق القليلة، ووجود الفنادق المتخصصة التي تستوعب تاجراً واحداً فقط، فضلاً عن ظهور البيوتات الفندقية التي لا تحتوي إلا لتاجر واحد، أو اثنين أيضاً، هو ما أدى إلى ظهور هذا العدد الكبير من الفنادق زيادة على أن تلك الفنادق كانت موجودة داخل الميناء مع أرباضه المحيطة به.

كما احتوى ميناء مالقة على العديد من الفنادق التي احتوت التجّار وبضائعهم داخل الميناء[4]. ولكثرة الوافدين على ميناء الجزيرة الخضراء وكثرة تجاراتها، فقد كان فيها العديد من الفنادق[5]. وكان في ميناء طريف العديد من الفنادق[6].

وكان في ميناء قرطبة أيام المنصور بن أبي عامر (367-392هـ/ 977-1002م) (600) خان وفندق[7]، ثم توسعت؛ لتصبح 900 فندق[8]. كما كان فيها الكثير من

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 116.
2- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 563؛ الحميري، الروض المعطار، ص538؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 163.
3- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 116؛ طويل، مملكة المرية، ص158.
4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 570.
5- الحميري، الروض المعطار، ص392.
6- الحميري، الروض المعطار، ص392.
7- الحماد، محمد عبد الله، التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية، بحث منشور ضمن كتاب: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، (المملكة العربية السعودية: 1996)، القسم الثالث، ص159.
8- Seeley , The Spanish, p.71.

الخانات[1]، وجمع صاحب تاريخ الأندلس[2] تلك الأعداد بالقول: "وكان بها من الفنادق والخانات ألف وستمائة فندق لسكنى التجّار والمسافرين والعزّاب والغرباء وغيرهم".

ثم إن مهمة مراقبة تلك الفنادق كانت من المحتسب الذي يقوم بفحص الفنادق فحصاً دقيقاً لمعرفة الداخل والخارج، فضلاً عن البضائع الواردة والخارجة منه، كما يمنع النساء الخليعات من التردد على الفندق، كما يمنعهن من الكشف عن رؤوسهن عمداً أمام الفنادق بغية جذب أنظار التجّار[3].

كل تلك الأعداد الكبيرة من الفنادق والخانات تدل وبشكل واضح على اهتمام الدولة الأندلسية في عصري الإمارة والخلافة بضرورة وجودها؛ لأنها تشكّل المأوى الوحيد للوافدين من التجّار، ولم يكن للنشاط الاقتصادي عامة والتجاري خاصة ذاك النشاط الحيوي، لولا وجود تلك الفنادق والخانات التي تضمن راحة التجّار وحفظ بضائعهم، كما احتوت على أغلب الخدمات من أغطيةٍ وأفرانٍ وأماكن لخزنِ الأشياء الثمينة، وامتازت أنها خدمة تجارية، ومقابل مادي.

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 116.

2- مجهول، ص78.

3- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص56-57؛ كونستبل، التجارة والتجار، ص189.

خامساً: المياه والسقاية:

يُعدّ توفير المياه والسقاية من الخدمات الجليلة التي وفّرتها مدن الأندلس عامة، وموانئها خاصة، لكثرة سكانها، وحاجتهم إلى مياه الشرب والاستحمام، فضلاً عن حاجة الوافدين لهذه الخدمة التي وفّرت للتجّار الكثير من الوقت، كما أعطى توفيرها إلى نشوء مهنة السقاية، بشكل واسع في الأندلس.

ومعلوم أن أكثر موانئ الأندلس قامت بقرب الأنهار مثل ميناء إشبيلية وميناء قرطبة، فهما على ضفة نهر الوادي الكبير، أو ميناء المرية على وادي بجانة، فضلاً عن وجود تلك الأنهار، فإنه يرفع من مناسيب المياه الجوفية، مما سهّل على البعض حفر الآبار لسحب المياه منها، واستخدامها[1].

والسؤال الذي نطرحه هنا هو مَن الذي يقوم بتلك الخدمة؟

فقد كان يُطلق على مَن يقوم بتوفير المياه لدور العامة والخاصة اسم (السقائين)، ودورهم يقوم في جلب مياه الشرب، وبيعها على طالبيها، سواء من النهر، أو من السواقي، إن توفرت داخل المدينة، فكان في ميناء المرية ساقية، يُجلب إليها الماء من نهر وادي بجانة، ممّا يسهّل على السقاء توفير الماء بيسر وسهولة[2].

كما كان للسقائين أماكن مخصصة لهم، يقفون بها، وهي لهم، ولا يجوز لغيرهم التعدّي عليها، أو مشاركتهم فيها، وكان المحتسب أو والي السوق يشرف على عملهم؛ إذ لا يسمح لهم بجلب المياه إلا من الأماكن النظيفة، كما كان

1- الحماد، التخطيط العمراني، ص162.

2- الحماد، التخطيط العمراني، ص162.

العامة يمنعون من وضع الأوساخ أو غسل الملابس في المناطق القريبة من أماكن جلب السقاء للماء[1].

وقد اهتمت الدولة في الأندلس بتوفير تلك الخدمة، وتسهيلها على مَن يقوم بها. فقد عمد الأمير محمد بن عبد الرحمن الحكم (238-273هـ/ 852-886م) على جلب الماء إلى داخل مدينة قرطبة، فيذكر ابن الأثير[2] أنه "هو أول مَن جلب الماء العذب إلى قرطبة، وأدخله إليها، وجعل يفصل للماء مصنعاً كبيراً، يرده الناس"، فكانت تلك الخدمة من الخدمات العظيمة في بلاد الأندلس.

سادساً: المخازن:

تعدّ المخازن من أهم الخدمات التي تقدمها موانئ الأندلس. وهي الأماكن التي يقوم فيها الأفراد والتجّار بخزن البضائع والمواد التي تحتاج إلى خزن. فهنالك بعض المواد التي لا تُباع في بعض المواسم، أو في أوقاتها، فيقوم مالك تلك المادة بخزنها، لضمانها من التلف، فضلاً عن بيعها في الأوقات المناسبة، ومن أشهر تلك المواد الزيتون الذي اشتهرت به بلاد الأندلس، وكانت تتوفر في تلك المخازن ظروف معينة، تؤمن سلامة المادة المخزونة.

فنجد في ميناء إشبيلية مخازن خاصة لخزن الزيتون لأكثر من ثلاثين سنة، ثم يخرج من المخزن وأكثره طري، فيعصر[3].

1- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص32؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص25.

2- الكامل: 5/ 544.

3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 208.

وكان أهل الأندلس يستخدمون لذلك حاويات خاصة للخزن مصنوعة من معدن، تذكره وثائق الجنيزة باسم (alum)[1].

كما توفرت في ميناء المرية مخازن لخزن محصول الشعير، ومن عجائبه أن الشعير يخزن فيها سبعين وثمانين سنة دون أن يتسوس، فضلاً عن أنه يؤكل بعكس لو خزنت هذه المدة بغير منطقة[2]، وبالرغم من المبالغة في هذه الرواية من جانب عدد السنوات الطويلة إلا أنها توضح إلى عدد سنوات الخزن كانت طويلة.

وكانت الحبوب تخزن في الأرض لمدة طويلة، تصل إلى تسع سنين؛ والدليل ما ورد في المسألة رقم (123) في كتاب الأحكام، ففيه أن رجلاً "أخرج من فدان رجل مطمر طعام، وزعم أن أباه طمر فيه خمسة عشر قفيزاً، ولها منذ طمرت تسع سنين"[3].

وبهذا؛ يمكن القول إن العرب المسلمين في بلاد الأندلس قد عرفوا الوسائل الجيدة لخزن الحبوب في أماكن، عرفت بالأهراء، أو أماكن الخزن، والتي تُعرف اليوم بالصوامع لضمان وجود تلك الحبوب والمواد في أوقات حاجتها. فكانت تلك المخازن خير وسيلة لضمان تجارات بعض التجّار، فضلاً عن ضمان عدم تلف بعض المحاصيل المهمة.

1- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.334.

2- الزهري، الجعرافية، ص101.

3- المالقي، ص124. والقفيز من المكاييل التي اعتمدت زمن الرسول الكريم محمد ﷺ كان يتسع لـ 42 مداً من أمداد الرسول ﷺ التي كان يساوي 1.05 لتر، وبذلك فإن الـ 42 مداً تعادل 44.16 لتراً. أما القفيز كمقياس للأرض؛ فهو يساوي 159,2 متر مربع. ابن سلام، أبو عبيد القاسم، الاموال، تح: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1986)، ص512؛ هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ط2، ترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، (الأردن: 1986)، ص68، 74، 98.

سابعاً: القيساريات:

القيسارية: كلمة يونانية معربَّة، تعني السوق العصري التابع للدولة، وهي بناء كبير مستطيل الشكل، بداخله دروب ضيقة، تتوزع فيه الحوانيت على كلا الجانبين[1] بينهما شارع أو فناء مغطى، قد يكون به حوضُ ماءٍ، أو حوض مشجّر، ونظمت؛ ليكون لكل صاحب مهنة مكان، يشغله فيها، ولها عدة أبواب، تمنع دخول الخيل والعربات إليها، ثم تغلق في المساء[2]. وغالباً ما تنشأ جوار المساجد حتى إن اسواقها الفرعية، تتصل بأبوابه[3].

ويصف الزهري[4] مدينة المرية بأنها "قيسارية الأندلس"، لكبر حجم القيسارية الموجودة فيها، ولما كانت تحتويه من بضائع متنوعة، كانت تصلها بكميات كبيرة من وراء البحر.

وقام الخليفة الحكم الثاني (350-366هـ/ 961-977م)، بتوسيع سوق قرطبة، فحول دار البرد إلى قيسارية للتجّار، ووسع سوق قرطبة، وجعل لأغلب سقوف السوق الخشب المقرمدة[5].

1- عمارة، قاموس المصطلحات، ص472؛ دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: 1997): 8/ 435؛ أبو الفضل، شرق الأندلس، ص280؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص218.
2- عنان، الآثار الأندلسية، ص170-171؛ الحماد، التخطيط العمراني، ص159.
3- العزاوي، إقبال أحمد زكريا، أثر الأسواق في الحياة العامة في العصر العباسي ((دراسة في دور السوق السياسي والاجتماعي والفكري))، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،2002، ص30.
4- الجعرافية، ص101.
5- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص383.

ووفّرت تلك القيساريات للتجّار عناء مشقّة البحث عن البضائع فيما لو تفرقت الأسواق في المدن، فكانت القيساريات خير خدمة قدمت للتجّار، فهي تقع تحت إشراف والي السوق وبذلك، تمنع فيه عمليات الغش والاحتكار، فتوفّر نوعاً من الاستقرار الاقتصادي.

ثامناً: الحمامات:

ما يُميّز الحضارة العربية الإسلامية في كل مكان وزمان تطبيق ما يمكن تطبيقه من الشرائع السماوية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية، والتي أكدت على ضرورة النظافة والتطهر، لا سيما عند أوقات الصلاة، فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾[1]، وفسرتها كتب السنن كما ورد في صحيح البخاري الكثير من الاحاديث الشريفة التي اكدت على النظافة منها قول الرسول الكريم ﷺ «لا تقبل صلاة مَن أحدث حتى يتوضأ» [2]، وقوله ﷺ «لا تقبل صلاة بغير طهور»[3]. كما استخدمت الحمامات لغسل جثث الموتى[4].

1- سورة المائدة، من الآية 6.

2- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط2، دار السلام، (الرياض: 1999)، ص29.

3- مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ط3، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، (بيروت: 2010)، ص154.

4- سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص210.

فكانت النظافة إحدى سمات الدين الإسلامي الحنيف، ولأجل ذلك ظهرت الحمامات في كافة المدن الإسلامية، للغرض أعلاه.

فضلاً عن أنها كانت مكاناً للمرح، ومجلس أنسٍ ولهوٍ وغناء، ففيه قال الشاعر[1]:

ومــنــزلُ اقـــوامٍ إذا ماتقابلوا تَـشـابـهُ فيه وغـــدهِ ورئيسهُ
ينفسُ كربى إذ ينفس كربه ويعظم انُـســىَ إذ يقل أنيسهُ

لذا؛ كانت الحمامات من الخدمات التي تلبّي حاجات التجّار، والتي قدّمتها الأندلس للسكان، بشكل عام، وللوافدين عليها من التجّار وغيرهم، فهم - بالطبع - بحاجة إلى النظافة دائماً، سواء بعد وصولهم من السفر الطويل، أو خلال تواجدهم في بلاد الأندلس، أو حاجتهم لها لأداء الفرائض، وعلى ضوء ذلك، فغالباً ما كانت الحمامات تُقام بالقرب من المساجد[2]، بل، وكانت تفتح أبوابها قبل صلاة الفجرِ بما يقرب ساعتين[3].

على ضوء ذلك، هل توفرت الحمامات في بلاد الأندلس؟ وما هي صفاتها؟ وهل تملك خصوصيتها؟ أم أنها نسخة عن الحمامات القديمة لا سيما الرومانية؟

تبين لنا الكتب الجغرافية والتاريخية الأعداد الكبيرة من الحمامات التي كانت موجودة في الموانئ الأندلسية، ففي ميناء قرطبة الكثير من الحمامات[4]، واختلف في أعدادها، ربما لكثرتها، فذكر المقَّري[5] أن فيه من "الحمامات المبرزة للناس سبعمائة

1- سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص209.

2- بالنثيا، رفاييل، إشبيلية الإسلامية، تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي، تر: مريم عبد الباقي، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1999): 1/ 227.

3- عبد الحميد، سعد زغلول، الحياة الدينية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، ابريل - مايو - يونيو، 1980، مج11، ع1، ص64.

4- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 113.

5- نفح الطيب: 1/ 540.

حمام، وقيل ثلاثمائة حمام". وازدهرت الحمامات في عهد المنصور بن أبي عامر (367-392هـ/ 977-1002م) فمدينة قرطبة، كان يحتوي على "تسعمائة حمام"[1].

ويبدو أن تلك الأعداد قد تضاعفت في مدد لاحقة؛ إذ ذكر صاحب تاريخ الأندلس[2] أن "عدد حماماتها ثلاثة آلاف حمام وتسعمائة حمام وأحد عشر حماماً".

وبذلك يمكن القول إن ميناء قرطبة احتوى بين 700 إلى 900 حمام عام[3]، وهذا العدد قريب إلى الواقع، بسبب ما بينته الحفريات التي دعت البعض إلى القول إن عدد الحمامات في ميناء قرطبة بلغت (3711) حماماً عند نهاية القرن الرابع الهجري[4]. وهذا العدد يمكن أن يرجح إذا كان مع حمامات الأرباض، إلا أنه يبين العدد الكبير الذي كان عليه عدد الحمامات في ميناء قرطبة، وهو يوضح الاهتمام الواضح بتلك الخدمة.

وكان في ميناء طرطوشة أربعة حمامات[5]، أدت واجبها الحضاري فيه. وكان في ميناء بجانة أحد عشر حماماً[6] خلال شهرتها وقبل ظهور ميناء المرية.

ويذكر المقَّري[7] أن في ميناء المرية "من الحمامات والفنادق نحو الألف". وللوقوف على الأعداد الحقيقية للحمامات المفترض وجودها في ميناء المرية، نذهب إلى رواية الشريف الإدريسي[8] التي ذكر فيها أن في ميناء المرية "الف فندق الا ثلاثين

1- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 540.

2- مجهول، ص77-78.

3- ريسلر، الحضارة العربية، ص159؛

Seeley , The Spanish, p.71.

4- الحماد، التخطيط العمراني، ص160.

5- الحميري، الروض المعطار، ص391؛ أبو مصطفى، تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية، ص184.

6- العذري، ترصيع الأخبار، ص87.

7- نفح الطيب: 1/ 163.

8- نزهة المشتاق: 2/ 563.

فندقا". فعلى هذا الأساس يمكن أن نقول إن عدد الحمامات في ميناء المرية تقترب من الثلاثين حماماً.

وهـذا العـدد الكبيـر يوضـح - وبـلا شـك - الأعـداد الكبيـرة مـن الوافديـن على هذا الميناء.

فضـلاً عـن وجـود الحمامات في مينـاء مالقـة[1]، والمناطق المجـاورة لها مثل بزليانـة التـي وجـد فيهـا عـدد مـن الحمامـات[2]، فكانـت الأربـاض داعمـاً خدميـاً للموانئ الكبيرة.

واحتوى ميناء الجزيرة الخضراء على ثلاثة حمامات[3]. وفي ميناء طريف الكثير من الحمامات[4].

كما توفرت الحمامات في جزيرة ميورقة[5]. إذنْ؛ لم تكن تلك الحمامات الكثيرة إلا لتلبية الحاجة التي احتاجتها الفئات الاجتماعية المتواجدة في الموانئ كالتجّار والعمّال وغيرهم.

مواصفات الحمامات:

كانت الحمامات في بلاد الأندلس تختلف عن الحمامات الرومانية المميزة بالجدران العريضة، والارتفاع البسيط، ووجود القبب الظاهرة من الخارج[6]؛ إلا أن العرب المسلمين أخذوا عن تلك الحمامات نظام القبب بدلاً من استخدام الأخشاب

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 570؛ عنان، الآثار الأندلسية، ص246.
2- الحميري، الروض المعطار، ص92.
3- الحميري، الروض المعطار، ص224.
4- الحميري، الروض المعطار، ص392.
5- الآثار الأندلسية، ص132.
6- كونل، أرنست، الفن الإسلامي، تر: أحمد موسى، دار صادر، (بيروت: 1966)، ص128؛ بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص110.

كغطاء علوي للحمام، والتي دائماً ما كانت تتعرض تلك الأخشاب للتلف، فضلاً عن تسرب أكثر درجات الحرارة إلى خارج الحمام عبر السقف الخشبي، فكانت القباب من سمات الحمامات العربية الإسلامية في بلاد الأندلس[1].

يتكون الحمام من مدخل، يمر إلى ثلاث، أو أربع حجرات أساسية مغطّاة بالقباب، وفي الجهة المقابلة، حجرات الوقود التي لا يدخل إليها المستحمّ؛ إذ كان يدخل إلى الحمام بباب منخفض، يؤدي إلى ممر صغير منعرج، ثم إلى صحن صغير مغطّى أو مكشوف، يلحق به مرحاض (مرافق صحية)، ويلي هذا الصحن حجرة ضيقة طويلة مغطّاة بقبو نصف دائري، وفي نهايتها حجرة منفصلة عن الحجرة الرئيسة، تسمّى بالبيت البارد، وفيها كان يخلع المستحمون ملابسهم، وفي بعض الحمامات الفارهة، كانت توجد حجرة خاصة أخرى غير الباردة لخلع الملابس، أما في الشتاء؛ فكان المستحم يخلع ملابسه في الحجرة الوسطى الدافئة، القريبة من المكان الساخن[2].

ويلي الحجرة البـاردة قاعة وسطى أعظم حجماً واهمية، في وسطها فضاء مربّع مغطّى بقبّة، وممرّاتها مغطّاة بقبب، تحملها أعمدة، تحف بجوانب الصالة، أو في جانبين، أو ثلاثة منها، وتسمّى بالبيت الوسطاني، وأخيراً نصل إلى البيت الساخن، وهو حجرة ضيقة طويلة كالأولى مغطّاة في نهاياتها بالحنايا المعروفة، وفي حائطها الذي يقع في مقدمة الحجرة كمية كبيرة من النحاس الأحمر، تخرج منه أنابيب رصاصية، تحمل الماء الساخن إلى أحواض مصنوعة من الرخام، أو الحجر، أو

1- بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص110؛ المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141.

2- سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص212؛ المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141؛ الحماد، التخطيط العمراني، ص160؛ أبو ارشيد، الحضارة الإسلامية، ص394؛ بنيتو، ريكاردو، اثكييردو، باسكوس الحياة اليومية في مدينة ثغرية بالأندلس، تر: عبد الله بن إبراهيم العمير، إدارة النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، (المملكة العربية السعودية: 2009)، ص71.

الطوب الأحمر، وتسمّى الصهاريج، وهي داخل الحجرات الساخنة، وتختفي في بعض الحمامات؛ إذ تكون تحت تجاويف، تفتح في الحائط، كما كان هنالك أنابيب أخرى للماء البارد[1].

ولم يكن في الحمامات المتواضعة خزانات للمياه، بل استخدمت الجرار محل الأحواض[2].

وكانت تلك الحمامات تحتوي على إنارة من خلال فتحات، أو كوات في السقف ذات شكل نجمي، تتخلل القبب، وتسمّى (مضاوي)، وتُقفل عادة بالزجاج[3].

وكانت الحجرتان الأخيرتان - الساخنة والدافئة - في الحمامات الفارهة، ترصف بقطع الرخام، وكانت هنالك حجرة القدر، ويوجد تحتها المكان الذي يسخن فيه الماء، وكان الدخان والهواء الساخن يخرج من أرضيات الجزئين المجاورين لهما، من خلال مداخن ملصقة بالجدران إلى خارج الحمام، وهنالك حجرة أخرى مخصصة للوقود، وتسمّى (أفنية)، ولها مدخل مستقل، وليس بينها وبين بقية الحجرات أي اتصال[4]. للاطلاع على مخطط تقريبي للحمامات، ينظر الشكل رقم (21).

والحمامات الفارهة كانت تكسي أرضيتها بالفسيفساء، أو لوحات الرخام، وتجمل أسافل جدرانها بالخزف، كما تقوم بزخرفة الجدران بالرسوم، وتدخل الصنابير المعدنية والنافورات ذات التماثيل الحيوانية؛ ليكون من ضمن جمالية الحمام[5]. ففي القرن (5هـ/ 11م)، عثرَ المسلمون على تمثال في خرائب مدينة طالقة،

1- بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص110-111؛ المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141؛ Archibald , Spain and her Colonies, P.16.

2- المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141.

3- بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص111؛ المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141.

4- بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص111.

5- المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141؛ بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص111.

فنقلوه إلى أحد حمامات إشبيلية المسمّى "بحمام الشطارة، وهذا التمثال يمثل امرأة بالحجم الطبيعي ذات جمال خارق، ويجلس في حجرها طفل ممسك بثدييها، ويصعد إلى قدميها ثعبان يريد أن يلدغ الطفل، وتنظر المرأة إلى الطفل والثعبان معاً نظرة معبرة عن حنان، يمتزج بالذعر"[1].

ويذكر عنان أن في جزيرة ميورقة بقايا آثار الحمامات العربية المبنية على شكل مربع، في كل ضلع من أضلاعه ثلاثة عقود[2]؛ ويصف مانويل جوميث موريو[3] بقايا هذا الحمام بأنه "ما زال واضح المعالم، وإن كانت لم تظهر قط غرفتاه المستطيلتان اللتان تحيطان بالغرفة الوسطى، وهذه تبلغ الذروة الفنية بين نظائرها في تلك الفترة، لرشاقتها وإحكام تكوينها. وهي مربعة الشكل، بها رواق، وتحده عقود حدوة الفرس، فوق أعمدة، تحمل قبة، تتكئ على جوفات مقوسة متعارضة. وكلها جميعاً مزوّدة بطاقات مفصصة، أما التيجان؛ فمن النوع المركب بها صف مزدوج من الأوراق الملساء... وقد شيدت العقود والقبوات من الآجر، أما الجدران؛ فمن بلاط شديد الصلابة".

إذنْ؛ كان للحمامات في بلاد الأندلس سماتها التي ميزتها عن بقية الحمامات الأخرى، فهي وإن أخذت بعض سمات الحمامات الرومانية كالقبب، إلا أنها جمّلت وحسنّت بعض المعالم؛ لتعطي نمطاً معمارياً لنموذج خدمي تجاري في الدولة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس. ينظر الشكل رقم (22) ورقم (23).

وكان يعمل في تلك الحمامات مجموعة من العمال، منهم الحكّاك (الدلاك)، أو الخادم، الذي كان يعمل على حكّ جسم المستحم، مستعيناً بقفّاز من الشعر،

1- بلباس، الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص111-112.

2- الآثار الأندلسية، ص132.

3- نقلاً عن: سيسالم، جـزر الأندلس المنسية، ص559.

لتنظيفه، فضلاً عن الحجّام الذي يعمل في الحجامة، والطبّاب الذي يمتهن مهنة الطب، وكانوا لا يمشــون داخل الحمام إلا وهم لابسون التبان والسراويل[1].

وورد ذكر خادم الحمام في قول الشاعر أبي عمر الحرار؛ إذ قال[2]:

قــالـوا: أخــادم حــمّـام تهيم به   فقلت: بهجةُ بدرِ التَّمَّ في الظُّلَمِ

ويدعـم هـذا البيـت الشـعري القـول إن أولئـك الخـدم كانـوا علـى الأغلـب من الصبيان.

أما عن كيفية دفع الأجرة؛ فالغالب في الحمامات هو دفع أجرة الاستحمام مع دخول الحمام؛ أي قبل الاستحمام[3].

ويذكر أن تلك الحمامات كانت تابعة للدولة، أو المساجد، أو الجهات الدينية[4].

ويقصد بالتبعية هنا هو الإشراف؛ أي أن مهمة الإشراف على تلك الحمامات كانت إما على الدولة بشكل مباشر، أو المساجد، أو الجهات الدينية. والأمر الذي لا يمكن أن ينكره أحد أن مهمة الإشراف على تلك الحمامات كان يقع على المحتسب، وبيّن المسعودي[5] ذلك بالقول "وقد خضعت الحمامات لرقابة المحتسب".

أما عن ملكية تلك الحمامات؛ فهل كانت ملكاً للدولة؟ أم ملكاً خاصاً؟

إن الجواب على ذلك نستنتجه ونستلهمه من بعض كتب النوازل التي ذكرت في فحوى مجموعة من الأسئلة، نستوضح منها طبيعة ملكية تلك الحمامات.

1- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص48؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص70-71؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص213؛ المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، ابريل - مايو - يونيو، 1980، مج 11، ع1، ص120.

2- الحميدي، جذوة المقتبس، ص584.

3- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، المصنف في الأحاديث والآثار: تح: مختار أحمد الندوي، مطبوعات الدار السلفية، الهند، (بومباي: 1980): 7/ 295.

4- المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص141-142؛ الحماد، التخطيط العمراني، ص160.

5- أقصى الغرب الأندلسي، ص141.

فالنصوص لا تشير إلى أنها كانت ملكاً لبعض المؤسسات المرتبطة بالدولة، والدليل ما ورد في كتاب الأحكام في المسألة رقم(7) في الحادثة التي جرت في قرطبة أيام الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) وهي: "أن رجلاً كانت له حصة في حمام، وهو أحمد بن سعيد الفقيه، فباع تلك الحصة من رجل، وهو محمد بن اسحق بن السليم"[1]. والمسألة رقم (103)، والتي سأل فيها عن "رجل قام على امرأة بوكالة في حصة من حمام، تصدق بها على ابنه"[2].

ومن تلك الأسئلة، نستطيع أن نستنتج مجموعة من الحقائق عن طبيعة تلك الحمامات:

1. أنها كانت ملكاً خاصاً.
2. أن تلك الحمامات من الرفاهية والكبر لم يستطع الفرد بشكل عام أن يبنيها، إنما كانت تُبني على أساس المشاركة.
3. أن الفقهاء من بين الأفراد الذين كانوا يتبنّون فكرة إنشاء الحمامات.

من كل تلك الأمور نجد أن الحمامات في بلاد الأندلس انتشرت انتشاراً كبيراً، فضلاً عن أنها عكست الواقع الحضاري للإسلام والمسلمين.

1- المالقي، ص71.
2- المالقي، الأحكام، ص116.

تاسعاً: توفير وسائل النقل:

بَيّن القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى خلق للإنسان بعض الدواب؛ لتكون له سنداً في أعماله اليومية والحياتية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾[1].

تتطلب العمليات التجارية في كل بلدان العالم توفير مجموعة من الخدمات، لعل خدمة النقل من أبرزها؛ إذ لا بد من نقل البضائع والمواد من مكان إلى آخر، وكانت بلاد الأندلس شأنها شأن تلك البلدان.

ونظراً للنشاط التجاري الواسع في بلاد الأندلس وظهور الحاجة إلى نقل البضائع من الموانئ إلى المدن الداخلية، وبالعكس. وبما أن الموانئ هي المنفذ الوحيد لتصريف تلك البضائع ونقلها خارج البلاد، فضلاً عن أنها المكان الذي تنقل منه البضائع القادمة من البلدان الأخرى، لذلك كانت الحاجة ملحة وجادة في توفير وسائل النقل.

وبما أن الدواب (الخيول - البغال - الحمير - الجمال)[2] هي الوسيلة الوحيدة للنقل آنذاك، لا سيما البغال[3]، فهل كانت بلاد الأندلس مكتفية ذاتياً بالعدد المطلوب لهذه الخدمة؟

1- سورة النحل، الآية 5-8.

2- ينظر: الجعماطي، النقل والمواصلات، ص155-163.

3- لأن البغال من أكثر الدواب تحملاً، فهي كانت "تحمل أثقالاً عشية، فتسير بقية يومها وسواد ليلها، وصدر نهار غدها... وهذه خصلة تخالف فيها البغال جميع الحيوانات". ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الحيوان، تح: إيمان الشيخ محمد وغريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، (بيروت: 2008): 3/ 504.

يبدو من النصوص المتوافرة أن بلاد الأندلس فعلاً كانت مكتفية ذاتياً بالعدد المطلوب من دواب النقل، إلا أن ذلك العدد كان وفيراً في مكان منها، وقليلاً في مكان آخر. ومن أجل سد النقص الحاصل بين مدن الأندلس، فقد كانت البغال تُجلب من جزيرة ميورقة إلى مدينة قرطبة، ومنها تنتشر في بلاد الأندلس[1]، وما يميز تلك البغال آنذاك أنها كانت فارهة، وكان أهل الأندلس يتفاخرون بركوبها[2].

لهذا يتضح لنا أن بلاد الأندلس لم تكن بحاجة إلى استيراد وسائل النقل من خارج البلاد.

وعن الطريقة التي كان يتم التعامل بها مع هذه الدواب، وكيفية كرائها واستئجارها، فيزودنا المالقي بمعلومات وافية على وجود المكاتب الخاصة بتأجير وسائل النقل؛ إذ يذكر في المسألة رقم (300) في الكراء "وسئل عمن أكرى دابته يوماً، فحبسه مطر، أو مرض، أو خوف"[3]، والمسألة رقم (508) "عمن أكرى من يهودي دواب"[4]، والمسألة رقم (537) "الرجل يكتري دابة إلى موضع يحمل عليها متاعاً كذا وكذا مضموناً"[5]، والمسألة رقم (582) "عن الرجل يتكارى الدوابّ على حمولة إلى بلد"[6].

1- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 114؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 520.

2- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 199؛ طه، عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، بحث منشور ضمن كتاب دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، (الجماهيرية العظمى: 2004)، ص110.

3- الأحكام، ص199.

4- المالقي، الأحكام، ص274.

5- المالقي، الأحكام، ص286.

6- المالقي، الأحكام، ص298. وكان نظام كراء الدواب معروف في الدولة الإسلامية، بمعنى انه لم يقتصر على دولة الأندلس. ينظر: ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم، منتخب الأحكام، تح: عبد الله بن عطية الرداد الغامدي، المكتبة المكية – مؤسسة الريان، (مكة المكرمة: د.ن): 1/ 213.

وهذه النصوص تدل على وجود مكاتب خاصة، مهمتها كراء وتأجير دواب النقل، وتلك المكاتب لم تقتصر ملكيتها على المسلمين، بل كان لليهود مكاتبهم الخاصة.

ويبدو أن تلك المكاتب كانت تحرر مع الشخص المكتري عقداً يتضمن مدة الإيجار وكمية الحمل الذي تحمله الدابة، فقد ورد في المسألة رقم (607) "فقال المكتري: اكتريتها؛ لأحمل عليها أربعة أقفزة"[1]. كما أن المذهب المالكي قد أباح كراء الدواب للحمل عليها[2].

أما عن بدل الإيجار لكل دابة، فهنالك نص، يورده المقَّري نستطيع منه أن نقترب من المبلغ الذي يمكن أن يقدم بدل إيجار للبغل الواحد يومياً، كما يمكن أن نتصور عدد البغال المستخدمة للأجرة في الأندلس، فيذكر عن بناء مدينة الزهراء أن الدولة كانت تستخدم "من دواب الأكرياء الراتبة للخدمة ألف بغل، لكل بغل منها ثلاثة مثاقيل في الشهر، يجب لها ثلاثة آلاف مثقال"[3] وكان على المكتري أن يحدد المخطط الدقيق للطريق الذي سيسلكه[4] والذي بلا شك سيحدد ثمن الإيجار.

يعطينا هذا النص تصوراً عن الأعداد الهائلة للبغال المتواجدة في بلاد الأندلس، كما يعطينا تصوراً عن بدل إيجار الدابة في العمل اليومي الذي كان ثلاثة مثاقيل في الشهر، وبالتأكيد؛ فإنها تزيد وتنقص لحسب الظروف التجارية؛ أي حسب حركة البيع والشراء في الأسواق، إذا كانت نشطة، أو غير ذلك.

ولو تساءلنا: لماذا يقوم التاجر بكري وسائل النقل بدلاً من شرائها، ولا سيما إذا ما علمنا أن أسعار الكراء كانت مرتفعة؟

1- المالقي، الأحكام، ص309.

2- المدونة: 3/ 479.

3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 567-568. وينظر: أرسلان، الحلل السندسية: 1/ 51.

4- كونستبل، التجارة والتجّار، ص198.

من خلال معرفة أسعار البغال (الوسيلة الأكثر شيوعاً في النقل) نستطيع أن نستنتج الآتي:

إن ثمن البغلة في الأندلس في أغلب الأوقات كان خمسمائة دينار، وهذا الارتفاع في السعر جاء من كونها حسنة الشكل واللون والعلو وصحة قوائمها، أما المائة والمائتان دينار للبغلة؛ فكانت متوفرة بكثرة[1]. أما ما يحتاجه التاجر؛ فبالتأكيد تلك البغال المميزة؛ لأنه سينتقل بها من مكان إلى آخر وسط تضاريس وظروف متنوعة، فإذا قام بشراء الدواب الكفيلة بنقل تجارته، فسيحتاج بالتأكيد إلى مبالغ كبيرة لتأمين العدد الكافي لتجارته، فكانت عملية الكراء والإيجار أكثر نفعاً للتاجر، ولا سيما وأنه سيغادر بلاد الأندلس بعد إكمال تجارته، فلو اشتراها، فأين سيذهب بها بعد المغادرة.

فهو بذلك وبسبب وجود مكاتب الكراء، وفر الكثير من الأموال، ووجد خدمة، أكمل من خلالها جميع تجاراته.

وكانت البغال هي الأكثر استخداماً في بلاد الأندلس، فقد كانت مركوب الأمراء[2] وذوي المكانة الرفيعة، من الوفود وغيرهم، فهذا الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ/ 961-977م) يستقبل والدة لذريق حاكم الإفرنجة، فحُملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب والديباج[3]، فضلًا عن أنها مركوب موظفي الدولة[4].

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4/ 324.

2- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص220.

3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 385.

4- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص39.

عاشراً: إنشاء الطرق[1]:

عرفت بلاد الأندلس بشبكة واسعة من الطرق التجارية الواصلة بين مدنها، وهو ما ذكرناه سابقاً. ولو أردنا أن نتعرف بشكل أكثر على هذه الطرق، فلا بد لنا أن نتعرف على طبيعة هذه الطرق وترتيبها، وهل كانت الدولة تقوم بمتابعتها وإجراء عمليات صيانة عليها، ووضع حراسات وأماكن مراقبة لتلك الطرق؟

وهذا يتضح لنا من خلال الفكر العربي الإسلامي، ولاسيما في الجانب العمراني الذي يزوّدنا بجزء كبير من تلك الإجابات.

تميزت المدينة العربية الإسلامية في الأندلس، بنظام شوارع متميز؛ إذ ترتبط جميع المنشآت العمرانية في المدينة بشوارع، تصل إلى وسط المدينة، وهو مكان الأسواق والمحلات، كما تتصل بالشوارع الرئيسية، شوارع فرعية أخرى متعرجة ومتقاطعة، تمر في نسيج الأحياء، ولكنْ؛ لا تنفذ منها غالباً، فلا يستطيع الفرد الدخول أو الخروج إلا من منفذ واحد، لسهولة حفظ الأمن، والغرض من تلك الشوارع المتعرجة هو لمنع الرياح القوية من الدخول داخل ازقة المدينة، كما كانت تلك الشوارع مبلطة، مع وجود الأرصفة العالية، وفيها نظام مجاري مياه على أحسن ما يكون، وزودت تلك الشوارع بحراس ليليين[2]، فضلاً عن توفير الإضاءة الليلية في الشوارع؛ إذ كانت المصابيح تُعلّق على

1- وتعرف أيضاً بـ السِّكّكُ، ويعرفها ابن منظور السِّكَّةُ بأنها: الطريق المستوي. ينظر: لسان العرب: 7/ 219.

2- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص18؛ المسعودي، أقصى الغرب الأندلسي، ص147-148؛ الحماد، التخطيط العمراني، ص153؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص159.

الأبـواب، وفـي زوايـا الـدور، بحيـث يسـير المـرء مسـافة عشـرة كيلومتـرات تحت ضوء المصابيح[1].

أما طرق الأرباض؛ فقد عمدت الدولة إلى الاعتناء بها، وكان للأهالي دور كبير في ذلك، ولا سيما تلك التي يكثر فيها الماء والطين، ومنعهم في عدم رمي الأزبال عليها[2].

أما عن الشخص الذي يتولى مراقبة الطرق ونظافتها؛ فقد كان على المحتسب إنجاز هذا الدور الرقابي، وكان عليه مراقبة الطرقات، وما يضر بها من البيع فيها، أو رمي الأوساخ فيها، أو جعل حانوت حداد عليها[3]، أو أي ضرر قد يلحق بها.

وبرز اهتمام الدولة العربية الإسلامية في الأندلس، من خلال أمرائها، فقد قام الأمير عبد الرحمن بن الحكم (180-206هـ/ 796-822م) بالاهتمام بالطرق وإنشائها وتنظيمها، فيذكر ابن الأثير[4] أنه "بنى الطرق".

كما كان تخطيط ميناء المرية يحتوي على طريق رئيس فسيح يخترقها، من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ماراً بالربضين، ومتصلاً بالأبواب وفناء الجامع، ويرتبط بالطريق الرئيس شبكة من الدروب والأزقة[5].

إذنْ؛ كان الاهتمام كبيراً في شبكة الطرق الداخلية للموانئ والخارجة منها إلى مدن بلاد الأندلس، ووفرت تلك الخدمة سهولة تنقل التجّار والمسافرين، وسهولة نقل البضائع بكل يسر.

1- هيلنبراند، زينة الدنيا: قرطبة: 1/ 190؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص159.

2- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص37.

3- الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس، رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة. نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، (القاهرة: 1955)، ص122.

4- الكامل: 5/ 543. وينظر: ملحم، صفحات من تاريخ، ص274.

5- الحماد، التخطيط العمراني، ص154.

أحد عشر: المطاعم أو الحوانيت:

إن المدة الطويلة التي يبقى فيها التجّار والوافدون إلى الأندلس تتطلب وجود مطاعم وحوانيت، تقدّم الطعام لأولئك الوافدين، لا سيما بعد أن بيّنت بعض رسائل الجنيزة عن بقاء التجّار، أو وكلائهم، في بلاد الأندلس لمدد طويلة[1].

وعن طبيعة الخدمات التي تقدمها الحوانيت، يذكر الزهري[2] أن من بركة الأندلس أن الإنسان لا يمشي "فيها فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره"، وهذا الأمر على طول سفر المسافر في بلاد الأندلس.

ويمكن لنا أن نستنتج من خلال ما ذكره الزهري أن هنالك أعداداً هائلة للحوانيت في بلاد الأندلس. فالمقَّري مثلاً يذكر أن عدد الحوانيت في ميناء قرطبة تصل إلى ثمانين ألفاً وأربعمائة وخمسة وخمسين حانوتاً[3]، ويذكر الشريف الإدريسي[4] أنه كان في مندوجر[5]، حوانيت خاصة تبيع "للمسافرين الخبز والسمك وجميع الفواكه".

وكانت للمناطق المحيطة بالموانئ دور في توفير هذه الخدمة، فقد كان السمك يصاد في بزليانة، وينقل إلى المناطق المجاورة[6]، ولا سيما تلك التي كانت تحتاج إليه

1- كانت أغلب الرسائل بين التاجر ووكيله أو شريكه، في الإسكندرية والأندلس. الطيبي، جوانب من النشاط الاقتصادي: 2/ 149-150.
2- الجعرافية، ص80.
3- نفح الطيب: 1/ 541.
4- نزهة المشتاق: 2/ 566. وينظر: الحميري، الروض المعطار، ص549.
5- وهو حصن على تل تراب أحمر، بينه وبين مدينة المرية مرحلة. الحميري، الروض المعطار، ص549.
6- الحميري، الروض المعطار، ص92.

بكثرة، بسبب كثرة الوافدين إليها كالموانئ. فضلاً عن أن السمك كان يُصاد في ميناء المنكب؛ إذ إنها "كثيرة مصايد السمك"[1]، فيقدم مباشرة لتلك الحوانيت والمطاعم.

أما الحيتان؛ فكانت تصاد في نهر قرطبة، وتباع في أسواقها، وممّن كانوا يعملون على توفير السمك في أســواق قرطبة أبو بكر محمد بن إسحق بن السليم (ت367هـ/ 977م)[2].

وبذلك يمكن أن نقول إن الخدمات التي كانت الحوانيت تقدّمها كانت قد ظهرت بسبب العمليات التجارية الكبيرة، والتي كانت تجري في بلاد الأندلس، والتي كانت تتطلّب الكثير من الخدمات التي يحتاجها التجّار في الموانئ.

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 564.

2- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 214.

اثنا عشر: وسائل الترفيه:

لم تنسَ الدولة الأندلسية الجوانب الترفيهية التي هي جزء من الحاجات التي كانت من أولويات بناء الدولة الحضارية، لما لها من دور في تعزيز الجانب الفكري فيها، فعمدت إلى إنشاء المتنزهات والاهتمام بالملاهي التي كانت إحدى وسائل الراحة للعامة والخاصة من التجّار وغيرهم، لا سيما أولئك القادمين من وراء البحر، وهذه الخدمات هيأت فرص العمل للناس، ومورداً مالياً للدولة.

1. المتنزهات:

بعد أن علمنا أن الكثير من التجّار يبقون في بلاد الأندلس في بعض الأحيان إلى أكثر من ثلاثة أشهر، فإنهم يحتاجون إلى مناطق ترفيهية، وكانت السفرات النهرية إحدى الوسائل الترفيهية آنذاك، فكان الشخص يصعد مركب النزهة، أو الترفيه للاستمتاع بشرب الخمر، إن كان يتعاطاه، فضلاً عن الاستمتاع بالمناظر الطبيعية الخلابة[1]، وفضلًا عن ذلك، فإن الأندلس قد شهدت الكثير من المتنزهات للترويح عن النفس، وقضاء وقت ممتع[2]، فابن الأثير[3] يذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (180-206هـ/ 796-822م) كان "بعيد الهمة، واخترع قصوراً ومتنزهات كثيرة".

1- الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة، ص138-139.

2- المغرب في حلى المغرب: 2/ 298.

3- الكامل: 5/ 543.

كما يذكر ابن سعيد أن أطراف ميناء بلنسية تكثر فيها المتنزهات، والمسارح، وأبدع ما فيها، المتنزه المعروف بـ منية ابن أبي عامر[1]، فضلًا عن متنزهات باب الحنش والرصافة والبحيرة، والأخير مشهور بكثرة الضوء والرونق[2].

كما كان ميناء إشبيلية يحتوي على الكثير من "المتفرجات والمتنزهات... ومن ذلك مدينة طريانة، فإنها من مدن إشبيلية ومتنزهاتها"[3].

كل تلك الأدلة تبين اهتمام الدولة الأندلسية بشكل بارز بوجود المتنزهات في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، كما في مدينة بلنسية ومدينة إشبيلية، وجاءت تلك الكثافة السكانية بلا شك، من كثرة الوافدين عليها، ولا سيما التجّار الغالبية منهم، فضلاً عن أن مدن الموانئ كانت الملاذ الآمن لأغلب مَن كان يحسّ بالخطر على نفسه.

2. الملاهي وأدواتها:

إن سفر التجّار لمسافات ومدد زمنية طويلة، ونزولهم في موانئ الأندلس، يجعل البعض منهم يبحث عن بعض وسائل الترفيه، التي ربما تنزع عن كاهله مشقّة السفر والعمل. ونتيجة لذلك، وبسبب الحاجة إلى توفير وسائل الترفيه، فقد ذكر ابن سعيد أن بلاد الأندلس كانت تشتهر بوجود أصناف الطرب في الليالي القمرية[4].

1- المغرب في حلى المغرب: 2/ 298.

2- حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية 92-494هـ / 711-1102م، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1976)، ص302-303.

3- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 182.

4- المغرب في حلى المغرب: 1/ 293. وينظر: دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/ 755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، (الإسكندرية: 1994)، ص270.

وقد وفدت إلى بلاد الأندلس الكثير من المغنيات المدنيات منهن فضل وعلم، فضلاً عن المغنيات الأندلسيات كـ بلقم والعجفاء[1]. وكان لهن في عهد الأمير الحكم بن هشام المعروف بالرضي دار، عُرفت بدار المدنيات.

ولم يكن ذلك الاهتمام حالة خاصة أو نادرة، بل كانت الدولة الأندلسية هي مَن تهتم بتوفير تلك المجالس، فقد اشتهر عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م) بوجود مجالس خاصة للغناء بجميع مراتبه، وكانت تُقام في قصره[2].

ومن الموانئ التي اشتهرت بتلك الملاهي الترفيهية ميناء بلنسية؛ إذ تميز عن بقية مدن الأندلس بالمرح وقلة الهم، ولا تكاد تجد أحداً من جميع طبقاتها الاجتماعية إلا وهو قليل الهمّ، ومن ضمنهم التجّار الذين اتخذوا "لأنفسهم أسباب الراحات والفرج"[3]، والسبب في ذلك هو اتخاذهم للطرب "فلا تكاد تجد فيها مَن يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عن نفسه مغنية وأكثر من ذلك"[4]. بل كانوا يتفاخرون بكثرة الأغاني، وما يمتلك الفرد من أدوات الطرب؛ بحيث وصل سعر المغنية إلى ألف مثقال[5]، أما دون الألف؛ فكثيرات[6].

1- سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص149؛ البشر، محمد بن عبد الرحمن، مباهج الأندلس، دار الكتب العلمية، (بيروت: 2012)، ص35.
2- الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية،(بيروت: 1997)، ص302.
3- العذري، ترصيع الأخبار، ص18.
4- العذري، ترصيع الأخبار، ص18.
5- كان وزن المثقال الشرعي في بلاد الأندلس يبلغ (4772) غم. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص18. وبذلك يبلغ سعر الجارية بالمثقال 4772 غم، ومعلوم أن الكيلو يساوي ألف غرام.
6- العذري، ترصيع الأخبار، ص18.

وكان في أبدة "من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة، فإنهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك، وإخراج القروي والمرابط والمتوجه"[1].

ولا يمكن القول إن غناء تلك الجواري في تلك المدة كان يحتوي على الفجور والكلمات البذيئة الممنوعة، بل احتوى غنائهن على مجموعة من الحكم من الأشعار التي يتغنّين بها.

ويذكر الحميدي شيئاً من غناء الجواري آنذاك [2]:

وبدا لهُ من بعدِ ما اندملَ الهوى — بـرق تـألـقٍ مـوهـنـاً لمعانهُ
يبدو كحاشيةِ الـرداءِ ودونـهِ — صعب ُالـذرى متمنعٌ اركانهُ
فالنار ُما اشتَملَت عليهِ ضلوعهُ — والـمـاءُ ما سمحت به اجفانهُ
ستسليك َعما فاتَ دولة َمفضل — أوائـلـهُ مـحـمـودةٌ وأواخـرهُ
ثنى الله عطفيهَ والـفَ شخصه — على البر مذ شدَّت عليه مآزرهُ

وكانت تستخدم في تلك الملاهي الكثير من أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة[3] والرباب[4] والقانون والمؤنس والكثيرة والفنار والبوق والزلامي[5] والشقرة والنورة والأخيران مزماران، أحدهم غليظ الصوت، والآخر رقيق الصوت[6].

ويبدو أن وجود التجّار الغرباء أدى إلى حصول بعض حوادث الزنا في بعض المناطق، وهذا ما حدا كتب الحسبة التأكيد على أمور عدة، الغرض منها القضاء عليها،

1- الشقندي، فضائل الأندلس، ص56.
2- جذوة المقتبس، ص111.
3- العود والروطة: من آلات الطرب الوترية. ينظر: سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص155.
4- الرباب: من آلات الأوتار. ينظر: ابن خلدون، العبر: 1/ 454.
5- الزلامي: نوع من أنواع المزامير. ينظر: سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص155.
6- الشقندي، فضائل الأندلس، ص52؛ ابن خلدون، العبر: 1/ 453.

فقد ذكر ابن عبدون أنه يجب أن لا تترك المرأة المعروفة بالفجور من أن تتجول كيفما تشاء بحرية في الموانئ والمراسي[1].

ولا ينكر ما كانت تقدمه تجارة الرقيق، من نساء جميلات لمَن أراد من التجّار وغيرهم أن يتخذ منهن إماء لعدم الوقوع في المحرم (الزنا). وقد سمحت الشريعة الإسلامية بذلك بالاستناد لقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) ﴾[3].

1- ثلاث رسائل أندلسية، ص56-57.

2- من سورة النساء من الآية 25-27.

3- من سورة النور الآية 33.

ثلاثة عشر: الصيد:

1. صيد النسور:

امتازت بلاد الأندلس بوجود الكثير من الطيور الجارحة[1] لا سيما النسور، وكان تواجد تلك النسور عند ساحل الجزيرة الخضراء، فيذكر العذري[2] أن في "ساحل الجزيرة موضع معروف على البحر لصيد الطير، يأتيه في كل أوان من العام جنس من الطير، لا يأتي في غيره. وتلك المواضع مستملكة عندهم، يكتبونها في صدقات نسائهم، ويتبايعونها بالأثمان الكبار. ومن عندهم يُجلب جلد النسر العجيب إلى أكثر بلاد الأندلس".

وبذلك نجد أن الأندلسيين عملوا على صيد تلك النسور لغرض الاستفادة من جلودها، وبيعها بأسعار باهظة، وعملوا لأجل ذلك استملاك الأراضي التي تأتي إليها النسور، بشكل دائم، ومن هذا النص، يمكن أن نقول إن تلك النسور كانت من الضخامة؛ بحيث إن جلودها كانت تُستخدم في صناعة البسط والفرش المستخدمة في المنازل الأندلسية[3].

ويبدو أن للتضاريس دوراً كبيراً في مجيء تلك النسور إلى منطقة الجزيرة الخضراء، وبكثرة، فوجود التكسّرات الصخرية المطلّة على البحر، توفّر أعشاشاً

1- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 199.

2- نصوص عن الأندلس، ص120.

3- السلمي، إبراهيم بن عطية الله، العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان، أطروحة دكتوره غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1430هـ، ص304.

مناسبة للطيور، فضلاً عن وفرة السمك الذي يعد طعاماً لأكثر النسور، ولا سيما تلك التي تقتات عليه.

2. صيد التماسيح:

تعدّ مهنة صيد التماسيح من المهن الخطرة، ولذلك لم تذكر لنا المصادر والمراجع التاريخية مهنة رسمية لها. إلا أن حاجة صناعة السيوف إلى مقابض قوية، ونظراً لما تمتاز به جلود التماسيح من قوة، لا تضاهيها قوة أي جلد آخر، لذا؛ فإن أهل الأندلس في ميناء مالقة قاموا بصيدها وبيع جلودها إلى التجّار الذين بدورهم، يقومون ببيعها على صناع السيوف أينما وُجدوا[1].

3. صيد حوت التن (التونة):

يذكر (Goitein) أن كلمة التونة ذات أصول إغريقية[2]، وكان هذا السمك ذا شهرة واسعة في بلاد الأندلس، بسبب وفرته فيها أكثر من غيره من البلدان الأخرى، تتمتع شهرته بأن معدل طوله يصل إلى المتر والنصف، ووزنه بين (200 إلى 350) كغم، وهو خالٍ من الدهن، فضلاً عن أن طعامه مقوّ عام للجسم[3].

ولهذا الحوت هجرة، تبدأ من بلاد الشام متجهاً نحو جزيرة كريت، ثم إلى بلاد الأندلس متخذاً البحر الأبيض المتوسط شمالاً وجنوباً، إلى أن يصل بحر الزقاق، وله

1- مجهول، حدود العالم، ص136.

2- A Mediterranean Society , V.1, p.126.

3- قناة الجزيرة الوثائقية، تقرير عن (سمك التونة)، بثّ بتاريخ 2/ 9/ 2011، الساعة 9-10 مساءً. وذكر التقرير أن ما يُصاد منه حالياً يصل إلى 700 طن في السفرة الواحدة، والتي تستمر لمدة أسبوع لخمس مراكب صيد حديثة.

سرعة فائقة، فهو يقطع مسافة ألف وأربعمائة فرسخ في البحر، من خروجه إلى الموضع الذي يصل إليه في يوم وليلة[1].

ويخرج هذا الحوت في الأول من أيار من كل عام، ويتواجد على الأغلب في اليوم الثاني في جزيرة كريت، ثم يخرج منها شهراً كاملاً ماراً بالأندلس، فيصاد هنالك في شهر حزيران عند منطقة جبل طارق، والمدن الساحلية الأندلسية، لكن ما يصاد عند جبل طارق أكثر بكثير ممّا يصطاد في المناطق الأخرى من بلاد الأندلس، ويتميز هذا النوع من الأسماك بأنه سمين، وطيب المذاق، ويقوم الصيادون بتجفيفه وخزنه وتصديره إلى كافة البلدان[2].

وتتم عملية الصيد من خلال الشباك المسماة بالخطاف، أو المذربة، وهي مجموعة شباك، تُمدّ وتُوجّه عليها الأسماك[3]، أو من خلال رماح "في أسنتها أجنحة بارزة، تنشب فيه، ولا تخرج، وفي أطراف عصيها شرائط القنب الطوال"[4]، واشتهر وجود سمك التن على سواحل مدينة شذونة[5]. فكانت سفن الصيد - وبلا شك - تخرج من الموانئ الجنوبية الشرقية لبلاد الأندلس.

فضلاً عن أن صاحب هذه المهنة (صيد سمك التونة) كان يُدعى بالتوني[6].

وهذا الأمر يعطي تصوراً كبيراً عن معرفة أهالي الأندلس، بطبيعة التجّار ونوع المواد التي يحتاجونها، وقدموا لأجلها، فهم وفّروا لهم خدمة اقتناء تلك المواد، والتي غالباً ما تختفي عن الأسواق، وبالمقابل؛ كانت تلك الخدمة مقابل نفع مادي، يُستفاد

1- الزهري، الجعرافية، ص119-120.

2- الزهري، الجعرافية، ص120.

3- لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص281.

4- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 529. وينظر: متز، الحضارة الإسلامية: 2/ 229.

5- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص101.

6- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.126.

منه الطرفان الأول البائع، والطرف الثاني المشتري (التاجر)، الذي بدوره يصدّر تلك المواد، إلى حيث الاستفادة من بيعها، بأرباح مناسبة.

أربعة عشر: تأمين الطرق التجارية:

تعدّ مسألة تأمين الطرق التجارية من العقبات المهمة التي ترتبط بالعمليات التجارية ارتباطاً وثيقاً، فمسألة تأمين الطرق الداخلية والخارجية من وإلى موانئ بلاد الأندلس، كانت من الضروريات الملحة.

فعملت دولة الأندلس جاهدة على توفير الحماية اللازمة للطرق التجارية الداخلية منها والخارجية، وسنوضح ذلك، فيما يأتي:

1. تأمين الطرق الداخلية:

ولمعرفة طبيعة الطرق في بلاد الأندلس، ولا سيما الداخلية منها، فلا بد لنا أن نتعرف على أمن تلك الطرق، وهل كانت آمنة؟ أم كانت تتعرض لهجمات اللصوص وقطّاع الطرق؟ أم لا؟

فبشكل عام، كانت الطرق الداخلية لموانئ ومدن الأندلس فيها من الأمان ما جعل التجّار يتنقلون، فيصلون إلى أبعد نقطة، إلا في بعض الحالات التي كانت تتعرض فيه بعض الطرق إلى سطوة الخارجين والمتمردين على الدولة الأنـدلسية، إلا أن ذلك لم يستمر، ولم يكن هو الغالب، فقد وقفت الدولة الأندلسية بحزم أمام كافة الظروف التي تمنع ذلك الاستقرار في الطرق الداخلية لمدنها.

فيذكر ابن حيان حادثة وقعت في سنة (310هـ/ 922م)، فبعد وصول الأخبار إلى الأمير الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) عن وجود مَن يسفك الدماء،

ويخيف المارة في الطريق الواصل بين ميناء بجانة ومناطق الأندلس الداخلية تحديداً في وسط الطريق بين البيرة وجيان، وأكثر أولئك من الأعاجم من أهل الذمة، الذين نبذوا العهد، وفارقوه. فسار إليهم الأمير في غزوة حربية، فحاربهم في حصونهم التي اتخذوها ملاذاً لهم، فنصب المجانيق، وفرض الحصار عليهم مدة خمسة وثلاثين يوماً، فقتلَ منهم العدد الكثير، إلى أن أذعنوا للطاعة بعد هدم حصونهم، ونزولهم من معاقلهم[1].

فالقوة كانت هي الفيصل في القضاء على كل مَن كان يعترض أمان الطرق الداخلية لبلاد الأندلس، والتي بلا شك لو لم تُؤمَّن، لقل النشاط الاقتصادي عامة، والتجاري خاصة، فكان تأمين تلك الطرق من أهم أولويات نظام الحكم القائم في بلاد الأندلس آنذاك، وهذا يعزّز الدور الحضاري الذي لعبه الفكر السياسي الإسلامي، والذي حاول جاهداً بناء الدولة على أرقى ما يكون من حالة، وفي كافة الميادين، لاسيما الطرق، وتأمينها.

2. تأمين الطرق الخارجية:

نظراً لما تتمتع به بلاد الأندلس من خصوصية، تتمثل في أن أغلب طرقها التجارية كانت عبر البحر، فكان لزاماً عليها تأمين البحر، من خلال تأمين السواحل، وإقامة المحاريس، وهذا ما سنعرضه في الصفحات القادمة:

أ- حماية السواحل:

حتّم الواقع الجغرافي لبلاد الأندلس، على أن تكون الطرق التجارية الواصلة إليها، عن طريق السواحل المحيطة بها، وبهذا كانت الموانئ والمراسي، هي المنفذ الوحيد لأكثرية التجارات والسفارات إليها.

1- المقتبس، تح: شالميتا، ص179-180. وينظر: الجعماطي، النقل والمواصلات، ص95.

والأندلس شأنها شأن بقية الدول، فإنها كانت تتعرض للهجمات والغزوات من قبل الأعداء من كل الأطراف، وتلك الهجمات تكون على السواحل، وتشكل خطراً على الموانئ فيها، وبذلك فإنها تقطع كل الاتصالات مع المناطق الأخرى، فكان واجباً على الدولة حماية تلك السواحل من الأخطار التي تحيط بها، ووضع محاريس، تحرس تلك السواحل لضمان مرور السفن التجارية وغير التجارية إلى البلاد.

ب- إنشاء المحاريس:

المحاريس: هي المكان التي كانت تأوي إليه القوة البحرية الحربية المكلفة بحماية السواحل الأندلسية، وسمّيت تلك القوة بالبحريين الذين كانت مهمتهم ضبط السواحل الأندلسية، وأن لا تجري سفينة في البحر إلا تحت أنظارهم وإشرافهم[1].

قامت المحاريس ونقاط المراقبة في السواحل الغربية الأندلسية بعد هجوم النورمان المتكرر عليها، ويذكر الحميري[2] سبباً، يبدو ضعيفاً، فهو يعزو نزول البحريين مدينة بجانة إلى اشتداد "شوكة بني إدريس بن إدريس الحسنيين بالمغرب، أمر خلفاء بني أمية بضبط السواحل، وألا تجري جارية إلا تحت نظر وإشراف".

وقامت المحاريس في أماكن معينة ومحددة مسبقاً يكون لها مكان استراتيجي مسيطر على أغلب المناطق التي تتعرض للخطر، ولأجل ذلك عمل الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ/ 822-852م) على إنشاء أربطة ومراكز حراسة للبحر[3]، كما أرسل القوات البحرية لحماية الجزر الأندلسية التي كانت تشكل موقعاً مهماً لجزيرة الأندلس، وبرّر عمله هذا في رسالة، أورد ابن عذاري[4] جزءاً منها، وهي

1- الحميري، الروض المعطار، ص80.
2- الروض المعطار، ص80.
3- مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 78.
4- البيان المغرب: 2/ 89.

"وفي سنة 235 [1]، ورد كتاب أهل ميورقة ومنورقة إلى الأمير عبد الرحمن، يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين لهم؛ فكتب إليهم كتاباً، أذكر هنا فصولاً منه، وهو: أما بعد؛ فقد بلغنا كتابكم، تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجّهناهم إليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشفيتم عليه من الهلاك. وسألتم التدارك لأمركم، وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكفّ عن مكروههم، والوفاء بما وتحملونه عن أنفسكم. ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم، وقمعكم عن العود إلى مثل الذي كنتم عليه. وقد أعطيناكم عهد الله، وذمته! ".

إذنْ؛ كانت الأهمية الأولى للبحريين من خلال تلك الرسالة هو تأمين الجزر الأندلسية، وتأمين طرقها التجارية.

واستمرت هيمنة البحريين على السواحل الأندلسية، وكانت قوتهم ظاهرة فيه؛ إذ كانوا يغزون بلاد الإفرنجة، ثم يعودون إلى سواحل الأندلس، واتخذوا من بجانة مركزاً لهم، بعد موافقة الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م)؛ إذ طلبوا منه ذلك، وأن يجعل عليهم رجلاً منهم عليهم، ففعل، فحصلت تلك القوة على الصفة الرسمية سنة (276هـ/ 889م)، فعمروا المدينة، وجعلوا لها الحصون[2]، ثم راسلوا الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/ 888-912م) بعد أن توسعت المدينة، للسماح لهم بتوسعة المدينة، فأجابهم إلى ما أرادوه[3]. فأصبحت مدينة بجانة ميناء تجارياً مشهوراً، يفدُ إليه التجّار من شتى الأماكن.

1- 235هـ/ 849م.

2- الحميري، الروض المعطار، ص80.

3- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص53.

فقد ذكر ابن حيان[1] أن البحريين ضبطوا مدينة بجانة، وطردوا المفسدين منها، "حتى إن المسافرين عندهم كانوا يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطروحة، بلا حارس، فلا يكاد يضيع منها شيء، وذلك كان من أعظم أسباب اجتماع الناس إلى بجانة من الآفاق".

واستمر الاهتمام بالمحاريس؛ إذ إن السفن والمراكب الإسلامية كانت تُحرس في الجزر الأندلسية، كما في جزيرة ميورقة؛ إذ احترس فيها الأسطول العربي الإسلامي سنة (321هـ/ 933م) خلال عهد الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م)؛ إذ كان خارجاً من ميناء المرية بقيادة سعيد بن يونس وعمرو بن مسلمة الباجي في حملة بحرية إلى بلاد الإفرنجة، فمنعه هيجان البحر من إتمام المهمة، فظل الأسطول متخذاً الاحتراس إلى أن ضاق الوقت عليها، فعاد إلى المرية[2].

وكانت مهمة الاحتراس ومراقبة الساحل مستمرة، فأخرج محمد بن رماحس القائم على ميناء المرية سنة (328هـ/ 939م) في عشرة مراكب حربية، وأربعة شواني وفتاشين، للاطلاع على سواحل الأندلس الشرقية، فوصل إلى "راس الصليب على طرف جون انبوريش؛ وانصرف منها إلى برشلونة، فألفى بها أميناً، كان قد توجه إلى صاحبهم مع رسله القادمين لطلب الصلح. فأمرهم الأمين أن لا يعترض لها، ولا لأهل ساحلها، فانصرف قافلاً إلى طرطوشة، وتوجّه منها إلى قرطبة"[3].

وهذا يؤكد أن موقع مدينة المرية كان قبل شهرته بوصفه ميناء من أشهر المحاريس التي تهتم بمراقبة الساحل، وحصل على عناية الخلافة من بناء وتحصين، وهذا ما يؤكده لنا العذري[4] بالقول: "وليست المرية بأولية العمارة، وإنما اتخذها

1- المقتبس، تح: انطونية، ص87-88.

2- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص323-324.

3- العذري، ترصيع الأخبار، ص81.

4- ترصيع الأخبار، ص86.

العرب رباطاً، وابتنت فيها محارس، وكان الناس ينتجعونها، ويرابطون فيها، ولا عمارة فيها يومئذ، ولا سكنى. وعليها سور صخر منيع، بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة".

ومن الأماكن المشهورة كـ محاريس في بلاد الأندلس، جزيرة ابلناصة التي كانت تستخدم كـ "مكمن لمراكب العدو"[1].

ولم تقتصر حماية الساحل على المناطق القريبة منه، بل تعداه إلى القيام بهجمات استباقية، إلى المناطق التي يظن أنها تشكّل خطراً على السواحل الأندلسية، ففي سنة (345هـ/ 956م) نزل غالب قائد الأسطول الأندلسي إلى "أرض سواحل إفريقية من عمل الشيعي"[2].

وفي سنة (347هـ/ 958م) أمر الخليفة الناصر (300-350هـ/ 912-961م) صاحب الشرطة أحمد بن يعلي بالخروج على راس الأسطول إلى إفريقية لمجابهة الخطر الدولة الفاطمية[3].

وفي سنة (353هـ/ 964م)، سار الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961-977م) "من قرطبة إلى المرية توقعاً لما يصدر من صاحب إفريقية المحاد لأهل الأندلس، ولمعاينة ما استكملهُ بها من الحصانة، ومطالعة حال رابطة القبطة ومشارفة حال الرعايا بتلك الجهة"[4].

ومن هذه الرواية، نستطيع استنتاج عدة أمور، منها:

1. أن الدولة الفاطمية كانت تشكّل خطراً على السواحل الأندلسية، وبذا؛ كان الصدام يتم بين الأسطولين في البحر الأبيض المتوسط.

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 558.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 221.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 222.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 236.

2. العمل على الاستعداد لمجابهة ذلك الخطر.

3. اتخاذ ميناء المرية حصن مرابطة، وتهيئة المستلزمات كافة لذلك.

4. أن ذلك الحصن كان خط مرابطة للبلاد، ولأراضي العدوة الخاضعة لبلاد الأندلس مثل مرسى الدجاج الذي كان يسكنه الأندلسيون وقبائل من كتامة[1].

ونجد أن أهمية بلاد العدوة للتجّار الأندلسيين أنهم اتخذوا من مدينة تنس ميناءً ومرسى لسفنهم سنة (262هـ/ 875م)[2]، وصارت إحدى مراكز الإشراف على تجارة الأندلسيين في المغرب العربي.

كما قام المنصور بن أبي عامر (367-392هـ/ 977-1002م) بإنشاء أسطول كبير، في ميناء قصر أبي دانس من ساحل غرب الأندلس، وجهّزه بالرجال البحريين وصنوف المشاة، وزوّده بأنواع الأطعمة والعُدد والأسلحة، مستظهراً العزيمة من سطوته على مناطق غرب الأندلس الساحلية[3] فضلًا عن إحكام سيطرته على ميناء سبتة؛ ليكون الخط الدفاعي الأول ضد الهجمات الفاطيمة[4].

فهذا يوضح لنا أهمية المحاريس في كونها من الخدمات التي استفاد منها التجّار أولاً، والموانئ ثانياً؛ لأنها وفرت الأمان للطرق التجارية البحرية، ووفّرت أماناً في الموانئ التي ترسو عليها تلك التجارات.

فضلاً عن تلك المحاريس وما قامت به من دور خدمي تجاري للموانئ الأندلسية، فقد كان العمل العسكري وصدّ الهجمات المعادية إحدى الركائز التي حافظت على ذلك النشاط المميز في موانئ الأندلس.

1- معجم البلدان: 5/ 106.

2- الحميري، الروض المعطار، ص138.

3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 295.

4- العبادي، أحمد مختار، دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة، (بيروت: 1971)، ص444؛ أحمد، الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق، ص35.

جـ- التصدي للهجمات الخارجية:

تعرضت سواحل بلاد الأندلس إلى الكثير من الهجمات المعادية، والتي لو قُدّر لها أن تنجح؛ لأثّرت - بشكل كبير - على مختلف المجالات الحضارية. وكانت المحاريس إحدى نقاط الانطلاق نحو التصدي لكل الهجمات المعادية.

ففي سنة (191هـ/ 806م)، وصلت الأخبار إلى الأمير الحكم الأول (180-206هـ/ 796-822م)، بتحرّك جيوش الإفرنجة إلى ميناء طرطوشة، فجهّز جيشاً كبيراً، وسيّره بقيادة ولده عبد الرحمن، فتمكّن من صدّ ذلك التحرّك، وكبّده خسائر كبيرة[1].

وفي سنة (229هـ/ 843م) ورد كتاب عامل ميناء لشبونة وهب الله بن حزم إلى الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، بظهور أربعة وخمسين مركباً، بمعية أربعة وخمسين قارباً، للنورمان على السواحل الغربية للأندلس، فأرسل الأمير إلى عمال السواحل بالاحتراس، فاستطاعوا صدّ ذلك الهجوم[2].

وبسبب خطورة الهجمات التي قادها النورمان على السواحل الأندلسية، فقد عمد الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، إلى بناء السفن في مدينة إشبيلية، لمجابهة خطرهم[3] على ميناء إشبيلية وميناء لشبونة، ومينائي بلنسية والجزيرة الخضراء[4].

ولم تمنع تلك الإجـراءات الخطر النورماني، فقد ظهرت سفنهم سنة (230هـ/ 844م) في ميناء إشبيلية، ثم احتلوا جزيرة قبطيل، واتخذوها قاعدة لهم، ثم هاجموا قرية قورة، فتصدى لهم السكان، وخسر المسلمون خسائر كبيرة آنذاك، وعاث النورمان الفساد في المناطق التي سيطروا عليها، ثم عادوا إلى إشبيلية، فعمد الأمير

1- ابن الأثير، الكامل: 5/ 243.

2- العذري، ترصيع الأخبار، ص98.

3- Veiga , Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, P. 53 , 59.

4- مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 78.

عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، إلى إرسال الجند بقيادة كل من عبد الله بن المنذر وعيسى بن شهيد، والإسكندراني، وعبد الرحمن بن كليب بن ثعلبة، وتمكّنوا من هزيمة النورمان، وإبعاد خطرهم[1].

ولم يكتف الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م) بذلك، فقد أوعز إلى محمد بن سعيد بن رستم؛ ليتولى ملاحقة النورمان، وإبعاد خطرهم عن الأندلس، فتصدّى لهم، وقتل منهم العدد الكثير[2]. ويقول الشاعر عثمان بن المثنى في ملاحقة تلك الحملة[3]:

يـقـولـون إن الاردمـانـيـيـن أقـبـلـوا

فـقـلـت إذا جـاءوا بـعـثـنـا لـهـم نـصـرا

هذا وقد استمرت عمليات ملاحقة النورمان أينما وجدوا، لتأمين سواحل الأندلس، وإنهاء ذلك الخطر عليها.

فضلاً عن احتواء المشاكل التي تحيق بالبلاد، ولا سيما تلك القادمة من بعض الأراضي التابعة لها، ففي سنة (234هـ/ 848م)، قام الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، بإرسال قوة حربية بحرية، تعدادها ثلاثمائة مركب، إلى جزيرتي ميورقة ومنورقة، لإعادتهما إلى الطاعة بعد نقضهما للعهد، وتعرّضهما لمراكب المسلمين المارة بها، أو قربها[4].

1- العذري، ترصيع الأخبار، ص98-99؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 78؛ المختار، الدولة العامرية بالأندلس، ص25؛

Allen , Cultural Flourishing In Tenth Cenyury Muslim Spain, p.34.

2- العذري، ترصيع الأخبار، ص99؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 49.

3- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 49.

4- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص2؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 49؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 89؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 19

Allen , Cultural Flourishing In Tenth Cenyury Muslim Spain, p. 34.

وبسبب أهمية الساحل، فقد عيّن عليه مَن يراقبه، ويتخذ الإجراءات المناسبة لحمايته، وهو عبد المجيد بن عبد الصمد بصفة "عيناً على البحر"[1]. ولهذا؛ فقد أحست الدولة أن الخطر البحري الداخلي لا يقلّ عن خطر النورمان، فبادرت إلى تلك الحملة الكبيرة، وتعيين مَن يقوم على أمر الساحل.

ويذكر ابن حيان[2] أن الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م) كان "شديد التهمم بخبر الساحل والعدوة، مراعياً لما هنالك من أخبار أعدائهم المسودة، متجسساً عن عمّالهم"، فعلى إثر قيام النورمان بالخروج على سواحل الأندلس الغربية سنة (240هـ/ 854م) خلال إمارة محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م)، في اثنين وستين مركباً ومجابهتهم وتصديهم لمراكب المسلمين، ووصولهم إلى ميناء الجزيرة الخضراء، وعبورهم إلى سواحل تدمير، تعرضت تلك الحملة إلى رد فعل قوي من الدولة الأندلسية التي تصدت للهجوم، وأصابوا منه مركبين من مراكب الغزاة[3].

كل ذلك يوضح مدى الخطر النورماني على السواحل، واستمر التصدي لكل الهجمات النورمانية، ففي سنة (245هـ/ 859م) خرجت مراكب النورمان، إلى ساحل الأندلس الغربي في ثمانين مركباً، فعلم الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م) بتلك المراكب، فأرسل الحاجب عيسى بن الحسن لملاحقتهما، التي على ما يبدو أنها كانت قد وصلت إلى ميناء الجزيرة الخضراء، وتغلبت عليه، وأحرقت المسجد الجامع فيه، ثم عبرت إلى العدوة، وعادت ثانية إلى الأندلس[4].

1- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص236.
2- المقتبس، تح: مكي، ص265-266.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 96-97.
4- العذري، ترصيع الأخبار، ص118.

ولم تكن تلك الهجمات البحرية تقتصر على السواحل الأندلسية فقط، بل إنها كانت تدخل بمراكبها إلى الأنهر الداخلية للأندلس، في سنة (245هـ/ 859م) أرادت قوة منهم الخروج إلى السواحل، للمرة الثانية خلال تلك السنة، فوجدوا "البحر محروساً ومراكب الأمير محمد فيه جارية ما بين حائط إفرنجة في الشرق إلى أقصى حائط غليسية في الغرب"[1]، تحسباً لأي هجوم آخر، فدخلت إلى العمق الأندلسي من خلال الأنهر التي تصبّ في المحيط الأطلسي، من جهة مدينة باجة، ودخلوها من أحد الموانئ (ومن خلال الاطلاع على الواقع الجغرافي للأندلس، نستطيع أن نستوضح أنهم ربما دخلوا من خلال نهر وادي يانه)، فيذكر ابن حيان[2] ذلك بالقول "ومضت مراكب المجوس في الريف حتى انتهت إلى مصبّ نهر إشبيلية"، ثم نزلت تلك المراكب إلى ميناء الجزيرة الخضراء، فاحتلته، ودخلت قواتها في في مناطق تدمير حتى وصلوا حصن أوريولة، وعبـروه إلى بلاد الإفرنجة، فقضوا الشتاء هنالك، ثم عادوا إلى بلاد الأندلس، فتصدت لهم المراكب الإسلامية، بقيادة قرقاشيش بن شكوح وخشخاش، وكانت محمّلة بكافة العدد الخاصة بقتال البحر من نفط "وأصناف العدة البحرية، والكثيف من الرماة بأوسع ما يحتاجون إليه من النشاب"[3]، فأصابوا مركبين من مراكبهم[4]، وكانت تلك المقاومة العنيفة سبباً في خروج النورمان إلى بلاد البشكنس[5].

كما تصدى الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـــ/ 852-886م) لهجمات النورمان في سنة (247هـ/ 861م)؛ إذ يذكر ابن حيان[6] ذلك التصدي بالقول

1- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص307-308.
2- المقتبس، تح: مكي، ص308.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص309.
4- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص309.
5- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص309.
6- ابن حيان، المقتبس، تح: مكي، ص311.

"فيها كان خروج المجوس إلى الأندلس، فلم يكن لهم في هذه الكره من الانبساط في البحر والإضرار بأهل السواحل ما جرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعاً لشدة ضبطها... وأسرعوا الانصراف إلى بلدهم بالخيبة، فلم يكن لهم بعد إلى الأندلس إلى اليوم عودة".

من رواية ابن حيان، نستنتج أن النورمان بعد هذا التاريخ، وبسبب استحكام الدولة على أراضيها من هجماتهم، لم يتمكنوا من الوصول إلى ما وصلوا إليه قبل ذلك التاريخ، فهم كانوا قد دخلوا إلى ريف تدمير، وعبروه براً إلى إفرنجة، فهم بعد هذا التاريخ لم يروا في برّ الأندلس حتى سنة (469هـ/ 1076م) وهي وفاة المؤرخ ابن حيان صاحب الرواية.

واستمر اهتمام الأمير محمد بن عبد الرحمن بالسواحل وحمايتها، إذ قام في سنة (266هـ/ 879م) بإنشاء المراكب في مدينة قرطبة، وإرسالها بقيادة عبد الحميد المرعيطي المعروف بابن المغيث إلى المحيط الأطلسي لتشديد الحماية على سواحل الأندلس من جهة الغرب والتصدي لهجمات النورمان، إلا أن تلك المراكب حطمها المحيط[1].

واستمرت الإمارة الأندلسية بالاهتمام بالسواحل وضرورة الحفاظ على أمنها، فبعد ظهور التمردات في ميناء الجزيرة الخضراء سنة (294هـ/ 906م)، أرسل الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/ 888-912م) ابنه أبان في حملة عسكرية إليه، للقضاء على جميع المتمردين هناك، وتأمين المدينة[2].

كما أن تدهور الأمان في بعض الموانئ، كان يؤثر - بلا شك - على مقدار الخدمات التي تُقدّم هنالك، مما حدا ببعض الأهالي بالاستنجاد بالعاصمة قرطبة، كما

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 103-104؛ العبادي، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الأندلس، جمع مادته ونسقها: حمد إبراهيم الشريف، راجعه: مختار العبادي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: 1958)، ص169.

2- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص142.

حصل مع أهالي ميناء طرطوشة، فبعد حدوث بعض الاضطرابات وعدم وجود الشخصية القيادية هنالك، أصبح ذلك خطراً على المصلحة العامة، فقد استنجد أهلها بالأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/ 888-912م)؛ ليرسل لهم مَن يدير شؤونهم، فأرسل لهم عبد الحكم بن سعيد بن عبد السلام؛ ليكون والياً عليهم[1].

ولم تهمل الدولة الأندلسية في أيّ وقت مسألة حماية الموانئ والسواحل، حتى من المتمردين داخلها. فبعد سيطرة المتمردين بقيادة عمر بن حفصون على ميناء الجزيرة الخضراء وسواحله سنة (301هـ/ 913م) حتى سار الأمير الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912- 961م) إليه، لتأمين المدينة وسواحلها، ويذكر ابن حيان[2] تلك المسيرة بالقول "ودخل الناصر لدين الله إلى الجزيرة الخضراء يوم الخميس، لأربع خلون من ذي القعدة منها، فأقام بها أياماً، للنظر في مصالحها، وشدّ بحرها. وكان في ساحلها للمارد ابن حفصون وأصحابه عدة من المراكب البحرية، يسفّرونها إلى أرض العدوة في المير والتجارات، ويقضون بها الحاجات، فيتسعون بها أعظم التوسعة، فأخرج الناصر لدين الله الحشم لطلبها، وأخذها".

فهذه الرواية تبيّن أهمية ميناء الجزيرة الخضراء؛ إذ كان يعدّ أحد المنافذ التي كانت تأتي وتغادر منها التجارات إلى بلاد المغرب العربي، والتي قد استفاد منها المتمردون خير استفادة، فيبدو أنهم كانوا يؤجّرون مراكبهم لحمل البضائع التجارية ذهاباً وإياباً، وبذلك كانوا يجنون منها المبالغ الكبيرة.

ثم عمد الخليفة إلى جلب إمدادات بحرية حربية من مالقة وإشبيلية وغيرها من المدن، وجعلها تحرس سواحل الأندلس من الجزيرة الخضراء إلى تدمير، بالعديد من المراكب التي شحنها بصنوف الأسلحة والعدد، وجعلَ فيها النفط وأسلحة، تُستخدم

1- ابن حيان، المقتبس، تح: انطونية، ص52.

2- المقتبس، تح: شالميتا، ص87.

في قتال البحر، وبهذا العمل، أمنت السواحل الأندلسية من خطر المتمردين كابن حفصون وغيره[1].

ثم قام الأمير الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) في سنة (315هـ/ 927م) بحملة عسكرية لتأمين بلاد الأندلس، وتنقل بجيشه حتى وصل إلى ميناء مالقة، فانتشر في ساحلها، وقضى على حصون المتمردين فيها، وولى عليها "عبد الملك بن العاصي، وألزم معه فيها كتيبة من الحشم لمغاورة تلك الحصون المتربّصة، وأمرهم بحمل السيف على كلّ داخل إليهم، أو خارج منهم، وأجريت السفن في بحرها بين يديه"[2].

ولم تقتصر الحماية على السواحل الأندلسية، بل تعدّتها إلى بلاد العدوة (المغرب العربي). ففي سنة (319هـ/ 931م)، قام الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) بقيادة حملة بحرية إلى منطقة العدوة، في مائة وعشرين قطعة بحرية، وشارك البحريون في خمسة آلاف رجل، وألف من الحشم، فضلاً عن مشاركة أهل بجانه والمرية في تلك الحملة[3]، سيطر خلالها على مدينة سبتة - فسوّرها بالحجر - وطنجة ومليلة، فسيطرَ خلالها على الملاحة في مضيق جبل طارق[4].

ثم استمر الخليفة بجهوده في حفظ أمان الساحل وموانئه، ففي سنة (323هـ/ 934م)، أرسل الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) القائد عبد الملك بن سعيد بن حمامة في أربعين مركباً، منها عشرون حراقات، فيها النفط

1- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص87-88.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص210-211.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص312-313؛ محمد، فراس غانم، مدينة سبتة منذ الفتح وحتى نهاية دولة المرابطين (92-543هـ/ 710-1248) دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، 2000، ص41.
4- سالم، عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: د.ن)، ص287-288.

والآلات الحربية، وعشرون أخرى، فيها الرجال المقاتلة، تحمل من الرجال ألف رجل، ومن البحريين ألفين رجل، وأبحروا من ميناء المرية، باتجاه جزيرة ميورقة؛ لتفقد أوضاعها، ثم اتجهوا إلى بلاد الإفرنجة، حتى وصلوا مدينة انيش[1]، فأحرقوا المراكب والأرباض المحيطة بتلك المدينة، وقتلوا فيها أكثر من أربعمائة رجل، وعادت الحملة إلى الأندلس[2].

وللأهمية الكبيرة للثغور والسواحل الأندلسية، جعل الخليفة الناصر لدين الله (300-350هـ/ 912-961م) سنة (344هـ/ 955م) شخصاً، ينظر في الكتب الواردة من السواحل، وهو الوزير عيسى بن فطيس "وقلّد الوزير عيسى بن فطيس النظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف، وغير ذلك"[3].

كما ظهر في السنة نفسها خطر الفاطميين؛ إذ تعرض ميناء المرية إلى هجوم من قبل الأسطول الفاطمي الذي أحرق السفن الراسية فيه. وهذا الأمر أزعج الخليفة الناصر، فأمر بالهجوم على مرسى الخرز سنة (345هـ/ 956م) في ستين سفينة، فألحق به الدمار، وخرّب جميع المناطق المحيطة به[4].

ثم استمرت عمليات تأمين السواحل وصد الأخطار أينما وُجدت، ففي سنة (354هـ/ 965م)، وبعد ظهور مراكب النورمان في المحيط الأطلسي، فقام سكان تلك المناطق بالتصدي لها، فضلاً عن قيام الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ/ 961-977م) بإخراج قادة البحر لاحتراسه وحمايته من كل الهجمات المعادية، وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن

1- مدينة انيش: من مدن بلاد الإفرنجة المهمة، يصفها ابن حيان أنها "دار صناعتهم، ومرفأ مراكبهم". المقتبس، تح: شالميتا، ص367.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص366-367.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 220.
4- سالم، تاريخ المسلمين، ص288.

رماحس بتعجيل حركة الأسطول[1]، "ثم وردت الأخبار بأن العساكر نالت منهم، من كل جهة من السواحل"[2].

ثم أمر الخليفة في سنة (355هـ/ 965م) "بإقامة الأسطول بنهر قرطبة، واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس (أهلكهم الله) تأميلاً لركوبهم إليها"[3]، فصنعت ستمائة مركب، كان لها شأنٌ في صد هجمات النورمان البحرية[4]. وتهيأ قائد أسطول حماية السواحل سنة (360هـ/ 970م) بالخروج إلى السواحل الغربية للأندلس بعد وصول معلومات "بتحرك المجوس الأردمانيين (لعنهم الله) وظهورهم في البحر"[5] المحيط.

ولهذا، فقد عملت المحاريس على صد الهجمات الخارجية، والقيام بالعمليات العسكرية الاستباقية، وتأمين مناطق النفوذ، وإنهاء التمردات في الموانئ، وهي من أهم الخدمات الجليلة التي قدمتها الدولة الأندلسية خلال عصري الإمارة والخلافة، وكان لتلك الخدمة الدور الإيجابي في حصول التجّار والوافدين على أمان أنفسهم وأموالهم.

وربما أن التساؤل الذي يتطلب منا إجابة شافية، أنه هل يمكن لنا أن نعد خدمة بناء المحاريس من الخدمات التجارية؟

يمكن القول إن هذه الخدمة تجارية، بدليل أن مَن كان يقوم بتلك المهمة يتقاضى أجراً معيناً، وأكثر تلك الأجور المدفوعة كانت من المبالغ المستحصلة كواردات للدولة، ومن ضمنها الضرائب، ونعلم أنه هنالك الضرائب المستحصلة من التجّار بعد جلب تجاراتهم، وبذلك يمكن القول إن تلك الضرائب كانت بمقابل مجموع الخدمات التي تقدّمها الدولة لهم.

1- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 42؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 383-384.

2- المقَّري، نفح الطيب: الصفحات نفسها.

3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 239.

4- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 42.

5- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 241.

خمسة عشر: بناء وترميم القناطر[1] والجسور:

كان للفيضانات الموسمية في الأندلس دور في ظهور حاجة ملحة إلى بناء وترميم القناطر الواصلة بين ضفاف الأنهار في البلاد، لما لها من خدمة كبيرة في المجالات الحضارية كافة.

وكان في بلاد الأندلس ثلاثة أنهر رئيسة، تتطلب بناء القناطر عليها، وهي نهر الإبرة والتاجة والوادي الكبير، فتم بناء جسر سرقسطة وجسر طليطلة وجسر قرطبة، وكانت الحاجة إلى تلك القناطر أو الجسور حضارية[2]. ولنبدأ بأول تلك القناطر:

1. قنطرة قرطبة:

هي من القناطر الرومانية القديمة الموجودة في ميناء قرطبة، ووصفها الشريف الإدريسي[3] (ت560هـ/ 1164م) بالقول "ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها وإتقانها، وعدد قسيها سبع عشرة قوساً بين القوس والقوس خمسون شبراً، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبراً، وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً، ولها

1- القنطرة: يُقصد به الجسر الذي يربط بين ضفّتي النهر، وهو "ما يتخذ من الآجر والحجر في موضع، ولا يرفع". الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، المطبعة الخيرية، (مصر: 1306هـ)، ص77؛ أحمد، علي، من الاصطلاحات التاريخية والحضارية الأندلسية والمغربية في العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، حزيران، 1998، العددان 63-64، ص160.

2- بلباس، ليوبولدو تورتيس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: علي عبد الرءوف البمبي وعلي إبراهيم المنوفي والسيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة: 2002)، مج2: 2/ 283.

3- نزهة المشتاق: 2/ 579.

ستائر من كل جهة، تستر القامة وارتفاع القنطرة من موضع المشي إلى وجه الماء في أيام جفوف الماء وقلته ثلاثون ذراعاً، وإذا كان السيل بلغ الماء منها إلى نحو حلوقها وتحت القنطرة، يعترض الوادي رصيف سدّ مصنوع من الأحجار القبطية والعمد الخاشنة من الرخام، وعلى هذا السد ثلاث بيوت أرحاء، في كل بيت منها أربع مطاحن، ومحاسن هذه المدينة وشماختها أكثر من أن يحاط بها خبر".

وقد جدّدها العرب المسلمون أيام الوالي السمح بن مالك الخولاني (100-102هـ/ 719-721م)، وتقع على سبعة عشر عقداً[1]. وتم إصلاحها خلال حكم الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/ 756-788م)، بسبب فيضان ضخم عام (160هـ/ 776م)[2].

كما واهتم الأمير هشام الأول (172-180هـ/ 788-796م) بتلك القنطرة اهتماماً بالغاً، وهذا الاهتمام - بلا شك - متأتٍ من الأهمية الحضارية لتلك القنطرة؛ فقد ذكر ابن عذاري[3] أن الأمير "نظر في بنيان قنطرة قرطبة، وأنفق في إصلاحها أموالًا عظيمة، وتولّى بناءها بنفسه، وتُعطى الأجرة بين يديه".

وتبيّن هذه الرواية صحة القول بدليل أن الأمير هشام كان قائماً بنفسه على أمر البناء والتعمير؛ إذ إنه كان يعطي الأجراء أجورهم بنفسه.

إلا أن هذه القنطرة قد تعرضت إلى تصدعات جراء فيضان عام (288هـ/ 900م) الذي أدى إلى هدم إحدى قواعد القنطرة[4]، وفيضان سنة (331هـ/ 942م) والذي

1- ابن الوردي، خريدة العجائب، ص18؛ ويذكر عنان أن لها ستة عشر قوساً. الآثار الأندلسية، ص31.

2- بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 283. ويذكر ابن عذاري أنه في سنة 161هـ أو 162هـ "حمل نهر قرطبة حملاً عظيماً، حتى سد حنايا القنطرة، وهدم بعضها، وزلزلها؛ وبقي كذلك يومين". البيان المغرب: 2/ 56.

3- البيان المغرب: 2/ 66. وينظر: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام: 2/ 13؛ بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 284؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص225.

4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 140؛ بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 284.

عمل على تصدع القنطرة[1]، وفيضان سنة (334هـ/ 945م) الذي "هدم من آخر القنطرة، وثلم الرصيف وغيره"[2]. ويبدو أن الأوضاع السياسية قد أثرت على إصلاح تلك القنطرة، فيذكر أن أخبار هذا الجسر أو القنطرة اختفت من كتب التاريخ إلى سنة (360هـ/ 970م)، وخلال عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/ 961-977م)؛ إذ تم فيها إصلاح القنطرة، من خلال تدعيمها، وتقوية أرجلها، وكان الخليفة يراقب تلك الأعمال، ويحث العمال على تعجيل إتمامها، واستمر الإصلاح سنة كاملة[3].

فهذا يبين أن أهمية القناطر كانت مهمة للدولة حتى وإن تم التغافل عن إصلاحها لظروف معينة، إلا أنها بالتالي ستصلح، وبلا شك، أن إعمار تلك القناطر متأتٍ من ضرورة إبقاء هذه الخدمة في البلاد، لما لها من أهمية في النقل التجاري وغير التجاري.

كما عمدت الدولة الأندلسية إلى تعمير وبناء القناطر في الضواحي التابعة للموانئ، فعندما خربت قنطرة استجة الواقعة على نهر شنيل التابعة لميناء قرطبة أيام الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، نجد قيام الحاجب المنصور بن أبي عامر (367-392هـ/ 977-1002م) قد أعاد بناءها[4].

ثم أقام المنصور بن أبي عامر جسراً آخر في ميناء قرطبة، أو بالقرب منها، بكلفة (40.000) ألف دينار، وبدأ العمل فيه سنة (387هـ/ 997م)، وانتهى منها أواسط سنة (389هـ/ 998م)، فضلاً عن تلك القناطر هنالك قناطر أخرى تربط بين ميناء قرطبة

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 210؛ بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 284.

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 213. وينظر: بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 284.

3- فكري، أحمد، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الإسكندرية: د.ن)، ص175؛ تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 284.

4- حتامله، محمد عبده، موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، (الأردن: 1999): 1/ 60-62؛ كحيلة، عبادة عبد الرحمن رضا، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة: 1990)، ص47.

والمناطق المجاورة لها، فهنالك قنطرة على أحد الجداول المسمّى (Cantarranas) قرب الميناء، يعود بناؤه إلى عصر الخلافة[1].

كما توجد عدة قناطر ضمن إطار ميناء قرطبة، فهنالك قنطرة تربط بين الميناء وقلعة رباح، وأخرى بين الميناء ومدينة طليطلة، وشيدت تلك القناطر باستخدام كتل حجرية، وضعت بشكل تبادلي، طولياً وعرضياً، فضلاً عن كتلتين، تسيران في خط أفقي[2].

2. قنطرة شلب:

يذكر عنان[3] أن في ميناء شلب "القنطرة العربية القديمة، وهي قنطرة حجرية ذات أربعة عقود"، فهي - إذن - من القناطر المشهورة في الأندلس، وبلا شك، كانت مهمتها تقديم خدمة العبور لكل الوافدين إلى ميناء شلب والخارجين منه إلى مدن الأندلس، وبالعكس.

3. قنطرة إشبيلية:

لم تذكر كتب التاريخ قنطرة مشهورة لميناء إشبيلية إلا ما ذكر من أن الدولة كانت تعمل جسراً، من خلال ربط السفن بعضها ببعض، لعبور الناس على ضفتي النهر[4].

ولا يمكن إغفال ما كانت تؤديه وظيفة ذلك الجسر من عبور التجار والبضائع التجارية من ضفة إلى أخرى عبر الميناء.

1- بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 288.

2- بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 288.

3- الآثار الأندلسية، ص404.

4- ابن الوردي، خريدة العجائب، ص16؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص225.

وعلى الرغم من أن كتب التاريخ لا تذكر كل القناطر والجسور موانئ الأندلس كافة، فيمكن القول إن خدمة تلك الموانئ كانت ضرورية في الظروف كافة، فضلاً عن ذلك إن تلك الموانئ كانت تستخدم السفن في بعض الأوقات، ومن خلال ربط بعضها مع بعض، تستطيع البضائع والأفراد عبور ضفة الأنهر.

ولا يمكن إغفال ما كانت تقدّمه القناطر والجسور في المدن القريبة من الموانئ الأندلسية، فهي كانت تسهل للموانئ وصول البضائع والإنتاج المحلي من المدن الأندلسية الداخلية إليها، وبالعكس.

ومن أشهر تلك القناطر:

أ- قنطرة طليطلة:

ترقى أهمية قنطرة مدينة طليطلة، لكونها واصلة بين شمال بلاد الأندلس وجنوبه، وبذلك فان أغلب التجارات الداخلة والخارجة داخل هذا المحيط يمر بتلك القنطرة.

وهي من بناء القدماء، وفي نهايتها ناعور، يصعد من خلاله الماء إلى الأعلى، فيجري في المدينة[1]، ونتيجة لأهمية هذه القنطرة ولظهور بعض التمردات في المدينة، فقد عمد الأمير الحكم الأول (180-206هـ/ 796-822م) سنة (181هـ/ 797م) إلى بناء حصن بالقرب من تلك القنطرة، للسيطرة عليها، والتصدي لكل التمردات التي تمر بالقنطرة[2].

وبعد أنْ قام أهالي طليطلة، بالتمرد على الإمارة سنة (244هـ/ 858م)، قام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/ 852-886م)، بالتوجه بجيش إليها، وسيطر على القنطرة وأمر المهرة من البنّائين والمهندسين بوضع المتفجرات على

1- ابن الوردي، خريدة العجائب، ص20.

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 69؛ بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 285.

القنطرة، ثم الانسحاب، وبعد دخول المتمردين على القنطرة، قاموا بتفجيرها، فقضوا بذلك على المتمردين، ثم تم بناء تلك القنطرة، فيما بعد[1].

ويبدو أن تلك القنطرة قد تعرضت إلى الإهمال الكبير، فلم تظهر على الحالة التي كانت عليها قبل التفجير، إلى أن قام الحاجب المنصور بن أبي عامر (367-392هـ/ 977-1002م) بتعميرها بالكامل سنة (387هـ/ 997م)[2].

ب- قنطرة سرقسطة:

تأتي أهمية قنطرة مدينة سرقسطة أنها كانت بمثابة حلقة الوصل نحو أراضي الشمال، فكل التجارات والبضائع القادمة من الموانئ الأندلسية نحو الشمال تمر عبر تلك القنطرة للعبور. فهي تقع على نهر إبرة، في مدينة سرقسطة، وتعرضت إلى تهدم أجزاء منها نتيجة الأمطار والسيول، فتم ترميمها سنة (224هـ/ 838م) خلال إمارة عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م)، وكان سبب ذلك الترميم كما يذكر بلباس الحاجة إلى مرور الجيوش الإسلامية إلى الشمال[3].

كما توجد قناطر أخرى في الأندلس تربط بين مناطقها، وتسهل على العامة والتجّار المرور من خلالها، مثل القنطرة الموجود في مدينة لبلة، وقنطرة وادي الحجارة ذات الأربعة عقود على نهر هنارس، وقنطرة السيف ذات القوس الواحد[4].

كما يذكر عنان أن مدينة لاردة كانت تحتوي على قنطرة عربية[5]. وفي بعض الأوقات، كانت تتخذ من المراكب معابر لعبور النهر، من خلال ربط بعضها ببعض،

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 96؛ بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 285-286.

2- عنان، الآثار الأندلسية، ص82؛ بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 286.

3- بلباس، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 2/ 288.

4- عباسي، الملكيات الزراعية، ص878؛ عنان، الآثار الأندلسية، ص330.

5- الآثار الأندلسية، ص115-116.

كما فعل المنصور بن أبي عامر (367-392هـ/ 977-1002م)، خلال غـزوته على شـنت ياقب سنة (387هـ/ 997م)[1].

من كل ذلك، تبين مدى أهمية القناطر الأندلسية في الموانئ أولاً، والمدن الواصلة بالموانئ ثانياً، والتي لا يمكن إغفال أهميتها، في أنها قدمت خدمة، لا يمكن الاستغناء عنها في تلك المدة، والتي كان الدور الكبير في ظهور بلاد الأندلس بذلك النشاط المميز، كما أنها تعبّر عن مدى معرفة القائمين على البلاد من أمراء وخلفاء، وعملهم الدائم من أجل رقي الحضارة في البلاد.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 295.

ستة عشر: بناء المنائر:

عملت المنائر – ومنذ زمن طويل على هداية السفن والمراكب – للطرق البحرية الآمنة للإبحار، لذا؛ فقد عمد العرب المسلمون في كل البلاد التي كانت تحتاج إلى هذه الخدمة أن يقوموا ببناء المنائر، لما لها من أهمية كبيرة.

وكان لبلاد الأندلس حصة من ظهور تلك الخدمة، والحفاظ عليها خلال عصري الإمارة والخلافة، بدليل ظهورالعديد من المنائر، والتي كان من أشهرها:

1. منارة جزيرة ميورقة:

تعدّ جزيرة ميورقة من أشهر الموانئ الأندلسية، والتي ساهمت بشكل كبير في الحركة التجارية، من خلال إستقبال التجّار وتصدير البضائع، وبما أن الطريق الواصل إليها كان البحر، فقد كانت الحاجة ملحّة إلى ظهور منارة، تهتدي بها السفن والمراكب، فقد ذكر الزهري[1] أن فيها "برجاً عظيماً، على حافة البحر، يُكشف على مسافة يومين في البحر".

ومن خلال نص الزهري، نستطيع القول إن حجم ذلك المنار كان كبيراً، بحيث استوقف الذكر بأنه يـُرى من مسافة يومين من البحر. ومعلوم أنه كلما كان المنار كبيراً، كانت فائدتة للسفن أكثر.

1- الجعرافية، ص129.

2. منار قادس:

تأتي أهمية مدينة قادس أنها واقعة على الطريق الروماني القديم الذي يمر بأشبيلية، ثم إلى قرطبة، فسرقسطة، ثم إلى طركونة، إلى أربونة، ثم إلى البلاد الشمالية[1]، وظل هذا الطريق مستمراً خلال الوجود العربي الإسلامي.

وتأتي أهمية تلك المنارة كما يقول الزهري[2] نقلًا عن المسعودي "أنه إنما بُني؛ ليكون دليلاً على الطريق في البحر"، وعلى ذلك، فإن العرب المسلمين كانوا يهتدون بها عند دخولهم المحيط الأطلسي للذهاب إلى بلاد المغرب العربي، أو ميناء لشبونة[3]، أو حتى الدخـول إلى ميناء إشبيلية.

وهــو منــار، قاعدتــه مربعــة، يبلــغ ارتفاعــه (100) ذراع، وكان فــي رأســه مربــع آخــر بقــدر ثلــث القاعــدة، فــي رأســه شــكل مثلــث محــدود، لــه أربــع أوجه، علــى كل وجــه شــكل آخــر، مثلــث الشــكل مــن الرخــام، يتربّــع عليهمــا تمثــال علــى شــكل صــورة آدمــي متقــن النحــت، متوجــه نحــو الغــرب متلفتــاً نحــو الشــمال، مــاداً ذراعــه إلــى الشــمال قابضــاً أناملــه، مؤشــراً بالســبابه إلــى فــم الخليج الخارج من المحيط الأطلسي المسمّى بالزقاق[4].

وهو بذلك قد استوفى المهمة التي بُني من أجلها، وهو الدليل، أي إنه كان يقوم بمثابة الدليل البحري للسفن المارة في تلك المنطقة، وبهذه الخدمة، فهو يؤمن للسفن والمراكب التجارية الدخول في المناطق الآمنة للبحر.

1- سالم، سحر عبد العزيز، مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية: 1990)، ص36؛

Seeley, The Spanish , p.7.

2- الجعرافية، ص91.

3- الزهري، الجعرافية، ص91.

4- الزهري، الجعرافية، ص89-90.

3. منارة إشبيلية:

تعدّ من المنائر المشهورة في ذلك الوقت. بُنيت على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، وهي مربعة الشكل على نمط منائر بلاد الشام[1]، وذكرها ابن سعيد[2]، فقال "وطول مأذنة إشبيلية خمس وثلاثون قامة"، وكانت تهتدي السفن والمراكب بها في النهار، وبنورها في الليل[3].

1- THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM New Edition, H.A.R.Gibb, J.H.Kramers, E.Levi-Provencal, J.Schacht, B.Lewis, Ch.Pellat and J.Schacht, E.J.Brill, (Leiden: 1986),"AL-ANDALUS" Volume1,P.498.

2- الجغرافيا، ص148.

3- ابن سعيد، الجغرافيا، ص148؛ مصطفى، الخدمات والتسهيلات التجارية، ص82

الفصل الخامس

التسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية

اشتهرت بلاد الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/ 755-1030م) بنشاط اقتصادي متنوع ونشيط متمثل بالزراعة والصناعة والتجارة، وشكل ذلك عبئاً على الموانئ آنذاك، لأن أغلب مخرجات النشاط الاقتصادي كانت تمر عبرها، لا سيما من خلال عمليات الاستيراد والتصدير الداخلة والخارجة من البلاد، بسبب إحاطة البلاد، بالمسطحات المائية، من ثلاث جهات.

فكما بيّنّا أشهر الخدمات التجارية التي قدمت في بلاد الأندلس لاحتواء ذلك النشاط الواسع والنشيط آنذاك، فقد كان ذلك النشاط بحاجة إلى مجموعة من التسهيلات التجارية. ويمكن تفسير تلك الحاجة إلى وجود الدافع للاستجابة لظاهرة ذلك النشاط الاقتصادي الواسع في بلاد الأندلس[1]. وبسبب وجود دافع الاستجابة، تمكنت الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس برجالها، من تسخير جميع عوامل النجاح وتقديم كل السبل المتاحة لذلك، والعمل وفق النظام الاقتصاد الإسلامي

1- وهذا الأمر يطابق ما جاء في نظرية توينبي في نشوء الحضارات. ينظر: خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، لبنان، (بيروت: 1975)، ص77.

مستندين في ذلك العمل[1] على قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2].

وعملت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس على تقديم كل التسهيلات التجارية في سبيل الوصول بالبلاد إلى أرقى مكانة آنذاك، مستندين في ما عملوه على ضوابط الشريعة الإسلامية، وهو ما سنعرضه في أدناه:

أولاً: حرية التنقل:

اتخذت الدولة العربية الإسلامية في الأندلس إجراءات كفلت خلالها للتجّار حرية التنقل، من خلال بناء المحطات التجارية في الموانئ الأندلسية، فكانت إحدى مهام تلك المحطات هو استيفاء الضرائب من التجّار الوافدين إلى البلاد، ثم تزويدهم بورقة مختومة (براءة) تكفل لهم حرية التنقل في البلاد، بمجرد أن يحملوا تلك الورقة (براءة)، والتي غالباً ما يُكتب فيها: إن حاملها قد دفع ما عليه من ضرائب لقاء دخوله البلد[3]. وكانت مدة صلاحية تلك (البراءة) تتراوح بين أربعة أشهر إلى سنة[4].

ومن هذا نستطيع أن نستنتج أن بلاد الأندلس كانت قد كلّفت من يراقب أولئك التجّار وتحرّكاتهم؛ إذ مَن لا يحمل تلك الورقة لا يمكن له أن يتجول في بلاد الأندلس،

1- خليل، عماد الدين، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، لبنان، (بيروت: 2005)، ص40.

2- سورة التوبة: الآية 105.

3- عبيد، طه خضر، ضرائب التجارة في الدولة العربية الإسلامية 2-4هـ/ 8010م، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، 2000، ع27، ص147؛ جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص213. وتسميها كونستبل (أمان). ينظر: التجارة والتجّار، ص117.

4- كونستبل، التجارة والتجار، ص ص117، 292.

بل ربما يجبر على السفر خارجها. وأغلب الظن أن صاحب السوق هو مَن كان يتكفّل بتلك المراقبة؛ لأن من مهامه كانت مراقبة السوق[1].

وزوّدتنا رسائل الجنيزة معلومات مهمة في هذا المجال، فذكرت أنّ حرية التنقل لم تكفل لشخص دون آخر، بل إنها كانت للجميع، بغضّ النظر عن دينه ولونه، فوجد أنه "من العادي تماماً أن يسافر يهود الأقطار الإسلامية على مراكب، يمتلكها مواطنون من بلاد غير إسلامية مثل النورمانديين، والبيزنطيين، والجنويين، أو البيزيين"[2]، كما تذكر كونستبل أن العرب المسلمين كانوا لا يتعرضون للتجّار النصارى واليهود، ولاسيما أولئك الذين لهم علاقات طيبة مع بقية التجّار في بلاد الأندلس[3]. فهذه النصوص تعطينا انطباعاً عن أن حرية التنقل، شملت البحار واليابسة.

فضلاً عن ذلك، فقد كان للتجّار حصانة الرسل في عدم التعرض لهم، فيورد ابن عذاري[4] نصاً في غاية الأهمية، يوضح فيه أن التاجر كان لا يتعرض له، وحاله حال رسل الولاة والملوك، فذكر ان الخليفة محمد بن هشام (399-400هـ/ 1009-1010) أرسل رسولاً تاجراً إلى البربر في أرملاط لإعطائهم الأمان، فلم يردوا عليه، بل قالوا لرسوله: "لولا أنك رسول وتاجر، لقتلناك"، فهذه الرواية تدل على أنه كان للتجّار حصانة كحصانة رسل الولاة والملوك، فهو لم يقل (رسول) فقط، بل أردفها بـ(تاجر)، وهذا يؤكد أن التجّار لهم حصانة الرسل والملوك.

كما كان للوافدين من التجّار وغيرهم حقّ الزواج، ولم تفرض عليهم القيود[5].

1- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218-219؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 76.
2- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص214.
3- التجارة والتجار، ص118-119.
4- البيان المغرب: 3/ 82.
5- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص215.

كلّ ذلك يدل على أن الدولة العربية الإسلامية في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة، كان فيها من الحرية التي وفّرتها تلك الدولة للتجّار، ما سهّل عملهم، وعمل على تسهيلات نشاطهم التجاري، ولا سيما في الموانئ الأندلسية، والتي كانت تزود أولئك التجّار والوافدين بتلك الورقة (البراءة)، كونها النافذة الوحيدة للبلاد.

ثانياً: تسهيل نقل الأخشاب (التعويم):

تُعدّ الأخشاب من المواد الأولية التي تدخل في أغلب الصناعات المهمة، ولاسيما صناعة المراكب والسفن، فضلاً عن المواد المنزلية. فكانت مسألة نقل الأخشاب من المسائل التي حرص التجّار في بلاد الأندلس على تنظيمها، والعناية بها، فمن المعروف أن تلك الأخشاب كانت تُجلب من مناطق بعيدة عن مراكز الصناعة. فيتم نقل الأخشاب من مناطق تواجدها، بواسطة أشهر طريقة لنقله آنذاك، وذلك عن طريق الأنهار، وتسمّى بـ التعويم، رغم أنها طريقة شاقة، تتطلّب دقة كبيرة في عملية النقل، من خلال ربط وحزم الأخشاب مع بعضها البعض، لمسافات طويلة، ولمدة زمنية طويلة، فهي قد تتعرض إلى الموجات البحرية[1]، فضلًا عن أن هذه العملية تؤثر - بشكل كبير ومباشر - على الطواحين المائية المتواجدة على ضفاف الأنهار، فكانت الأولوية لنقل تلك الأخشاب، من خلال ما ورد عند الونشريسي[2] في مسألة نصها "وسئل سحنون عن قوم، يأتون بالخشب في الوادي، فتعرض لهم السداد. فأجاب لهم أن يجيزوها على ما أحب أهل السداد، أو كرهوا، وأن كانت الأرحى أقدم؛

1- الجبوري، سعد رمضان، الأخشاب واستخداماتها الحضارية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010، ص71.

2- المعيار المعرب: 9/ 52.

لان الوادي كالطريق، يُمرّ عليه". وفي هذا النص تصريح واضح باتخاذ وسيلة التعويم كإحدى وسائل نقل الأخشاب إلى أماكن صناعتها وبيعها.

فكان الخشب يُنقل من حصن قلصة عن طريق التعويم عبر نهر شوكر إلى جزيرة شقر، ثم إلى البحر، فيُحمل في المراكب إلى مدينة دانية باتجاه الجنوب، ويُستخدم في صناعة السفن الكبار والمراكب الصغار، وإلى بلنسية باتجاه الشمال، لاستخدامه في البناء[1].

فوفّر ذلك التسهيل للحركة التجارية الوقت والمال للتجّار، فيما لو تمّ نقل الأخشاب عبر الدوابّ مثلاً، فضلاً عن أن الدوابّ، لا تستطيع حمل الأخشاب ذوات الأحجام الكبيرة والطويلة.

ثالثاً: تسهيلات بريدية:

يعدّ البريد من أشهر وسائل الاتصال بين الأفراد في ذلك الوقت، وهو من الأمور التنظيمية التي كان العمل التجاري يتطلّبها في بلاد الأندلس، لا سيما إذا ما علمنا أن العديد من التجّار كانوا يستقرون في البلاد لأوقات متفاوتة، وكانوا بحاجة إلى وسيلة، يخبرون فيها وكلاءهم في المناطق الأخرى عن الأوضاع الاقتصادية، من أسعار وعرض وطلب.

فهل كان نظام البريد متوفراً للتجّار في بلاد الأندلس؟

لم أجد في كتب التاريخ ما يدلّ على وجود نظام بريدي، استخدمه التجّار في بلاد الأندلس، وهذا لا يعني عدم وجود هذا التنظيم الإداري، ولا سيما مع وجود المحطات التجارية التي كانت تفرض الضرائب، وتلك التي تقدم الأطعمة.

1- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق: 2/ 560.

بل نجد أن النظام البريدي كان معمولاً به في الهيكل التنظيمي للدولة، بدليل وجود ديوان البريد، والذي كان من مهامه تنظيم البريد، من استلام وإرسال الرسائل الرسمية للدولة إلى الأماكن المحددة.

إلا أن ما ذكره جواتياين[1] من خلال اطلاعه على رسائل الجنيزة أثبت - وبشكل قاطع - وجود النظام البريدي الخاص، والذي كان يستخدمه الأفراد فضلاً عن التجّار، فيذكر أنَّ حامل تلك الرسائل كان يُعرف باسم "((فيج)) (ركاص) - وهي كلمة فارسية - مستخدمة في كل شمال إفريقية... وفي حالة محددة، كانت هذه الخدمة الخاصة تتبع اختصاص البريد الحكومي - ولمّا توطّد نظام البريد، كان الأمر يحتاج إلى محطات كثيرة للراحة، ترتاح فيها الدواب، وتتغير، ولما وجدت هذه المحطات، كان الشخص المؤتمن على رسالة ما يستمر في حملها من المحطة التي بدأ منها حتى يصل إلى نهاية المطاف. وكان السعاة الخصوصيون يفعلون الشيء نفسه؛ وكان في إمكان رجل واحد أن يوصل البريد من القيروان إلى القاهرة، أو حتى من المرية بإسبانيا".

فبهذا النص، ذهب الشك بعدم وجود هذا التسهيل الذي قدّمته بلاد الأندلس للتجّار، لا سيما توفير الأفراد والمحطات التي سهّلت من عمل صاحب البريد.

ويتطلّب التساؤل الآتي: كيف كانت تصل الرسائل البريدية إلى أماكنها المحددة جواباً شافياً لإقناع القارئ أن ما ذكرناه كان دقيقاً.

لقد أسعفتنا وثائق الجنيزة في الرد على هذا التساؤل بشكل موضوعي وعلمي، كما أن وجود وثائق الجنيزة هي رد كاف لهذا السؤال بعد معرفة ماهية تلك الوثائق.

1- دراسات في التاريخ الإسلامي، ص220. وينظر:

Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.285.

تذكر وثائق الجنيزة أن التجّار في المناطق المعروفة بوجودهم كان لديهم رئيس أو عريف أو وكيل، يجمع بين مهنته كتاجر وبين منصب معنوي، مهمته الاهتمام بشؤون التجّار، وحلّ مشاكلهم، فضلاً عن أن تلك الشخصية المعنوية كانت تُختار، بعناية، فدائماً ما كانت من الشخصيات الغنية، والتي كان يُطلق عليه شاهبندر التجّار، وكان له مكان مخصص معلوم دائمي، يجلس فيه، ويُعرف بـ(دار الوكالة)[1]، فكانت الرسائل التجارية القادمة من البلدان الأخرى تأتي إلى دار الوكالة التي يجتمع فيها التجّار، وبذلك يتم إيصال الرسالة إلى الشخص المعني بها.

وجنيزة القاهرة كانت إحدى تلك الوكالات التي حفظت لنا جزءاً كبيراً، من تلك الرسائل.

وكانت الرسائل البريدية الخاصة بالتجّار المغاربة تصل مباشرة من موانئ الأندلس إلى موانئ بلاد المغرب العربي، أما الرسائل المراد إيصالها إلى ميناء الإسكندرية؛ فكان لها طريقان: **الأول**: من موانئ الأندلس مباشرة (ولا سيما من ميناء المرية) بحراً إلى ميناء الإسكندرية، **والثاني**: من موانئ الأندلس إلى موانئ بلاد المغرب، ثم ترسل براً إلى ميناء الإسكندرية[2].

ولم تكن تكلفة إيصال الرسالة بالسعر الباهظ مقارنة بالخدمة الكبيرة التي كان يقدّمها، فقد كانت الرسالة أو "الخطاب المرسل من المرية إلى الإسكندرية، يكلف درهماً ونصف"[3]، وبالطبع؛ فإن الأسعار كانت ترتفع أوقات المخاطر[4].

1- Goitein, A Mediterranean Society, V.1, p. 191.

2- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.285.

3- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص220.

4- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.288.

فضـلاً عـن أن إحدى تلـك الرسـائل توضـح أن تجّـار المغرب والإسـكندرية كان لديهـم انطبـاع بـأن ميناء المريـة يعدّ مـن الموانـئ الحديثـة والمتطـورة[1] آنذاك بالنسـبة إلـى الموانـئ الأخـرى، لمـا كان يقدّمـه مـن خدمـات وتسـهيلات تجاريـة، ولاسيما في مجال البريد.

وبهذا لا نستغرب من استقرار الكثير من التجّار الوافدين في موانئ الأندلس، وقيامهم بإرسال أنواع معينة من البضائع إلى بلدانهم، لكونهم - وبلا شك - قد قاموا بمراسلة بلدانهم، بشكل مستمر، ومن خلال تلك المراسلة، علموا ما تحتاجه البلدان من بضائع، فيقوم بالبيع والشراء في موانئ الأندلس.

رابعاً: ولاية السوق:

إن ظهور ولاية السوق يؤكد على انتشار الأسواق ووجود نشاط تجاري نشيط؛ بحيث احتاج إلى هيئة تنظيمية، تقوم بتنظيم عمل السوق، فكان وجود ولاية السوق ضرورة، أوجدتها الحالة الاقتصادية.

فتعـدّ ولاية السـوق أو ما يُعـرف بخطة الحسـبة[2] من أجَلِّ المؤسسـات الإدارية التـي كان لهـا الـدور الريادي فـي تقديم التسـهيلات التجاريـة للتجّار وغيـر التجّار؛ إذ مـن خـلال تلـك الولايـة أو الخطـة يضمـن التجّـار نوعـاً مـن الاسـتقرار فـي السـوق وتقليل الغش.

وكان على تلك الولاية شخص يُعرف بوالي السوق، وكان اختياره يتمّ على وفق مواصفات معينة، وهي كما يأتي:

1- Goitein , A Mediterranean Society , V.1, p.213.

2- خطة الحسبة هو الاسم المشهور لها في المشرق. ينظر: مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 76.

مواصفات والي السوق:

كانت ولاية السوق – على العموم – توكل إلى صاحب العلم والفطنة من أهل الأندلس[1]، فوجب على صاحبها أن يكون "رجلًا عفيفاً، خيراً، ورعاً، عالماً، غنياً، نبيلاً، عارفاً، بالأمور، محنكاً، فطناً، لا يميل، ولا يـرتشي، فتسقط هيبته، ويُستخف به، ولا يُعبأ به، ويتوبّخ معه المقدّم له، ولا يستعمل في ذلك خساس الناس، ولا مَن يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل والمهونة؛ لأنه لا يُهاب إلا مَن كان له مال وحسب"[2].

والسـبب فـي ذلـك هـو تعاملـه مـع أهـل الامـوال فلـو قـدر أن جـاءَ شـخصٌ بعكـسِ تلكَ المواصفات لاسـتغل مـن قبل بعض التجّـار من خلال تقديم الرشـاوي لـه مقابـل غـض البصـر عـن حـالاتٍ معينةٍ مـن الغـش، وهـذا بالتأكيد سـيؤثر سـلباً على السوق.

إذاً؛ مـن أهـم مواصفـات صاحـب السـوق هـي العلـم، فـلا يمكـن تكليـف الجهـال بتلـك المهمـة المميـزة، لمـا لهـا مـن أهمية فـي اقتصـاد الدولة. فضـلاً عن العفـة والـورع، فلا يجـوز تكليـف أهل الفسـاد بهـذه المهمة؛ لأنهـا مرتبطـة بالأفراد والتجّار (ذكوراً وإناثاً).

ومن مواصفات والي السوق الغنى؛ أي أن يكون صاحب مال؛ لكيلا تدنو نفسه إلى أموال أهل السوق، كما يكون نبيلاً؛ أي مصاحباً لكل طبقات المجتمع، وله معرفة بالتقاليد والأعراف العامة.

وتعدّ الحنكة والفطنة من مواصفات والي السوق؛ لأن أغلب المشاكل تكون آنية، وتحتاج إلى حكم سريع.

1- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص16.

2- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص20. وينظر: ابن عمر، أبو زكريا يحيى، أحكام السوق، تح: محمود علي مكي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، صـحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الرابع، ع1-2، 1956، ص103.

ومن باب الحفاظ على هيبة هذه المهنة أن لا يكون صاحبها من خساس الناس؛ أي يجب أن يكون محترماً، وأن لا يكون معروفاً بأكل أموال الناس بالباطل؛ أي أن يكون أمينا قوياً، لا يهاب أيّ موقف في قول الحق. فهذه أهم مواصفات والي السوق، والتي يجب أن تتوفّر في مَن يعمل في هذه المهنة.

مهام والي السوق:

لصاحب السوقِ مهام، توكل إليه. ولأجلها ظهرت هذه المهنة. ومهام والي السوق من الأهمية؛ بحيث كانت تجعل من صاحبها كأنه قاض[1]، لما أعطي له من صلاحيات في السوق، فهو:

1. يشرف على السوق[2].
2. يراقب الأسعار[3].
3. يعاقب المحتكرين والمطفّفين[4]، فكان لا يُباع لمَن عُرف عنه الاحتكار إلا قفيزاً واحداً، للحفاظ على السوق[5]، من معاملاته الباطلة والمضرّة على المجتمع.

فهو بهذه المهام ذات العناوين الصغيرة إلا أنها ثقيلة وكبيرة بجهودها، فهو يشرف على السوق، بشكل عام، وعلى كل ما يجري في السوق من معاملات، فضلاً عن مراقبة الأسعار سواء المرتفعة أم المنخفّضة، فيقوم بإعادة التوازن بين الأسعار، وحسب ما يحدده السوق، كما أنه يقوم بمنع الاحتكار ومعاقبة

1- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 76.
2- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218-219؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 76.
3- ابن بسام، نهاية الرتبة، ص18؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218-219.
4- ابن بسام، نهاية الرتبة، ص18؛ المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218-219.
5- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص42.

المحتكرين والمتجاوزين. وهذه المهام كانت بحاجة إلى جهدٍ كبير ومتواصل، ولم يختلف نظام عمل والي السوق عن نظام غيره ممّن يوكل إليه العمل بهيئة تنظيمية، فلم يكن العمل المكتبي هو نظام العمل السائد آنذاك - فهو الذي أوصل الحضارة العربية الإسلامية إلى ما وصلت إليه من رقي في بلاد الأندلس وغيرها من البلدان الإسلامية آنذاك - على الرغم من وجود الأعوان الذين ينفّذون ما يأمر به والي السوق، إلا أنه كان يخرج إلى السوق بنفسه، بمعية أعوانه، فيدقّق في أوزان أهل السوق كافة، فقد كان "يعير عليهم صنجتهم وموازينهم ومكاييلهم كلها، فمَن وجده غيّر من ذلك شيئاً، عاقبه على قدر ما يرى من جرمه... وأخرجه من السوق حتى تظهر منه التوبة والإنابة إلى الخير"[1]، ولا سيما أوزان الخبّازين، للحاجة اليومية لهذه المادة؛ وكانت له أساليبه في معرفة الغش، فهو كان في بعض الأوقات، يرسل مَن يشتري له من الحوانيت؛ ليطمئن صاحب الحانوت له، فيقوم والي السوق ببيان تلك المواد المباعة[2]، من خلال تدقيق الأوزان والأسعار في آن واحد.

ولأهمية هذه الخطة، فقد كان الأمير أو الخليفة هو مَن يعيّن والي السوق أو صاحب السوق، ولم يكن يترك صاحب هذه الخطة طويلاً في منصبه، لربما حتى تكون متمتّعة بالنشاط والحيوية الدائمة، فيذكر صاحب كتاب: أحكام السوق أن على الوالي (الأمير أم الخليفة) "أن ينظر في أسواق رعيته، ويأمر أوثق مَن يعرف ببلده أن يتعاهد السوق"[3]. بدليل أن الأمير عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م) أوعز بتعيين أحمد بن حبيب بن بهلول على ولاية السوق بدلاً عن محمد بن عبد الله الخروبي

1- ابن عمر، احكام السوق، ص103.

2- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218-219؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 76.

3- ابن عمر، ص103.

في سنة (302هـ/ 914م)[1]، وأبدله في سنة (313هـ/ 925م) بـ يحيى بن يونس؛ ليكون والياً جديداً على السوق[2].

فقدّمت ولاية السوق مهامها على أحسن ما يكون، بدليل النشاط التجاري الذي يدلّ على وجود الثقة العالية للتجّار بالأسواق، والتي جاءت من خلال ولاية السوق.

خامساً: دار السكّة:

السكّة:

هي "الحديدة التي يُطبع عليها الدينار والدرهم"[3] وتُطلق كذلك على الدينار والدرهم المضروبين[4]، وعليها سمّي مكان صناعة النقد بـ دار السكة. وتكمن أهمية هذه الدار، في أنها تصدر العملات النقدية التي يمكن بواسطتها التعامل التجاري، بسبب التطور الكبير الذي جرى على نوع التعامل التجاري في البيع والشراء؛ بحيث اعتمد على وجود هذه الدار التي تقوم بسكّ النقود ضمن مواصفاتٍ معينة ومحددة، من معادن نفيسة، كالذهب والفضة والنحاس، بعد أن كان التعامل التجاري يعتمد على نظام المقايضة في البيع والشراء[5]، فاختزل وجود هذه الدار نظام المقايضة إلى أبعد حد.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 166-167.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 191.
3- الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، (الجمهورية العربية المتحدة: 1958)، مج6، ع 102، ص109. وينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (القاهرة: 1960)، ص155.
4- ابن منظور، لسان العرب: 7/ 219؛ محمد، عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، دار القلم، (القاهرة: 1964)، ص8.
5- عن تاريخ النقود ينظر: الكرملي، الأب انستاس ماري البغدادي، النقود العربية وعلم النميات، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، (لبنان: 1989) ص87-95.

سكّ النقود في بلاد الأندلس:

لقد استخدم العرب المسلمون الأوائل في بلاد الأندلس مع بداية دخولهم العملة الرومانية أو القوطية (الصولدي الروماني)، ثم سكّت العملة، ونقش على أحد وجهيها عبارة (لا إله إلا الله أحد لا شريك له)[1] وتطور الأمر بعد ذلك تدريجياً. ويبدو أنهم لم يستغرقوا زمناً طويلاً حتى بدؤوا بسكّ النقود في بلاد الأندلس، لا سيما مع دخولهم للبلاد، فكانت أول عملية سك للنقود في سنة (92هـ/ 710م)، فوُجدت أنماط من تلك النقود بأوزان مختلفة خلال تلك المدة، فنقود سنة (93هـ/ 712م) كانت 3.90 و3.05 غرام ونقود سنة (94هـ/ 713م) كانت 4.10 و4.27 غرام[2]، وهذا يعطينا تصوراً عن مدى الاهتمام بوزن السكة المقارب للوزن الشرعي. وكانت تُضرب ضمن مواصفات معينة، تظهر في أدناه:[3]

الظهر

في الوسط: ضرب سنة اثنتين وتسعين

الوجه

في الوسط: لا إله إلا الله وحده

ثم استمرت الحال على عهد الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة (98هـ/ 716م)، الذي سكّ النقود، فحملت تلك اسم الأندلس[4]، ويبدو أن تلك

1- محمود، المسلمون في الأندلس، ص233.
2- الجليلي، محمود، المكاييل والأوزان والنقود العربية، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 2005)، ص227.
3- رحاحلة، إبراهيم القاسم، النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين 132هـ: 365هـ/ 749م: 975م، مكتبة مدبولي، (القاهرة: 1999)، ص105.
4- دفتر، ناهض عبد الرزاق، المسكوكات، مطابع دار السياسة، (الكويت: د.ن)، ص115.

المسكوكات لم تكن تكفي للتداول، فظلت العملة البيزنطية المصنّعة في بلاد الأندلس، تتداول إلى أن عُرّبت سنة (102هـ/ 720م) على هذا الشكل[1]:

الطوق	الوجه
ضرب هذا الدينر بالأندلس سنة اثنتين ومية	بسم الله الرحمن الرحيم

الظهر

لا إله إلا الله وحده

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق

ثم تطورت رسوم العملة؛ لتأخذ طابعاً استقلالياً، فسكّت دراهم عربية إسلامية سنة (104هـ/ 722م) ضمن مواصفات معينة[2]، فحملت هذا الرسم[3].

الوجه





الظهر

1- دفتر، المسكوكات، ص115.

2- دفتر، المسكوكات، ص81.

3- دفتر، المسكوكات، ص115-116.

من كل ما سبق يمكن القول إن الفاتحين حاولوا جهدهم إيجاد عملة مستقلة عن عملة البلاد الأصلية، لذا؛ فقد اعتمدوا كثيراً على ما كان موجوداً من دور للضرب، فاستخدموها بعد أن غيّروا في الرموز والأشكال، والتي كانت - بلا شك - ترمز إلى الدولة الرومانية السابقة لهم. وهذا الأمر كان له أهداف عدة، فضلاً عن الأهداف الاقتصادية، وأهمها:

1. فكّ الارتباط مع العملة الرومانية والعملات الأخرى.
2. أسلمة العملة، من خلال صنع عملة إسلامية.
3. وهذا الأمر يضفي واقعاً استقلالياً للدول الظاهرة حديثاً.

النقد خلال عصر الإمارة:

يبدو أن الدولة خلال عصر الإمارة لم تكن تملك الإمكانيات اللازمة لإنشاء دار مستقلة لظروف معينة، بل ظلَّ اعتمادها على دور الضرب القديمة، ولأنها شعرت بأهمية النقد، وما يوفره من تسهيلات كبيرة للدولة أولاً، وللتجارة ثانياً، كما أنه يعطي استقلالية للدولة، فقد عملت على الاستمرار بسكّ النقود، فيذكر أن الأمير عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/ 756-788م) قد سكّ النقود في مدينة قرطبة[1]. والشكل التالي يوضح درهماً، من زمن الأمير عبد الرحمن الداخل[2]:

1- الهاشمي، الخلافة الأندلسية، ص196؛ مصطفى، خزعل ياسين، الأوضاع المالية للأندلس من خلال كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي (469هـ/ 1076م)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2010، ع57، ص265.

2- هيئة متاحف قطر، المسكوكات الإسلامية، إشراف: إبراهيم جابر الجابر، إعداد: أحمد حمد الموسى وسلوى مقرن النعيمي، (قطر: 2006)، ص35،

Goitein , A Mediterranean Society , V.1, p.38.



ثم استمر الاهتمام بالسكة والحفاظ على وجودها في مدينة قرطبة، فعمل الأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م) على مواصلة سكّها؛ لأهميتها، فيذكر ابن عذاري[1] ذلك بقوله "واتخذ السكة بقرطبة".

ولـ بروفنسال رأي آخر في مجال ظهور العملة في الأندلس، فيذكر أن الدولة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس لم يكن لها عملة نقدية خاصة بها منذ الفتح إلى نهاية عهد الأمير الحكم الأول (180-206هـ/ 796-822م)، وإنهم كانوا يتعاملون إما بقطع قوطية، أو بعملات ذهبية وفضية مجلوبة بكميات قليلة عن طريق التجّار والمسافرين القادمين من إفريقيا أو بلاد المشرق، وترتّب على ذلك ندرة النقد في الأندلس، ممّا حدا بالأمير عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-852م) إلى العمل بنصيحة رجل، يُدعى الحارث بن أبي شبل، بسكّ عملة نقدية في مدينة قرطبة[2].

وهذا القول فيه الكثير من المغالطات والشُبَه، فكل الدلائل تشير إلى وجود عملة عربية إسلامية في بلاد الأندلس منذ السنوات الأولى لفتحها، وخير دليل على

1- البيان المغرب: 2/ 91. وينظر: بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 51.

2- تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 51.

ذلك هو علم النميات، وما أشرنا إليه سابقاً من صورة لعملة، سُكّت خلال إمارة عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/ 756-788م).

على الرغم من ذلك، لا يُنكر أنهم لم يكونوا يتعاملون مع السكّة القوطية، لكنهم مع السنوات الأولى لدخولهم البلاد، أوجدوا عملة مستقلة، ورغم اقتصارهم على الدرهم فقط إلا أنه كان يشكّل انعطافة جديدة في البلاد.

وممّا يناقض قول بروفنسال[1] ادّعائه أنه تم "العثور على مجموعات من العملات الذهبية والفضية التي يعود تاريخ سكّها لعصر حكام إسبانيا الأول". فهو - بذلك - يدحض قوله إنه لم يكن لها عملة نقدية خاصة بها منذ الفتح إلى نهاية عهد الأمير الحكم الأول (180-206هـ/ 796-822م).

فخلاصة القول إن الدولة الأندلسية عصر الإمارة كانت تسكّ النقود، ومنذ بداية تكوينها، وكان هذا السكّ يقع على نمطين:

الأول: أن ما كان يُسكّ هو الدرهم فقط، و**الثاني**: هو الاعتماد على دور السكّ القديمة، ولم تكن منظّمة، بشكل، يعطيها تلك القوة النقدية التي حصلت عليها لاحقاً، لا سيما بعد أن نظمت، وكان لها مشرفون.

وهنالك إشارة تذكر أن السكّة قد توقّفت عن الضرب وإصدار النقد خلال عصر الإمارة. فقد ذكر ابن حيان نقلاً عن الرازي أن ضرب النقد كان معطّلاً[2].

وأن التعامل خلال مدة التوقف يعتمد - بشكل كبير - على الدراهم المسمّاة (الدراهم القاسمية)[3].

1- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 51.

2- المقتبس، تح: شالميتا، ص243.

3- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص59؛ فكري، قرطبة، ص256. وكانت تلك الدراهم على درجة عالية من الرواج؛ إذ كانت تتداول في إسبانيا المسيحية. ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، هامش ص59. وهذا يدل على أن ضرب النقد إلى ذلك الوقت، لم يكن مقتصراً على الدولة.

إلى أن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م) سنة (316هـ/ 928م)، بإنشاء دار للسكة، في مدينة قرطبة، لضربِ الدنانيرِ والدراهم، من خالصِ الذهبِ والفضة[1].

النقد خلال عصر الخلافة:

اختلفت سياسة الدولة النقدية خلال عصر الخلافة عما كانت عليه خلال عصر الإمارة بدليل قيام الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م) سنة (316هـ/ 928م)، بإنشاء دار للسكة، في مدينة قرطبة، لضربِ الدنانير والدراهم، من خالص الذهب والفضة[2]، بعد أن كانت الدولة تعتمد على دور الضرب القديمة، وقاموا بضرب النقود (الدراهم الفضية) فيها بعد إجراء تعديل بسيط على الشكل العام للنقد المضروب؛ إذ كان يُضرب ويُسكّ وفق مفهوم وفلسفة الدولة التي كانت تحكم تلك البلاد آنذاك، فضلاً عن استخدام العملة المشرقية في التعاملات التجارية[3]، واستمروا يعتمدون على تلك الدور إلى زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م)[4]؛ إذ ضُربت الدنانير والدراهم.

وبذلك لم تظهر عملية سكّ النقود في بلاد الأندلس بشكل بارز وواضح ومستقل وكبير إلا زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/ 912-961م)، الذي استثمر وجود دار السكّة في قرطبة، والتي كانت تصدر النقد الفضي لمدة محدودة، وتوقفت

1- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص242؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 198.

2- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص242؛ ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 198.

3- الجنحاني، الحبيب، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، (بيروت: 1986)، ص177.

4- الطيبي، أمين، النقود العربية وانتشارها وأثرها في أوربا في القرون الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1981، العدد التاسع عشر، ص208.

حسب رواية ابن حيان[1]، فجددها[2]، ولم يكن ذلك بالأمر السهل، والذي ربما يوضح لنا لماذا لم نشاهد دار للسكّة بشكل واضح وصريح قبل هذه المدة؟

فمعلوم أن الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م)، جدّد دار الضرب[3] سنة (316هـ/ 928م) و"فيها أمر الناصر، بإقامة دار السكّة داخل مدينة قرطبة، لضرب الدنانير والدراهم؛ وولى الخطة أحمد بن موسى بن حدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة، بقيت من شهر رمضان؛ وأقام الضرب فيها من هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة؛ وصحّح في ذلك أحمد بن موسى وتحفّظ. وكانت مثاقيله ودراهمه عياراً محضاً"[4]؛ إذ كان معدل وزن الدرهم تلك المدة 2,7033 غرام[5]، ثم وجعل عليها أحمد بن محمد بن حدير، الذي احترس من أهل الغش؛ أي إنه كان منتبهاً عليهم؛ لكي لا يقع في الغش. وهي الإشارة الأولى التي تذكر شخصاً يتولى خطة دار الضرب، ويبدو أن هذه هي نقطة التحول الكبير الذي اتّسمت عنه هذه المرحلة عن سابقتها.

والشكل التالي يبيّن صورة من درهم أموي، ضُرب أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/ 912-961م)[6]:



1- المقتبس، تح: شالميتا، ص243.
2- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 52.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص242.
4- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 198.
5- الجليلي، المكاييل والأوزان، ص242.
6- هيئة متاحف قطر، المسكوكات الإسلامية، ص9.

فضـلاً عـن ذلـك، نجـد أن دار السـكة لـم تسـتقرّ على شـخصية واحـدة لمدة طويلـة، فنجـد أن الخليفـة عبد الرحمـن الناصـر (300-350هــ/ 912-961م) عزل أحمـد بن محمـد بن حدير، وجعـل مكانه يحيى بن يونس سـنة (320هــ/ 941م)[1]، ثـم عزلـه بعـد سـنة واحـدة فقـط، وكلّـف مكانـه محمـد بـن فطيـس سـنة (321هـ/ 942م)[2]، فعزلـهُ بعـد سـنة واحـدة أيضـاً، وكلّف سـعيد بن جسـاس علـى ولاية السـكّة سـنة (322هــ/ 943م)[3]، فاسـتمر خمس سـنوات عليهـا، وعزل سـنة (327هـ/ 938م)، وجيء بأخيه عبد الله بن جسـاس على رأس ولاية السـكة[4]، ثـم أعـاد الخليفـة سـعيداً، "فخان أمانتـه، واستغشـه، وامتحن عياره، فكشـف غشّـه، فسخط عليه، وسجنه"[5].

ولأهمية دار الضرب، فقد جعل عليها سنة (329هـ/ 940م) ابنه الاكبر وولي عهده "فأحسن النظر"[6] فيها. ثم تولى السكّة بعده قاسم بن خالد، فتميّز عياره بالضبط، إلا أنه قتل سنة (332هـ/ 943م)، فكلف الخليفة على السكّة عبد الرحمن بن يحيى الأصم، ثم عزله، ووضع عليها محمد بن أحمد بن حدير، ثم عزله، وجعل عليها عبد الله بن محمد[7]، فعزله في سنة (336هـ/ 947م) لتقصير في عمله، ثم أمر الخليفة بسجنه، وولى عليها، عبد الرحمن بن يحيى بن إدريس الأصم، ونقل دار السكّة، من مدينة قرطبة، إلى مدينة الزهراء[8].

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 208.
2- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص330.
3- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص354.
4- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص243.
5- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص243.
6- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص469-470.
7- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص243-244.
8- ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ص244؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، مج2: 1/ 52.

واستمر العمل في تلك الدار، فقد عُثر على درهم أندلسي في إحدى الحفريات في إنكلترا، يعود تاريخ ضربه إلى سنة (390هـ/ 999م)؛ أي في خلافة هشام الثاني (366-399هـ/ 977-1009م)[1] الذي اهتم بوزن النقد، فرفعه، فأصبح معدل وزن الدرهم 3.3917[2]. وهذا ما يؤكد القول بالاستمرار بالعمل في تلك الدار.

وبعد تدهور نفوذ الأمويين وسطوتهم آنذاك، ظهرت الدنانير العامرية أيام الدولة العامرية، وكانت إحدى وسائل التداول النقدي آنذاك[3]. وكانت تلك النقود على الأغلب تحمل أسماء اصحاب النفوذ آنذاك، فعلى الرغم من أن الخليفة المهدي قد سكّ النقود بين سنتي (399-400هـ/ 1009-1010م)، إلا أننا نجد اسم القاضي جهور على أحد النقود المضروبة سنة (399هـ/ 1009م)، واسم محمد بن مسلمة سنة (400هـ/ 1010م)، كما وُجدت نقود، يعود سكّها إلى الخليفة المستعين (400هـ/ 1010م) في عهد حكمه الأول والثاني[4].

كما ضرب الحموديون السكّة بنفس الطراز الأموي مع إضافة اسم ولي العهد إلى جانب اسم الخليفة لضمان الاستقرار السياسي آنذاك، والذي امتاز بالصراعات الحميمة، كما وجدت بعض النقود المضروبة بين سنتي (403-405هـ/ 1012-1014م) تحمل اسم الخليفة المستعين ومعه اسم علي، وفي بعض الاحيان اسم علي بن حمود، ووجدت قطع أخرى تعود إلى سنة (405هـ/ 1014م) تحمل اسم الخليفة هشام المؤيد واسم ولي العهد، أما النقود المضروبة باسم الخليفة القاسم بن حمود؛ فهي مضطربة من ناحية تاريخها

1- الطيبي، النقود العربية وانتشارها، ص208.
2- الجليلي، المكاييل والأوزان، ص242.
3- المراكشي، المعجب، ص84.
4- الدباغ، عبد الوهاب خليل عبد الرحمن، الأندلس بين (399-433هـ/ 1009-1031)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1996، ص142.

وأماكـن ضربهـا، والنقود المضروبـة في عهد الخليفـة يحيى بن علي اتسـمت بالقلة، ومكان ضربها في مدينة مالقة[1].

أما في خلافة المستكفي؛ فهنالك درهـم، يحمل اسم بـدر، يعود إلى سنة (414هـ/ 1023م) وبعض كسور الدينار يحمل الاسـم نفسه يعود إلى سنة (415هـ/ 1025م)؛ وفي مدة خلافة هشام المعتد، فقد وُجدت قطع نقدية، تحمل اسم ذكوان (قاضي الجماعة ت413هـ)؛ أما بقية المدن الأندلسية؛ فقد كانت تُضرب النقود باسم الخليفة هشام المؤيد، مقرونة باسم حاكم المدينة[2].

ممّا سبق، تؤكد النقود المضروبة أن الأوضاع السياسية قد أثرت تاثيراً كبيراً على ضرب النقود في بلاد الأندلس، وذلك جاء وبلا شك من الإمكانيات الكبيرة التي كانت تحتاجها دور الضرب آنذاك.

ولأهميـة دار السـكة، فقـد جعلـت الدولـة عليهـا الأقفـال المحكمـة علـى أبوابهـا والأبـواب الخاصـة التـي تضـم الميـزان والودائـع[3]، فضـلًا عـن توفيـر حـارس خـاص بـدار السـكة، ويكـون مـكان تواجـده فـي أعلـى مـكان مـن الـدار، للإشـراف عليهـا ليـلاً مـن كافـة جهاتهـا، عـلاوة علـى وجـود الحـراس نهـاراً عنـد أبوابهـا، لضمـان عـدم دخـول اللصـوص إليهـا[4]. للاطـلاع علـى الميـزان، يُنظـر الشكل رقم (24).

وكانت أكثر موارد الدار من الذهب، لا سيما تلك التي كانت تأتي من بلاد السودان[5].

1- الدباغ، الأندلس، ص142.
2- الدباغ، الأندلس، ص143.
3- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص125.
4- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص126.
5- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص91.

إلا أن ما يميز النقود الأندلسية أنها كانت تُعامل باحترام، ففي المغرب مثلاً، نجد "أن جميع الأسعار قد وضعت بقيمتها"[1]؛ أي بقيمة النقد الأندلسي الدرهم الفضي كان أم الدينار الذهبي.

ولمعرفة طبيعة العمل في دار السكة لا بد لنا من الاطلاع على صفات ناظر السكة وطبيعة صناعة السكة والعمال وطبيعة أدوات العمل فيها.

1. مواصفات صاحب السكة:

لما كان معدنا الذهب والفضة هما مصدر صناعة النقد، فضلاً عن بعض المعادن الأخرى كالنحاس والقصدير، هذا الأمر حتّم على ولاة الأمور (أمراء أم خلفاء) أن يعتنوا جيداً بصفات مَن يتولى النظر في الإشراف على دار السكّة.

فيجب أن يكون أميناً، فضلاً عن العلم بهذه الصنعة لمعرفة المعدن الجيد من الرديء؛ لأنه إذا كان عليها "ليس من أهلها...، لا سيما مع إهمال دقائقها والإغفال عن وجوه البحث في حقائقها، عادت بالخسران وعدم الرجحان، وتعطل فايدها، وقل عايدها"[2].

ودائماً ما كان لدى ناظر السكة شخصان (شاهدا عدل)، يكونان معه في كل مراحل صناعة النقد، ابتداءً من مراقبة القوالب، إلى عملية الصبّ[3]؛ ليتخلص مما قد يقع عليه من شبهات، ربما ترده من الخصماء.

2. صناعة السكة:

لا شك أن صناعة السكة لم تكن بالسهولة التي يجد فيها الفرد النقد بين يديه، فقد كانت تلك الصناعة ملتزمة بضوابط مشددة للغاية، لغرض منع ظهور عملات

1- كونستبل، التجارة والتجّار، ص78.
2- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص112-113.
3- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص113-114.

مشابهة أقل وزناً، فضلاً عن ضبط وزن تلك العملات، وهي - بالضرورة - تعطي النقد المضروب قوة وضمانة وسمعة عالمية، ومن تلك الضوابط:

أ- اختيار المهرة للصنعة: إن كل مهنة تحتاج إلى صنّاع، يديرونها، ويقومون بالعمل فيها، وصناعة السكة إحدى تلك المهن التي كان لها رجالها، ومراتب عمل لكل واحد منهم، فيقسم العمل التنظيمي لصناعة السكة على ثلاث مراتب:

- **المعلم:** هي المرتبة الأسمى في جميع الصناعات، ويسمّى بالسّكّاك[1] وما يجب عليه آنذاك أن لا يُدخل معه أجنبياً داخل العمل، وكان له الدور الكبير في صناعة النقد، فكان عندما يأخذ المعدن لغرض سكّه، لا يكون ذلك إلا بحضور شاهدين، يوافق عليهما دافع المعدن، فيكتبان كل ما جرى بينهما من اتفاق، من تحديد الأجرة، ونوع ما يُصنع له من المعدن، من دينار، أو درهم، أو قراريط، ومتى ينتهي العمل، ويكون عمل المعلمين أمام أنظار ناظر السكة[2].

- **العمّال**[3]: بناءً على ما سبق، فإن العمّال هم مساعدو المعلم، وهم - فقط - مَن يدخلون دار السكة.

- **المتعلّمون**[4]: هم الأفراد الذين يرغبون في تعلّم المهنة، وبلا شك، فإن الدولة كانت تصرف مرتبات خاصة لهم، وكان اختيارهم يتمّ بدقة، لغرض ضمان استمرارية العمل، في دور الضرب.

ب- إعداد قوالب السّكّ: بعد ذلك، على المعلّم (السّكّاك) مهام كبيرة ودقيقة للخروج بالنقد إلى أدق ما يكون، وهي إعداد قوالب السّكّ المضبوطة.

1- هوبكنز، ج. ف. ب، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، (تونس: 1980)، ص178.

2- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص117.

3- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص117.

4- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص117-118.

يبدو أن دور الضرب التي كانت تُستحدث؛ استخدمت نماذج نقدية لدور سكّ قديمة ومتنوعة، فتجلب منها نماذج نقدية، تمتاز وتشتهر بدقة الوزن، كاليعقوبي والحسوني والحفصي والسبتي والمردنشي[1]، ويتمّ أخد معدل تلك الأوزان للوزن الجديد المراد سكّه، ويصنع على هيئتها قوالب جديدة للسك مستقلة بالرسم على السكة القديمة، ويكون هذا الإعداد سرياً، لكيلا تكون معلومة من قبل أهل الغش، وخاصة اليهود الذين كانوا يصنعون النقد، ويغشّونه بالاعتماد على القوالب المصنعة من قبل دار السكّة[2]. علماً أن وزن الدرهم الشرعي قد حدّد - بعد أن ظهر هنالك تفاوت كبير في وزن الدراهم، وبحسب منطقة سكّه - بـ ستة دوانيق، ووزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل لتسهيل تقدير الزكاة[3].

إلا أن ذلك لم يثنِ أن يكون الدرهم الأندلسي يختلف عن الدراهم الأخرى، فهو كان "درهم وأربعة أعشار الدرهم" [4].

1- ذكرت أسماء النقود للتوضيح؛ إذ إن أغلبها قد صُكّ في مدد لاحقة، من مدة البحث.

2- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص121؛ المقّريزي، تقي الدين أحمد بن عبد القادر، النقود الإسلامية، مطبعة الجوائب، (قسطنطينية: 1298هـ)، ص3.

3- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص153؛ أبو يعلى، محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (القاهرة: 1966)، ص174؛ الحنفي، عبد الرحمن بن حنيف الدين المرشدي العمري، رسالة في معرفة القيراط والدينار والدرهم والدانق، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم 2173، ورقة (3)؛ الذهبي، مصطفى بن حنفي بن حسن، تحرير الدرهم والمثقال والرطل، مخطوط محفوظ في مخطوطات الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية، تحت رقم 319535، ورقة (2).

4- السبتي، أبو العباس أحمد العزفي، إثبات ما ليس منه بد لمَن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تخريج ودراسة: محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، (الإمارات العربية المتحدة: 1996)، ص85-86.

والجدول التالي يوضح أوزان الدراهم التي كانت منتشرة خلال السنوات الأولى للدولة العربية الإسلامية، حسبما ذكرها الماوردي[1]:

نوع الدرهم	وزنه
الدرهم البغلي	**ثمانية دوانيق**
الدرهم الطبري	**أربعة دوانيق**
الدرهم المغربي	**ثلاثة دوانيق**
الدرهم اليمني	**دانق واحد**

جـ- إعداد ميزان خاص بدار السّكّة:

ومن الأهمية بمكان تحديد قيمة العملة وحسب الضوابط المعروفة بين صاحب السكة وصاحب المعدن، فينبغي توفير موازين عادلة لضبط الأوزان والمعايير بشروطها المتعارف عليها في الأسواق، وهي:

- الاستقامة: وهو أن تكون قصبة الميزان مستقيمة، لا اعوجاج فيها، وأن يكون ثقب المسمار فيها أسفل اللسان، لا في القصبة نفسها، لتحقيق عدم رجحان كفة على أخرى[2].
- أن يربط الميزان بـ"علاقة قوية، تتعلق عند الوزن في قايم [يثبت] بالقافة بالحجارة، وهو عمود من خشب، قد أُخرج منه علو، يُعلَّق فيه الميزان" [3].

1- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص153. وينظر: ابن سلام، الأموال، ص522؛ باعلوي، حسن بن عبد الرحمن، (مخطوط) توضيح البيان في معيار الميزان، مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم 576/ م، ورقة (1).

2- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص123.

3- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص124.

- أن تكون كفّتا الميزان نصفي كرة غير مبسوطتين، مصنوعتين من الحرير الخز، على أن تكون كلا الكفتين متوازنتين بالوزن[1]. يُنظر الشكل رقم(24).
- الاهتمام بالصنج، وضرورة عدم وجود الفراغ داخله، فضلاً عن وجود نسخه أخرى من الصنج، للمطابقة بينهما عند الحاجة[2].

من كل تلك المعلومات، أردنا الوصول إلى الفكرة المهمة، وهي أن سكَّ النقود في بلاد الأندلس لم يكن بتلك السهولة، فالأمراء والخلفاء عملوا جاهدين على توفير عملة مستقلة بالبلاد، للتخلص من الأزمات التي ربما يفرضها العدو، فضلاً عن توفير هذا النقد للناس وللتجّار بسهولة، وتكون الدولة مكتملة السيادة وكسب ثقة التجّار عن طريق رصانة العملة، من حيث المعايير والأوزان.

يُنظر الشكل رقم (25)، وفيه لوحة لصناعة المسكوكات في القرن الثامن عشر الميلادي، نستطيع – من خلاله – التقرب إلى كيفية صناعة السكة قبل ذلك، بعدة قرون، والتي – بلا شك – تطورت، ووصلت إلى ما هي عليه آنذاك.

1- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص124.

2- الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص124.

سادساً: الصكوك:

يعدّ الصكّ أحد التسهيلات التجارية التي ظهرت واعتُمدت من قبل التجّار عامة، وتجّار بلاد الأندلس خاصة، فمعلوم أن نقل الأموال من بلد إلى آخر معرّض إلى أخطار السفر، كالسرقة من قبل قطّاع الطرق، أو غرق السفينة، أو ضياع المال. ومن هنا؛ كانت الحاجة إلى نظام مالي، تتقلّص فيه مخاطر نقل الأموال، إلى أبعد حد، فكان الصكّ ضماناً لتلكَ الأموال.

ما المقصود بـ الصك؟

يُعرفه الجوهري[1] بأنه "كتاب، وهو فارسي معرّب، والجمع أصك وصكاك وصكوك". ويذكر ابن فارس[2] أن "الصاد والكاف يدلّ على تلاقي شيئين، بقوة وشدة".

وذهب النووي[3] إلى تعريف الصك، بقوله: إنه "الورقة المكتوبة بدين، ويُجمع – أيضاً – على صكوك، والمراد هنا الورقة التى تخرج من ولي الأمر بالرزق، لمستحقه، بأن يكتب فيها للإنسان كذا وكذا من طعام أو غيره، فيبيع صاحبها ذلك لإنسان قبل أن يقبضه".

كما يُعـرّفه ابن منظور[4] بأنه "الذي يُكتب للعهدة، معرّب، أصله جَكَّ، ويجمع صِكَاكاً وصُكوكاً"، وكانت الأرزاق والرواتب تسمّى صكاكاً؛ لأنها توزّع مكتوبة[5].

1- الصحاح: 5/ 282.
2- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت: 1972): 3/ 276.
3- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط2، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: 1392هـ): 10/ 171.
4- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ط6، دار صادر، لبنان، (بيروت: 2008): 8/ 263.
5- ابن منظور، لسان العرب: 8/ 263.

ويذكر الفيومي[1] أن الأرزاق كانت "تُكتب (صكاكاً)، فتخرج مكتوبة، فتُباع، فنُهي عن شراء (الصكاك) ".

ويُعرّفه الدوري بأنه: وسيلة من وسائل الائتمان، وهو تحرير خطيّ، بدفع مقدار من المال، إلى الشخص المسمّى فيه، وهي كلمة فارسية معرّبة، والأصل (جك)، ولا يزال أثرها حتى عصرنا الحاضر في كلمة (Chèque)[2].

وبناءً على ما تقدم، فإن الصكوك نوعان:

1. أنه يدل على كونه نظام، يتم من خلاله دفع رواتب الجند[3].
2. وسيله لدفع أموال مستحقة لشخص ما[4].

صيغة الصك:

اعتمدت الدقة البالغة والمفرطة في تحرير الصكوك لضمان عدم التلاعب، بمقدار ما مكتوب فيها من النقود، من خلال اعتماد بعض الطرق لضمان عدم الغشّ منها:

1. كتابة نوع الأموال المحررة عينية كانت أم نقدية[5].
2. كتابة مقدار المبلغ واجب الدفع رقماً وكتابة[6].
3. كتابة المبلغ كاملاً مع إضافة صيغة نصفه؛ أي نصف المبلغ كذا[7].

1- المصباح المنير، ص345.
2- تاريخ العراق الاقتصادي، ص198.
3- التكريتي، بهجت كامل عبد اللطيف، الصك واستخدامه في الدولة العربية الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002، ع63، ص2.
4- التكريتي، الصك واستخدامه، ص2.
5- التكريتي، الصك واستخدامه، ص3.
6- التكريتي، الصك واستخدامه، ص3.
7- التكريتي، الصك واستخدامه، ص3.

4. ذكر موعد صرف الصك محدداً بالشهر والسنة، وكيفية الصرف على شكل دفعات أم دفعة واحدة[1].
5. كتابة تاريخ إصدار الصك، وختمه. وكانت الصكوك الحكومية تُختم بخاتم الخلافة الخاص[2].
6. ضرورة وجود الشهود[3].

استخدام الصكوك:

استخدمت الصكوك بشكل واسع في بلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة، وأكثر ما كان يُستخدم من الصكوك هي صكوك الرواتب والأرزاق، لكن ذلك لا يعني عدم وجود وتداول الصكوك ذات الجانب التجاري بين التجّار والصيارفة، لكنني لم أجد أي نص في كتب التاريخ يدلّ على ذلك، لكن تلك الصكوك كانت معروفة التداول بعد أن توصّل التجّار في معاملاتهم إلى استخدام الصكوك، خاصة في المدن التجارية الكبرى، فكان التاجر يدفع ما معه من أموال إلى الصراف، ويأخذ منه صكاً، ثم يشتري كل ما يلزمه من البضائع، ويُحوّل الثمن على الصرّاف، فلا يستخدم التاجر غير صكّ الصرّاف[4].

فهذه كانت إحدى الصيغ التي اتُّبعت في التعامل بين التجّار، وبلا شك، إنها كانت متداولة في بلاد الأندلس.

1- التكريتي، الصك واستخدامه، ص3.

2- الأسيوطي، شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، ط2، المطبعة المحمدية، (القاهرة: 1955): 1/ 49؛ التكريتي، الصك واستخدامه، ص3-4.

3- الجبوري، بسمان نوري كوان، العلاقات الاقتصادية بين المشرق والخلافة العباسية في العصر العباسي الأول (132-247هـ/ 749-864م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، 2004، ص168.

4- المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، ص154-155.

أما صكوك الرواتب والأرزاق؛ فهي كثيرة ومشهورة في بلاد الأندلس، فيذكر ابن عذاري[1] أن الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ852-886م) قد استخدم الصكوك، بشكل واسع، وكان يدقّق على أهل خزائنه، من خلال النص الآتي: "وإذا أخل أحد من خزّانه وأهل خدمة الحساب بشيء، من ذلك، لم يجز عليه بأدنى لحظة، أو نظرة. ولقد استدرك على بعض خزّانه في صكّ يشتمل على مائة ألف دينار خُمُس درهم؛ فردّ الصكّ، وأمر بتصحيحه".

فهذا النص يبيّن أن ولاة الأمور كانوا يشرفون بشكل مباشر على صرف الصكوك، وتدقيقها، فضلاً عن المبالغ الكبيرة التي كانت تُصرف، من خلال الصكّ الواحد. كما أن تلك الصكوك - وبلا شك - كانت صكوك صرف الأرزاق والرواتب للجند وغيرهم من موظفي الدولة.

واستمر العمل بالصكوك في الدولة العامرية، ففي عهد الحاجب عبد الرحمن بن أبي عامر (شنجول) (398-399هـ/ 1007-1009م) أنه كتب صكوكاً لرؤساء الجند وأهل الخدمة[2]، ووصل عدد تلك الصكوك "إلى خمسة آلاف صك وزيادة حتى لقد عدم الرق جملة، واستعملت اجناس الأأدم بدلاً من الصحف"[3].

كما يبيّن لنا النص المذكور آنفاً حجم التداول الكبير الذي كان عليه استخدام الصك، والذي بلا شك عمل على تسهيل الحركة الاقتصادية، بشكل عام، والتجارة، بشكل خاص، في البلاد، وهذا - بدوره - سيعطي للسوق مجالات وفضاءات واسعة نحو الاستيراد والتصدير، ممّا يشكّل حركة كبيرة عبر الموانئ الأندلسية، فضلاً عن ثقة التجّار بالاقتصاد الأندلسي ومتانة وقوة الصكوك والعملة، لذلك أصبحت الصكوك من المواثيق المعمول بها في الأسواق الأندلسية.

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 107.
2- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 49.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 69.

وكانت الصكوك - بشكل عام - تُباع بمواد عينية، كالثياب، أو غيرها[1]. أما من أين كانت تؤخذ أموال الصكوك؟ فيبدو أن الدولة كانت تتعامل مع مكاتب معروفة لديها لصرف تلك الصكوك، فقد كان لليهود دورٌ كبيرٌ ونشاطٌ واسعٌ في استخدام تلك الصكوك، بسبب إمكانياتهم الاقتصادية الكبيرة[2].

وخلاصة القول إن الصك كان له دورٌ كبيرٌ في النشاط الاقتصادي الأندلسي، وسَّهل على التجّار والأفراد سهولة نقل الأموال، من مكان إلى آخر دون خطر.

1- ابن أبي شيبة، المصنف في الاحاديث: 7/ 10.
2- أحمد، علي، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، أيلول - كانون الأول، 1996، السنة السابعة عشر، العددان 57-58، ص165.

سابعاً: الصيرفة:

هي عملية تصريف الدنانير بالدراهم، أو العكس[1]. وعند الجرجاني[2] هي "بيع الأثمان بعضه"، بسبب جودة أحدهما على الآخر.

وهي من التسهيلات التجارية التي وُجدت في بلاد الأندلس، وكان لها دور كبير في اتساع هذا النشاط، فأهمية الصيرفة تأتي للتاجر، بشكل خاص، بسبب أن التاجر القادم من بلاد المغرب العربي أو مصر أو بلاد الشام، فإنه سيحمل -وبلاشك- النقود الخاصة ببلده، وعند شرائه للبضائع والمحاصيل خاصة، فإن البائع ولا سيما الفلاح كان يطلب مبلغ البيع بعملة الأندلس؛ ليتخلص من كاهل الصيرفة. وبذلك فإن التاجر القادم من خارج البلاد كان يتحتّم عليه صرف الأموال وتحويلها إلى عملة البلد التي يتواجد فيه.

وعملَ العرب المسلمون في هذه المهنة إلا أن اليهود والنصارى كان عملهم بالصيرفة أكثر من العرب المسلمين، لما كان يشوب تلك المهنة من شبهات شرعية، فضلاً عن أن الشرع نهى العمل بالصيرفة[3]. لكنْ؛ لا يمكن القول إن العرب المسلمين لم يعملوا بتلك المهنة؛ بل عملوا بها، وكانت لهم قواعد محدّدة ومشدّدة، يجب على المسلم مراعاتها.

1- ابن أبي شيبة، المصنف: 7/ 38؛ الونشريسي، المعيار المعرب: 6/ 316؛ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، (بيروت: 1967)، ص362.

2- التعريفات، ص58.

3- السامرائي، عبد الرزاق أحمد وادي، القروض المصرفية في الإسلام دراسة تاريخية، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد: 2004)، ص139.

أباح الفقهاء التعامل مع الصيارفة غير المسلمين، بدليل ما ورد في المدونة الكبرى، من سؤال، وُجِّه إلى الامام مالك بن أنس ﷺ عن حكم التعامل مع أهل الذمة: "فقيل له: إن في أسواقنا صيارفة منهم، أفنصرف منهم؟ قال: أكره ذلك"[1] إذاً؛ لم يكن هنالك منع من التعامل معهم، وبذلك ترد الإشارات بوجودهم بكثرة في دولة الأندلس.

ويمتهن هذه المهنة شخص، يسمّى بـ **الصيرفي**. يُعرّفه القلقشندي[2] بأنه "الذي يتولّى قبض الأموال، وصرفها" ومهمّته تتمثل في:

أ. تصريف النقد[3].

ب. تقييم النقود من حيث الجودة والوزن[4]. "وسنة الدينار في الاختبار أن يُجعل بين الأسنان: فما كان منها ليًن، عُلم أنه جيد، وما كان منها يابس، عُلم أنه رديء"[5].

وبذلك لا يكون عليها إلا الرجل الخيّر، حتى لا يعمل في الربا[6]، فضلًا عن ضمان التقييم المضبوط للنقد.

وكان التجّار يضعون أموالهم عند الصيارفة، ويأخذون منها شيئاً فشيئاً[7].

لقد خدمت مهنة الصيرفة طبقة التجّار، بسبب اتساع نطاق المعاملات التجارية في الموانئ الأندلسية، لذا؛ يمكن القول إنه متى ما كانت هنالك معاملات تجارية في أي منطقة، فإنه سيكون لمهنة الصيرفة حاجة ملحّة؛ لأن الصرافين كانوا يزوّدون التجّار

1- الاصبحي، المدونة الكبرى: 3/ 294.
2- القلقشندي، صبح الأعشى: 5/ 466.
3- الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت: 1995)، ص193.
4- الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص193.
5- ابن عمر، أحكام السوق، ص138.
6- ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية، ص58.
7- الجوبري، عبد الرحمن بن عمر بن أبي بكر الدمشقي، المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار في علم الدكيات والحيل، مخطوط، (د.م: د.ن)، ورقة (129).

برؤوس الأمـوال، ويسهّلون تجارة الائتمان، كما أن الحوالات عليهم جعلت المعاملات منتظمة وسريعة[1]

ولم تذكر لنا كتب التاريخ الأندلسي معلومات وافية عن انتشار، وعمل الصيارفة في الأندلس، لكننا وجدنا إشارات بسيطة عند المقَّري[2] الذي يذكر أن الدينار في بلاد الأندلس كان يُصرف بـ سبعة عشر درهماً. وإشـارات أخـرى عند الونشريسي[3] في بيان "حكم الحوالة على الصيارفة... "، و"الحكم إذا فلس الصيارفة"[4]. وورد في كتاب أحكام السوق مسألة "في رجل اشترى من صيرفي دراهم مسمّاة، وأراه المشتري الدينار، فنقر فيه البائع الدراهم، فتلف"[5].

فمن خلال تلك الأسئلة، نستطيع أن نستنتج أن الصيرفة كانت من المهن المنتشرة في بلاد الأندلس، لأن تلك - بلا شك - كانت أسئلة ملحة، وتعبّر عن واقع، قد انتشر عند أهل الصيرفة، وهذه الحالات تبيّن أن الصيارفة كانوا يتعاملون مع الحوالات، فضلاً عن مبادلة وتصريف النقد.

2. تحديد سعر الصرف:

لم تتناول المصادر التاريخية مَن الذي يتكفّل بتحديد سعر الصرف أهي الدولة أم السوق، والسبب في ذلك أن الفكر الاقتصادي الإسلامي ترك بعض الأمور إلى السوق (العرض والطلب) هو من يحدّدها كأسعار البضائع، ومقدار الربح التي لم يحدّدها قطعاً، وهذا الأمر ينطبق على عمل الصيارفة، فالسوق من خلال العرض

1- الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص200.

2- نفح الطيب: 1/ 211.

3- المعيار المعرب: 6/ 315.

4- الونشريسي، المعيار المعرب: 6/ 316.

5- يحيى بن عمر، ص138.

والطلب هو مَن يحدّد سعر الصرف، فضلاً عن أسعار معدني الذهب والفضة، ونسبة المعدن الرخيص المخلوط فيهما، فكلما كانا نقيين من الأخلاط، كان السعر أعلى، وبالعكس[1]، وكان يتولى مراقبة عمل الصيارفة والي السوق الذي من مهامه الأساسية مراقبة الأسواق، والحفاظ على الأسعار[2].

1- الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص245؛ النقيب، أحلام محمد سعيد، التطور التجاري والنقدي في العراق في العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1981، ص127.
2- المقَّري، نفح الطيب: 1/ 218-219؛ مكي، تاريخ الأندلس السياسي: 1/ 76.

ثامناً: السفاتج:

للموقع الجغرافي لبلاد الأندلس أهمية كبيرة في تطور النظام المالي، ولا سيما إذا ما علمنا أن أغلب التجّار الوافدين إليها كان عن طريق البحر، ومعلوم أن السفر في البحر تعتريه مخاطر كبيرة، منها غرق السفينة، وبما أن من أدوات التجّار المهمة في عمله هو المال، فقد احتاجوا إلى نظام مالي، يحفظون به أموالهم من الضياع أو الغرق. فكانت السفتجة إحدى الطرق التي اهتدى إليها التجّار للحفاظ على أموالهم من الضياع أو الغرق. فسهّلت الدولة الأندلسية هذا الأمر رغم عدم وجود الأدلة الواضحة لوجودها آنذاك إلا أنها بالطبع كانت معروفة ومتداولة.

تعريف السفتجة:

يُعرّف الفيروز أبادي[1] السفتجة بأنها "أن يعطي مالًا لآخر، وللآخر مال في بلد المُعطي، فيوفيه إياه، فيستفيد أمن الطريق". ويُعرّفها الجرجاني[2] أنها "إقراض لسقوط خطر الطريق".

أي هي أن تُعطي مالاً لرجل، فيعطيك خطاً، يمكّنك من استرداد ذلك المال من شخص آخر، في مكان آخر[3].

1- القاموس المحيط، ص617.

2- التعريفات، ص52.

3- التكريتي، بهجت كامل عبد اللطيف، السفتجة واستخدامها في الدولة العربية الإسلامية، المجلة القطرية للتاريخ والآثار، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2001،، ع3، ص53؛ الأنصاري، التطور التجاري، ص135.

وهذه التعاريف توضح وبشكل صريح أهمية السفتجة ودورها التعامل التجاري.

أما عن وجود السفتجة في بلاد الأندلس من عدمها:

لـم نعثـر في كتـب التاريخ علـى ما يؤكـد وجودها، بشـكل صريـح، إلا أننا من خـلال كتـب النـوازل نسـتطيع أن نسـتنتج وجودهـا وتداولهـا فـي بـلاد الأندلـس، فالمالقـي[1] يـورد لنـا مسـألة توضـح لنا وجـود السـفتجة في بـلاد الأندلـس، وقال: "وسُـئل عـن الرجـل، يتسـلّف مـن الرجـل مـالاً، علـى أن يكتب لـه إلى بلـد آخر له، فيه مال، يقبضه منه".

فالنـص المذكـور آنفـاً يبيّـن لنـا أن المسـتفيد مـن المـال قـد كتـب للمقـرض خطـاً؛ ليسـتلم مالـه في بلد آخـر، وبهـذا؛ فقد وافـق تعريف السـفتجة. ولكـي تكون السـفتجة صحيحـة لابـد مـن توقيـع أو ختـم صاحبهـا لصـراف كان، أو لتاجـر، وإلا تكون باطلة[2].

وبذلـك تأتـي أهميـة السـفتجة فـي أن التاجـر يسـتطيع بواسـطة هـذه الخدمـة الماليـة التجاريـة مـن تصفيـة الحسـابات مـع بقيـة التجّـار دون الحاجـة إلـى نقـل الأمـوال معـه، كمـا أن التاجـر يمكنه اقتـراض المال من بيـت المال، فـي مقاطعة، أو مدينـة معينـة علـى أن يدفـع ذلك المـال في بيت مـال مقاطعـة، أو مدينة أخـرى، كما قـد تسـتخدم السـفاتج بوصفهـا ضمانـاً لمعالجة الأزمـات الماليـة التي تتعـرض لها الدولة عند حاجتها للأموال بصورة آنية[3].

1- الأحكام، المسألة رقم (490)، ص267.

2- الأنصاري، التطور التجاري، ص137.

3- التكريتي، السفتجة، ص55-56.

تاسعاً: الحَوالة:

اشتهر وجود الحوالة في بلاد الأندلس، بحكم النشاط التجاري الواسع الذي ظهرَ فيها آنذاك، وارتبط ارتباطاً مباشراً، بالصيرفة.

تعريف الحوالة:

جاءت كلمة الحوالة من "(أَحَالَ) عليه بدينه، والاسم (الَحَوالة)" [1]. وهي مأخوذة من هذا، يُقال: أحلته بدَينه: أي نقلته من ذمة إلى أخرى[2]. وهي "مشتقة من التحول بمعنى الانتقال وفي الشرع نقل الدَّين وتحويله من ذمة المُحِيل إلى ذمة المُحال إليه"[3].

ويعرفها الدردير[4] بأنها "عُرْفاً – وهي مأخوذة من التحول يقال: حول الشيئ من مكانه: نقله منه إلى آخر، وحول وجهه: لفته. (صرف دين): أي نقله، وطـرحه (عن ذمة المدين بمثله)، أي بدين مماثل للمطروح، قرأ وصفه؛ كعشرة محمدية في مثلها (إلى) ذمة (أخرى تبرأ بها) ".

1- الرازي، مختار الصحاح، ص163.

2- الفيومي، المصباح المنير، ص84؛ الخزاعي، أسواق بلاد المغرب، ص162.

3- الجرجاني، التعريفات، ص42. وينظر: سلمان، نصر وسعاد سطحي، فقه المعاملات المالية وأدلته عند المالكية، دار ابن كثير، (دمشق: 2007)، ص243؛ المصري، عبد السميع، التجارة في الإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة: 1976)، ص93.

4- الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، خرج أحاديثه وفهرسه: مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، (القاهرة: د.ن): 3/ 423.

ولها ارتباط بالصيارفة، فهم مَن يقومون بدفع الأموال إلى الأشخاص حاملي الحوالة؛ إذ تضمن كتاب الونشريسي حالة "حكم الحوالة على الصيارفة... "[1]

إذاً؛ فالحوالة هي نقل دين من شخص إلى آخر، وقد استفاد التجّار بشكل كبير، لا سيما أولئك الذين يتنقلون من بلد إلى آخر، ويتعاملون مع التجّار في البلدان كافة التي يمرّون عليها، فهم بذلك قد عرفوا التجّار كافة، وكوّنوا معهم علاقات تجارية طيبة، وهذه العلاقة ستوفّر لهم تسهيل نقل الأموال، من بلد إلى آخر عبر الحوالات. فالتاجر في مصر مثلاً إذا كانت له أموال عند شخص في الأندلس، فهو بهذه الحالة، وبحكم العلاقات بين التجّار، فإنه سيصرف هذا المال للتاجر في مصر، ويحمل رسالة إلى صاحبه في الأندلس، فيأخذ الأموال منه هنالك، فهو قد آمن الأموال من الطريق، وقضى حاجة شخص، من جهة أخرى.

وعملية التعامل هذه كانت مشهورة بين التجّار، بل واستفادوا منها كثيراً، فهم كانوا يحملون معهم أعداداً قليلة من قطع النقد، فضلاً عن الحَوَالات (رسائل صرف)؛ لأنها أكثر مرونةً وسهولة من الأحمال الثقيلة[2]، فيصرفونها حال وصولهم للبلد المعين. فهم آمنوا أموالهم من الفقدان والضياع. فكانت هذه العملية من الوسائل التي سهّلت على التجّار عملهم في كل البلدان، من ضمنها بلاد الأندلس.

1- الونشريسي، المعيار المعرب: 6/ 315.

2- كاهن، الإسلام منذ نشوئه، ص276.

عاشراً: ضمان حقوق التجّار:

يتطلّب العمل التجاري وجود بعض الضمانات القانونية والأدبية التي تضمن سهولة الحصول على البضائع، في حال تم الاتفاق بين الطرفين. وفي حال عدم وجود ضامن، فإن عمليات الاحتيال ستكون سمة بعض الأسواق، وبالتالي؛ تؤدي إلى عزوف أكثر التجّار من المجيء إليها.

ولـو نظرنـا إلـى حـال التجـارة فـي بـلاد الأندلـس ومـن النصـوص السـابقة، نلحـظ نشـاطه الكبيـر والواسـع، وبلا شـك إن هذا النشـاط لـم يأت مـن دون وجود ضمانـات، علـم بهـا التجّار، وأول مَـن عالج حالة ضمـان العمليـات التجارية عموماً هو الشـرع الإسـلامي الذي بُنيت عليه كل الأحـكام الدينية منها والدنيويـة، وبالتأكيد أن تلـك الضمانـات التـي تقـدم للتجّـار هـي فـي حـال حصـول خـلاف بيـن البائـع والمشـتري، فـإن الشـرع الإسـلامي يضمـن حـلّ تلـك النزاعـات وضمـان حقـوق الطرفيـن، كمـا أن الإسـلام حـدّد أنـه في حال وجـود عمليـات تجارية، فـلا ضير من وجـود ضامـن، يضمن صحـة تلك العمليـة. ويكـون الطرفـان ملزمين بإيفـاء ما جاء بالاتفاق، بوجود الضامن.

وخيـر مثـال لمـا ذكرنـاه مـا وجدناه مـن نص فـي كتاب الأحـكام، يوضـح فيه أن المشـتري أو التاجر، إذا إشـترط وجود ضامن لضمان السـلعة، يكـون البائع ملزماً بردّهـا، إن وجـد المشـتري أو التاجـر فيهـا خلـلاً، ونـص المسـالة رقـم (309) فـي سـؤال موجّـه إلى أحـد القضاة: "وسُـئل عن الرجل، يشـتري حماراً، وما أشـبه ذلك، فـإذا تـم البيـع بينهمـا، قـال المشـتري للبائـع: ائـت بضامـن، يضمنـك، إن كــان في

دابــتك عيب، أو كــانت مسـروقة. فقال: ليــس له عليه ذلك إلا أن يشـترط ذلك في صفة البيع. "[1].

وهذا الحق يجعل البائع الأول للبضاعة، يهتم بها، ويحفظها من أي سوء، قد يصيبها، فلو تم البيع، ووجد عيباً في تلك البضاعة، وعلم أن ذلك العيب من إهمال البائع، فهو ملزم برد البضاعة، إذا طلب المشتري ذلك، وخير مثال في المسألة رقم (109) في كتاب الأحكام "في جارية بيعت على أنها مهموزة، فوجدت مجموعة (الذي يجب أن يأمر بعرضها على قابلة، يوثق بها، فإن ألفيت مجموعة) طرية الجمع، استحلف المشتري أنه ما مسها؛ لأنه يمكن أن يفعله غيره، وهي في العهدة. فإن حلف، ردّت.... لأن ما أصاب الأمة في العهدة، أو المواضعة، فهو من البائع؛ لأنها في ضمانه"[2].

وهذا الضمان يعدّ من التسهيلات التجارية التي جاءت لخدمة التجّار في الدولة العربية الإسلامية عامة، وبلاد الأندلس خاصة، وكان أحد أهم الأسباب التي شجّعت التجّار في التجارة مع بلاد الأندلس، والاستقرار في الموانئ.

أحد عشر: البيع بالآجل:

يعدّ البيع بالآجل من أشهر طرق التعامل التجاري في البيع والشراء، وبلا شك، فإنها سهّلت الكثير من العمليات التجارية. ويبدو أن هذا التعامل في البيع كان موجوداً في بلاد الأندلس، للتجّار الكبار الذين يتاجرون مع المغرب وغيرها، بدليل ما ذكره الونشريسي[3] بقوله: "رجل معروف بتبضيع المال للتجارة سافر لبعض بلاد المغرب، فمات هناك، فقام جماعة يطلبونه ببضائعهم".

1- المالقي، الأحكام، ص201.
2- المالقي، الأحكام، ص118-119.
3- المعيار المعرب: 8/ 189.

فهذا النص يعطينا تصوراً عن وجود هذا النوع من البيع، والذي كان أحد التسهيلات التجارية في بلاد الأندلس، ومن خلاله، فإن النشاط التجاري سيكون أكثر شيوعاً، مما لو كانت هنالك قيود مفروضة عليه.

اثنا عشر: تسهيلات ضريبية:

تعدّ الضرائب التجارية في الدولة العربية الإسلامية عامة وبلاد الأندلس خاصة من الموارد المالية المهمة والضرورية لها، هدفت من فرضها إلى إحكام سيطرتها على البلاد، وفرض سيادتها، وتحقيق الفائدة المادية منها[1]. وكانت الدولة تصرف تلك الضرائب في أوجه متعددة لضمان قيامها.

وقد كانت الضرائب تفرض على الأفراد في البلاد، مما يزيد من كاهلهم، ويقلّل من دوافعهم نحو الشراء. كما كانت الضرائب تفرض على المراكب التجارية الواردة والصادرة من الأندلس، من خلال إنزال إحصاء تلك البضائع، وفرض الضرائب عليها، وبلا شك، كانت حسب النوع والكم[2]، كما كانت تفرض الضرائب على ما يُباع في الأسواق[3].

وبتعبير آخر، إنَّ مجموع الضرائب التي كانت تُفرض على التجّار الوافدين كانت أساساً لتقديم الخدمات، وأهمها تأمين الحماية لهم[4].

وكما وضّحنا سابقاً، فإن الضرائب تُفرض على البضائع بعد إتمام خزنها في أماكن معينة، فيتم فرض الضريبة، واستحصالها، إما على الفور، أو تُؤجّل إلى

1- عبيد، ضرائب التجارة، ص140.
2- كاهن، الإسلام منذ نشوئه، ص277-278.
3- ابن حوقل، صورة الأرض: 1/ 108.
4- Goitein, A Mediterranean Society , V.1, p.62.

ما بعد البيع[1] حسب نوعية وكمية البضاعة، فكانت تُفرض بين 8٪ إلى 20٪ من ثمن البيع[2].

ولم تنسَ الدولة الأندلسية ما كانت تؤديه تلك الضرائب من دور سلبي على الأفراد في البلاد، فقام الأمير محمد (238-273هـ/ 852-886م) برفع ضريبة الحشود والبعوث عن أهل قرطبة[3]. وذلك شجّع - بلا شك - أهل قرطبة على رفع الحال الاقتصادي لهم، وبالتأكيد؛ سيعمل ذلك على زيادة الطلب على بعض السلع فيها، ممّا يشجّع الحركة التجارية فيها، ولا سيما وأنها كانت إحدى الموانئ المشهورة في البلاد.

كما كان نظام الاستغلال متبعاً في جمع الضرائب، فيذكر أن أحد المستغلين رفع طلباً إلى الأمير عبد الرحمن بن الناصر (300-350هـ/ 912-961م)، يرغب فيه أن يفرض رسماً على الدواب والأحمال التي تعبر قنطرة قرطبة، لزيادة واردات الدولة، فرفض الأمير، وقال له "نحن أحوج إلى أن نحدث من أفعال البر أمثال هذه القنطرة، لا أن نمحو ما خلّده آباؤنا باختراع هذا المكس القبيح، فتكون عائدته قليلة لنا، وتبقى تبعته وذكرة السوء علينا"[4].

يدل ذلك على أن هذه الضريبة (ضريبة العبور) لم تكن موجودة في الأندلس. ورفض الأمير فرضها، لما لها من دور سلبي على الحالة الاقتصادية للبلاد.

كما أعفى الخليفة الناصر (300-350هـ/ 912-961م) مدينة طرطوشة من ضريبة المغارم، أثناء زيارته لها سنة (329هـ/ 940م)[5]، ثم أمر ولي عهد الخليفة

1- كاهن، الإسلام منذ نشوئه، ص278؛ باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص71.
2- باشا، التجارة في المغرب الإسلامي، ص71؛ بطاينة، محمد ضيف الله، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، دار الكندي للطباعة النشر والتوزيع - دار طارق للطباعة والنشر والتوزيع، (الأردن: د.ن)، ص152.
3- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 109.
4- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: 1/ 51.
5- أبو مصطفى، تاريخ مدينة طرطوشة، ص169-170.

الحكم المستنصر هشام الثاني سنة (366هـ/ 976م) بإعفاء الأندلسيين من ضريبة الزيتون، ففرح الناس بذلك كثيراً[1]. كما اهتم الحاجب عبد الملك بن المنصور أبي عامر(392-399هـ/ 1002-1008م) بالضرائب، فقد "أسقط عن جميع البلاد سدس الجباية"[2]. فكل تلك الإعفاءات الضريبية والامتناع عن فرض ضرائب جديدة عملت بلا شك على نمو التجارة في موانئ الأندلس، فكانت بحق أهم التسهيلات التجارية التي كانت تُقدّم للتجّار، والناس عامة، فلو فُرضت، لحملت عليهم أعباء جديدة، مما يؤثر سلباً على السوق والناس.

ثلاثة عشر: تسهيلات مهنية:

شجّعت الدولة الأندلسية بعض المهن التجارية لمساعدة التجّار، لا سيما أولئك القادمين من خارج البلاد، لمساعدتهم في الحصول على البضائع بشكل أيسر. وكان هنالك ثلاثة أنماط من التجّار في بلاد الأندلس، الأول: يسمّى الخزّان، أو التاجر المقيم، ويقوم بخزن البضائع عندما يكون سعرها منخفضاً، ليبيعها عندما ترتفع الأسعار، والثاني: هو الركاض الذي يسافر في تجارة لنفسه، أو لخدمة تاجر آخر، والصنف الثالث يسمّى بالمجهّز، وهو الذي يجهّز البضائع لشركائه الذين يسافرون بها إلى بقية البلدان[3]. إلا أن تلك الأنماط الثلاثة كان لها مهن مساعدة لها، وهي:

1- ابن عذاري، البيان المغرب: 2/ 256.

2- ابن عذاري، البيان المغرب: 3/ 3.

3- كونستبل، أوليفيا ريمي، التجّار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999: 2/ 1066-1067.

1. **الجلاسون**: وهي من المهن المساعدة للتجّار القادمين إلى بلاد الأندلس، وصاحبها يقوم بشراء البضاعة للتاجر من البائع، بمعنى أن التاجر يكلّف شخصاً؛ ليشتري بضاعة ما، خلال مدة سفرة، فيقوم الجلاس بشراء تلك البضاعة، فيخزنها، إلى أن ياتي التاجر، فيبيعها له، وهو هنا يأخذ ربحين، الأول: من البائع لقاء شراء البضاعة منه، كونه وسيطاً، والثاني: من التاجر؛ لأنه اشترى له بضاعة خلال عدم تواجده[1].

2. **الدلال أو السمسار**: ويُطلق عليه بالإيطالية (سنسال sensal –) وهو "الذي كانت خدماته ضرورية للتجّار القادمين من بلدان أخرى، ولا يعرفون لغة البلد، ولا تقاليد أهله، ولا أسعاره"[2]، فقد كان يقوم ببيع البضاعة بدلًا من صاحبها الشرعي (التاجر) مقابل بعض المال، من خلال المناداة عليها في السوق، وكان التجّار يستخدمون السمسار لبيع بضائعهم، بشكل كثير، وكانت أجرة السمسار على المشتري[3].

إذاً؛ كان لوجود هذه المهن المساعدة للتجّار من التسهيلات التجارية المهمة، ولا سيما في الموانئ الأندلسية، بسبب إستقرار التجّار فيها، فضلاً عن توفّر جميع الخدمات التي يحتاجها التجّار.

1- السقطي، في آداب الحسبة، ص61.

2- كاهن، الإسلام منذ نشوئه، ص278.

3- الونشريسي، المعيار المعرب: 8/ 355-364، 9/ 122.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، والتي تمكن أن تختم بها الدراسة، ولعل أبرز ما يأتي:

1. تميزت بلاد الأندلس بطبيعة جغرافية ومناخ، أتاح لها تنوعاً في التضاريس والمناخ، ساعد على تنوع الموارد الاقتصادية، فاستثمر العرب المسلمون ذلك التنوع، وبنوا اقتصاداً مميزاً للدولة.

2. إن طبيعة موقع بلاد الأندلس وكونها شبه جزيرة محاطة بالمياه من ثلاث جهات، دفعت القائمين على أمرها قبل الإسلام وبعده على إنشاء الكثير من الموانئ والمراسي البحرية في نواحي المشرق، من البلاد وغربها، وقد تنوعت الخدمات التي قدّمتها هذه المنشآت بين العسكرية والمدنية والتجارية.

3. وفّرت الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة الظروف كافة التي تساعد على نمو النشاط الاقتصادي، من خلال القضاء على كل التمردات الداخلية ومواجهة الأخطار الخارجية، وتأمين طرق المواصلات.

4. إن وجود نشاط اقتصادي مع وجود معابر (موانئ) محددة لاستثمار ذلك النشاط، حتّم ذلك على إيجاد مجموعة من الخدمات والتسهيلات التجارية في تلك الموانئ.

5. ظهور العديد من الخدمات التجارية في تلك الموانئ لاحتواء ذلك النشاط التجاري الكبير، مثل توفير الفنادق والحمامات والمخازن وبناء السفن وتصليحها وبناء القناطر وترميم الطرق.

6. اهتمت الدولة الأندلسية بالموانئ بشكل كبير؛ بحيث إنها أناطت ذلك إلى موظّفين إداريين لمتابعة الموانئ، يتمثلون بوالي السوق وأتباعه.

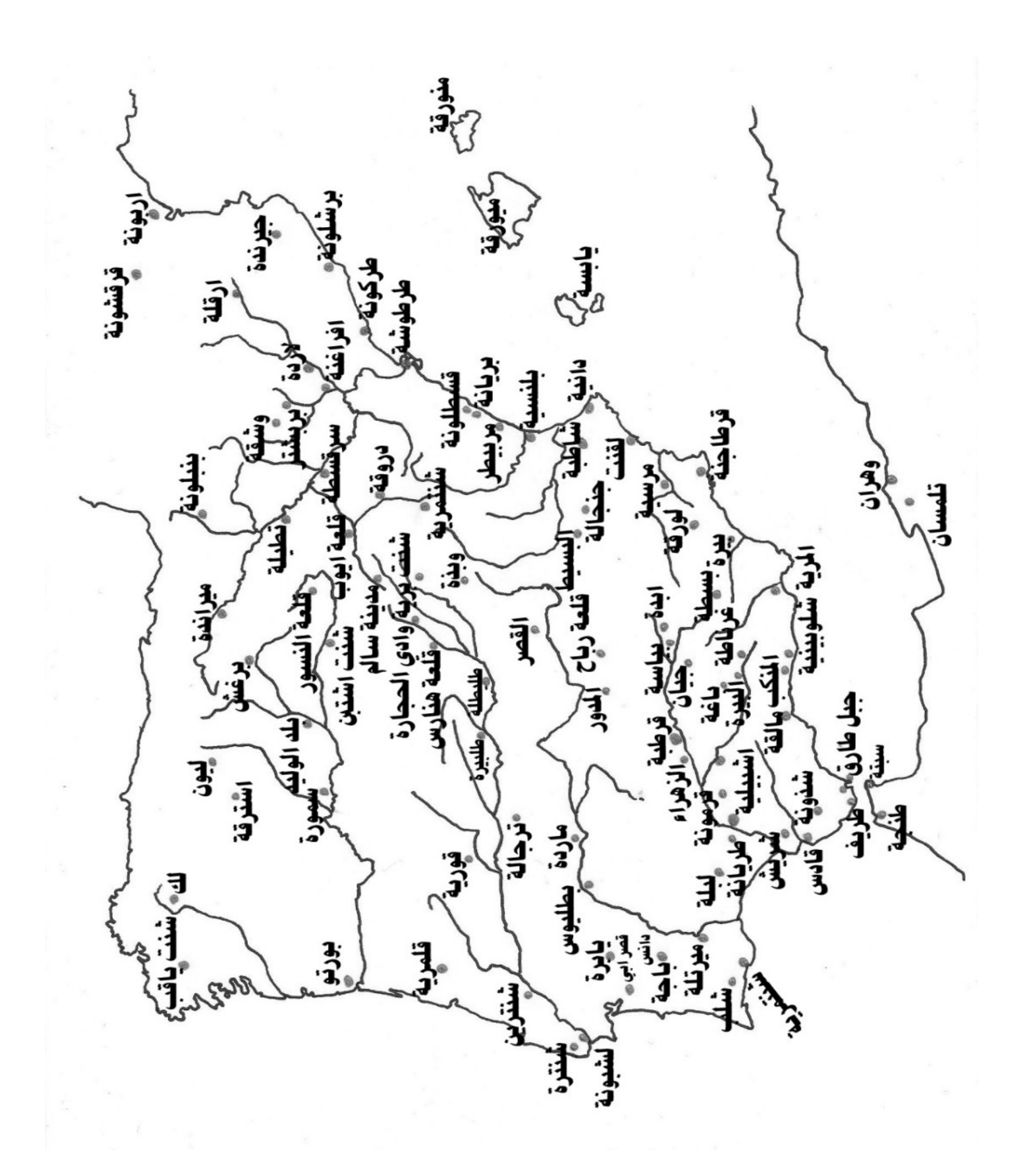
7. حاولت الدولة الأندلسية تقديم الخدمات كافة للتجّار والوافدين على الموانئ، من ضمنها المتنزهات والملاهي.

8. أثبتت الدراسة أن الأندلسيين استخدموا نوعاً معيناً من مواد من التخزين، لم تكن معروفة لدى غيرهم، سمّتها وثائق الجنيزا بـ (ALUM).

9. قدّمت الدولة الأندلسية كافة التسهيلات التجارية لضمان نشاط الحركة التجارية في البلاد والموانئ خاصة، فسكّت النقود، وسهّلت عمل الصيارفة.

10. ربطت الدراسة ربطاً عفوياً بين الاستقرار السياسي واستتباب الأمن وبين الازدهار الاقتصادي، وأظهرت بما لا يقبل الشك بأن قمة الازدهار الاقتصادي كان في عصور القوة والاستقرار السياسي والعلو على الممالك الإسبانية الشمالية، وأن المفاصل الأساسية من الاقتصاد والزراعة والصناعة والتجارة وتأمين الطرق وحمايتها من اللصوص، فضلاً عن حماية التجّار الوافدين من الخارج، وتسهيل جهات الانتقال، من مكان إلى آخر براً أو بحراً، ما كانت لتزدهر وتزهو إلا في مثل هذه البيئة الاقتصادية الملائمة. وبذلك أصبحت الأندلس من أغنى دول العصور الوسطى في عصر الخلافة خاصة، وكانت عملتها من دنانير ودراهم من أمثل العملات قيمة لدى التجّار.

الملاحق



الخارطة رقم (1)

أهم مدن بلاد الاندلس

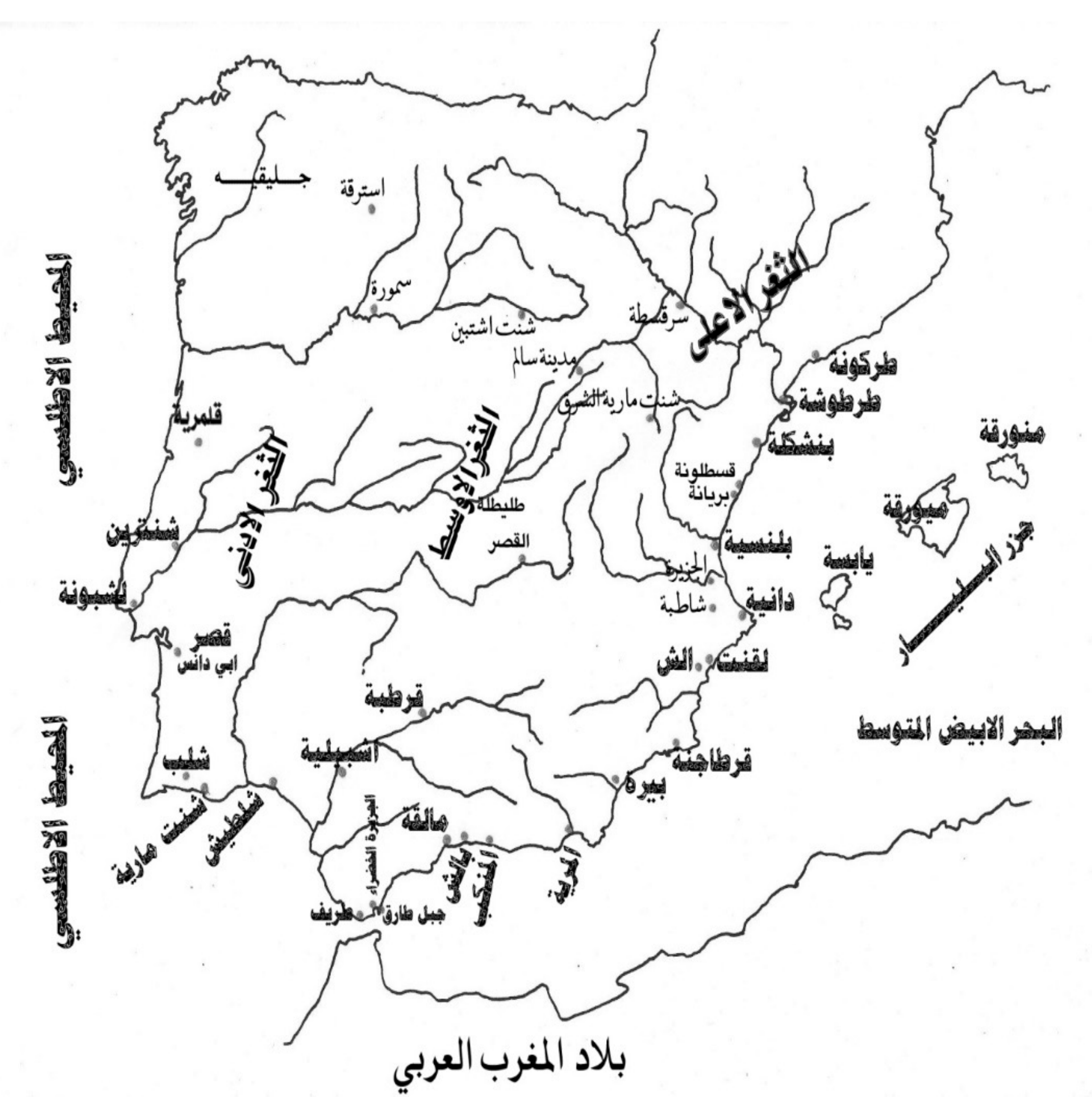
الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على :

العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ؛ حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية : 1/ 641 .



الخارطة رقم (2)

نقلا عن : المطري ، جغرافية القارات ، ص64 .

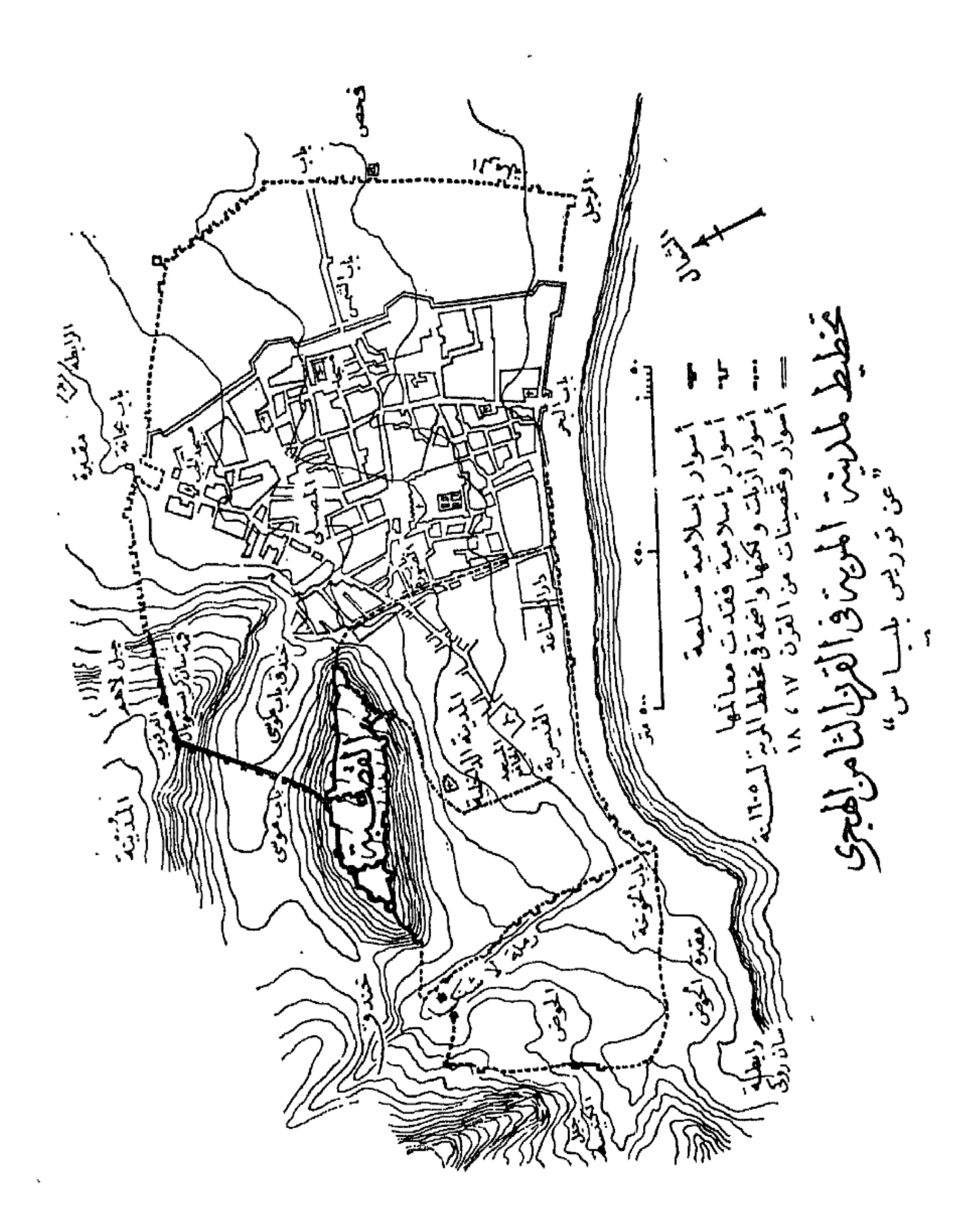


الخارطة رقم (3)

أشهر موانئ بلاد الأندلس

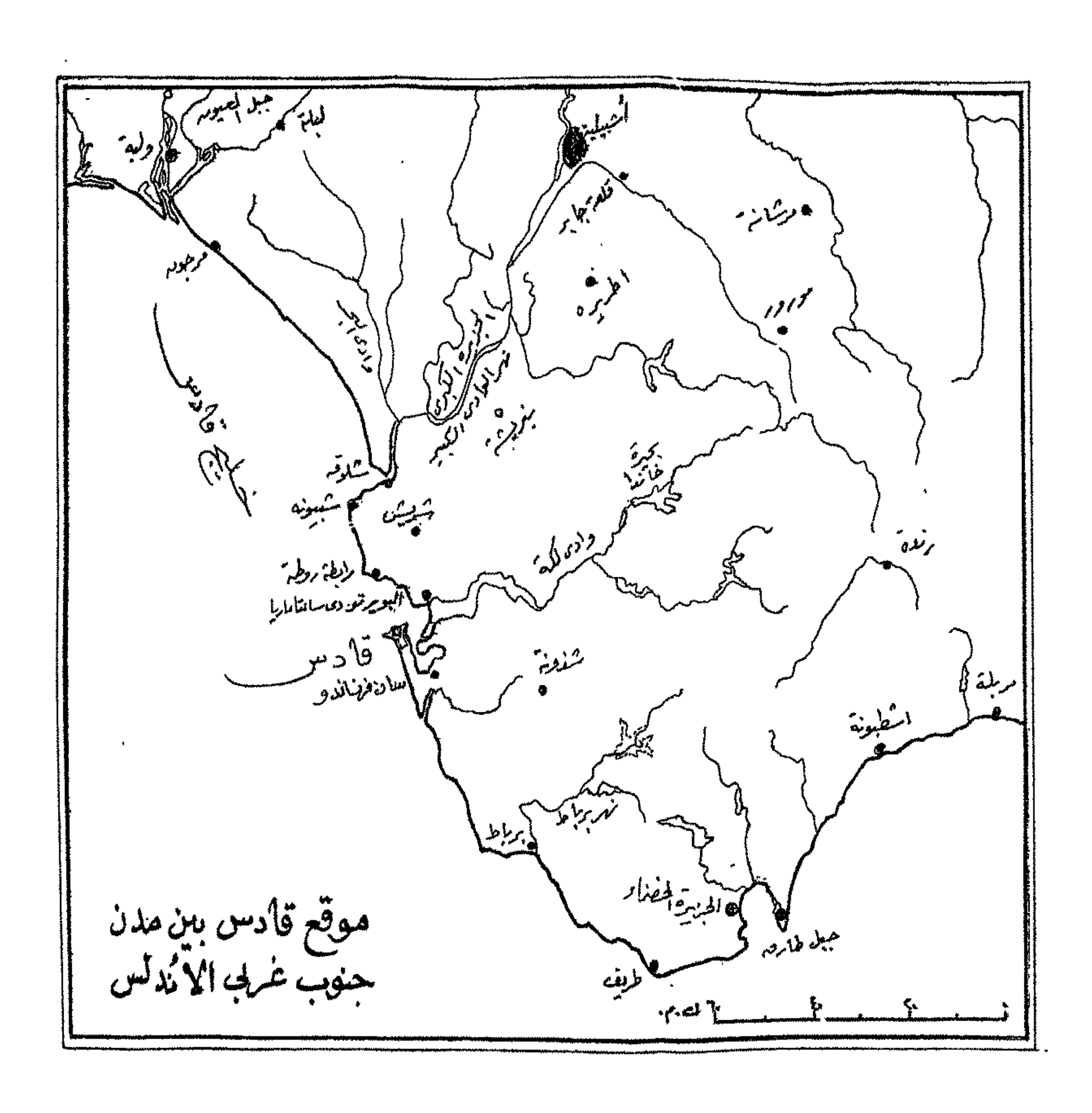
الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على :

العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ؛ حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية : 1/ 641 .



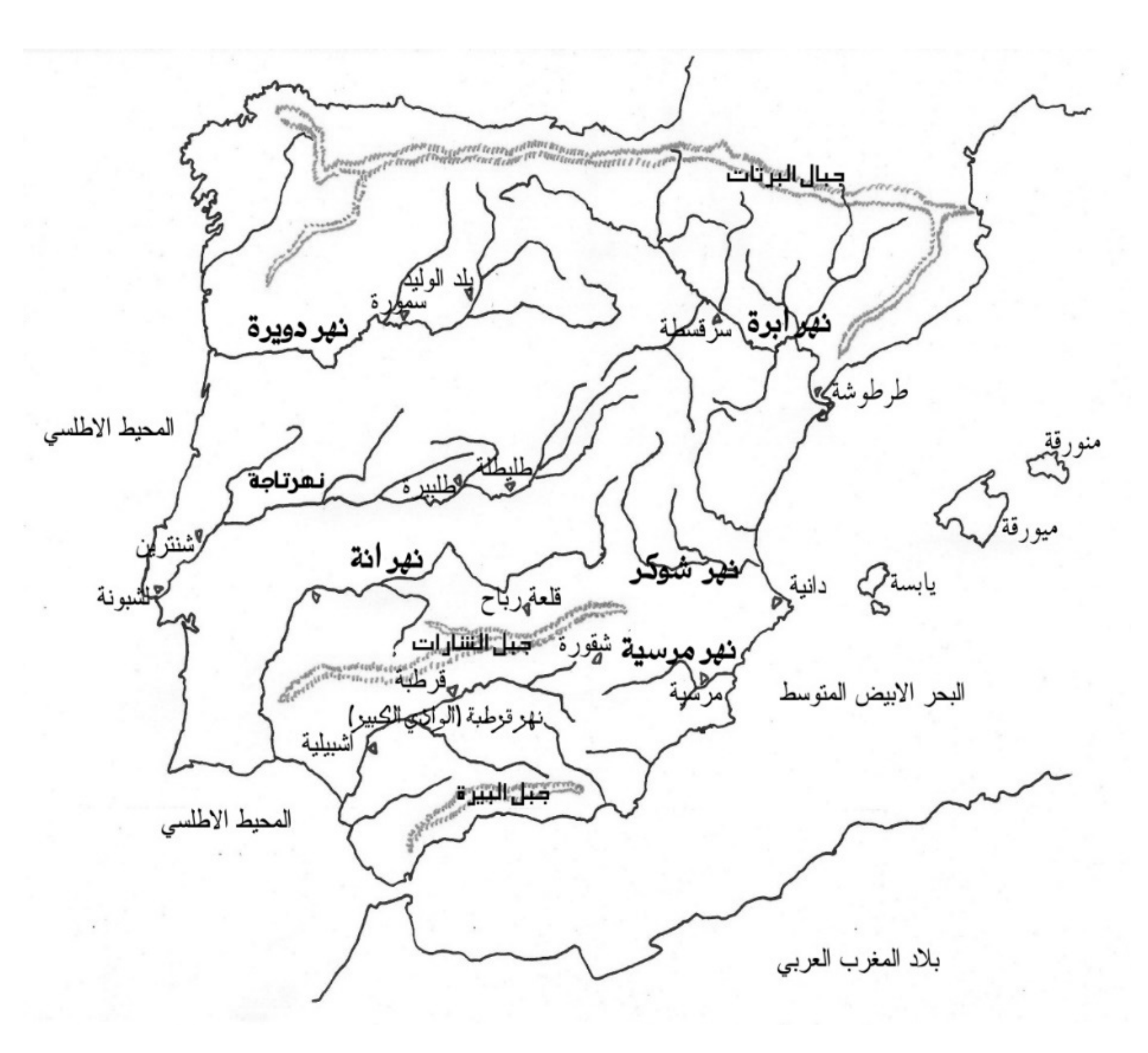
الخارطة رقم (4)

نقلا عن : سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص207 .



الخارطة رقم (5)

نقلا عن : سالم ، مدينة قادس ، ص168

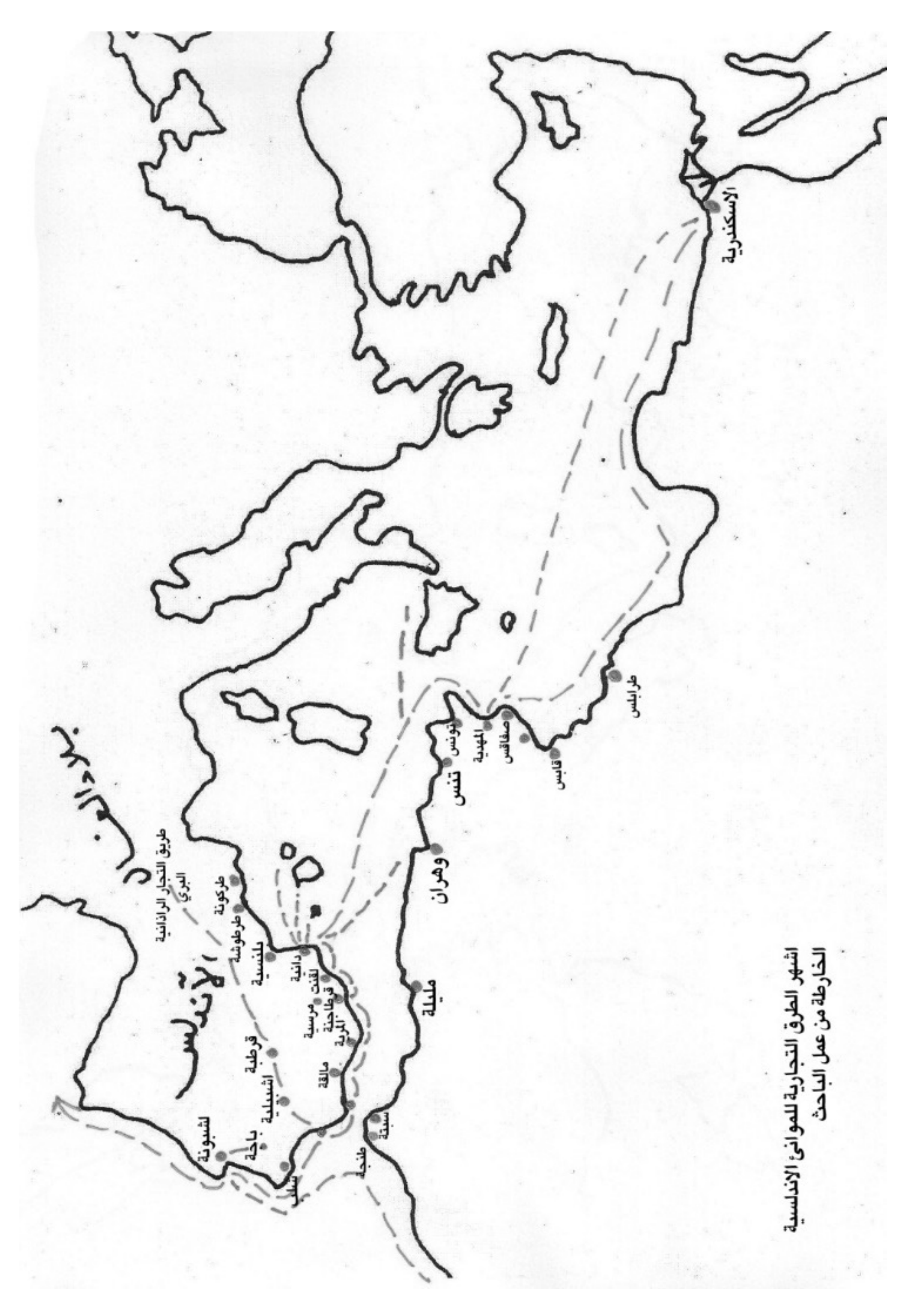


الخارطة رقم (6)

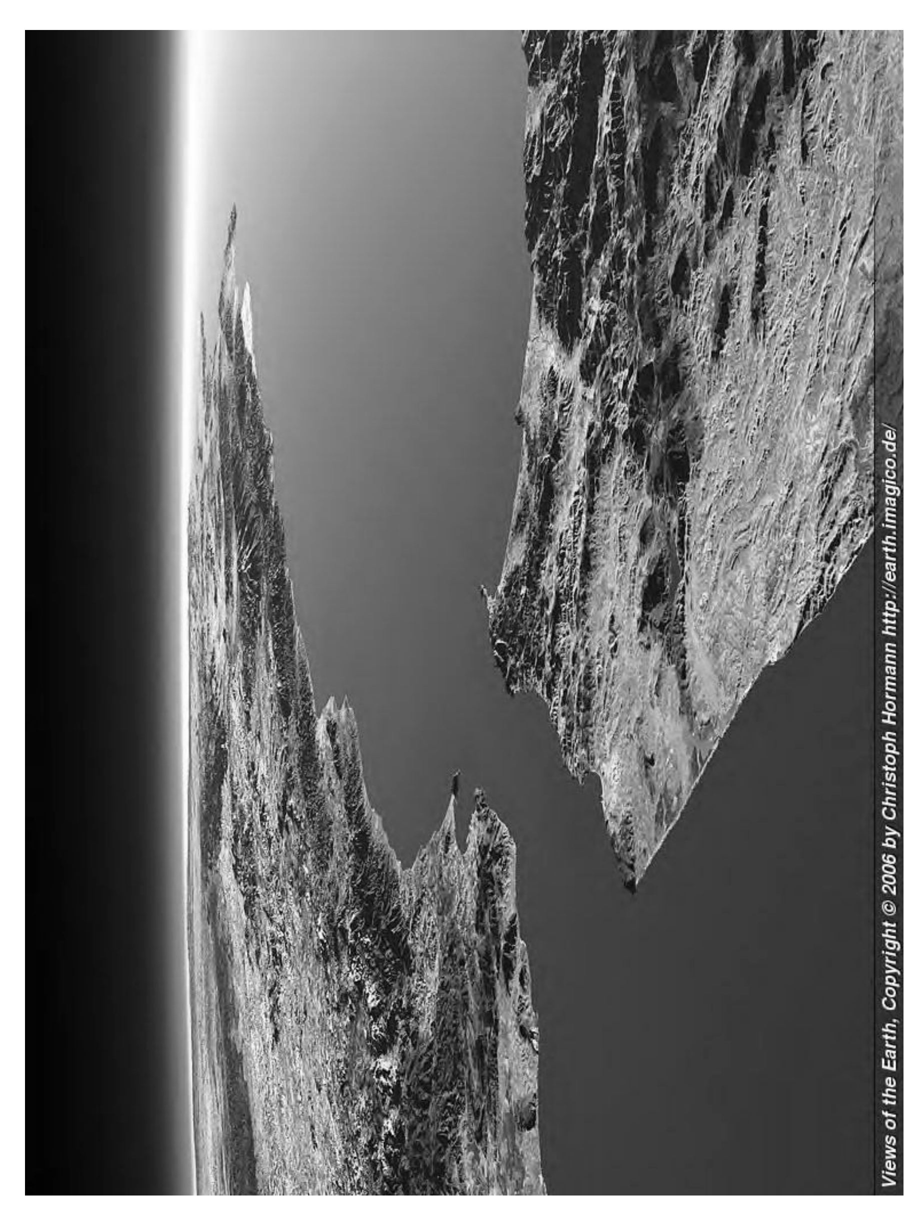
أشهر الأنهار في بلاد الأندلس

الخارطة من عمل الباحث بالاعتماد على :

العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ؛ حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية : 1/ 641 .



الخارطة رقم (7)



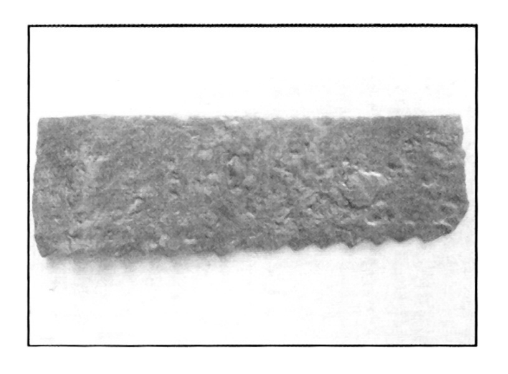
الشكل رقم (1)
مضيق جبل طارق وضفتي العدوة الأندلسية والمغربية
نقلا عن : السلمي ، العدوة الأندلسية ، ص381 .



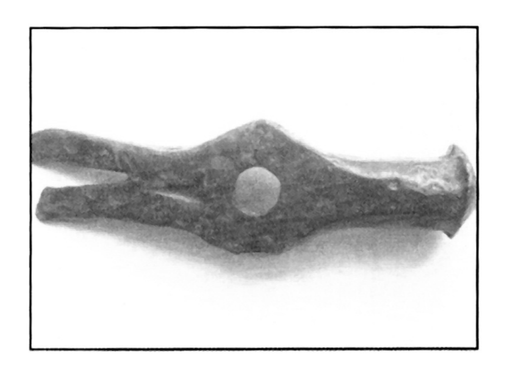
الشكل رقم (2)
ميناء طريف
نقلا عن : السلمي ، العدوة الأندلسية ، ص387 .



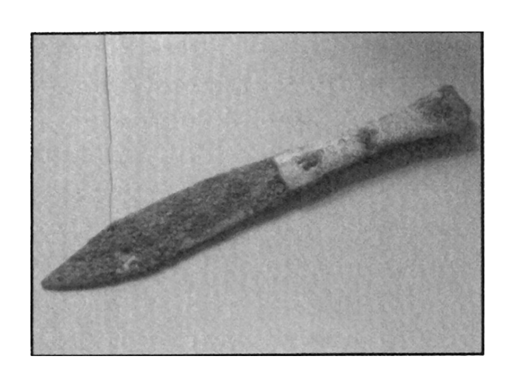
الشكل رقم (3)
صورة لساحل المغرب من ساحل بلاد الاندلس
نقلا عن : السلمي ، العدوة الأندلسية ، ص383 .



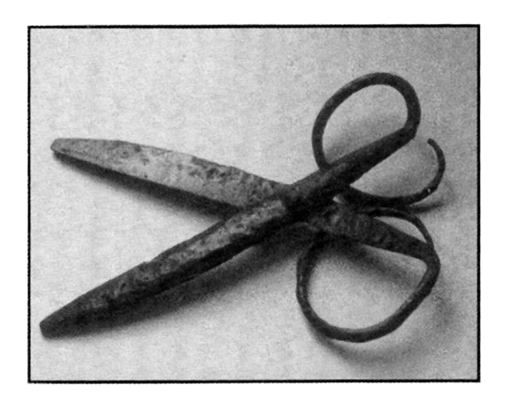
الشكل رقم (4)
منشار مصنوع من صفيحة حديدية
مزودة باسنان قاطعة في حدها السفلي
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص168 .



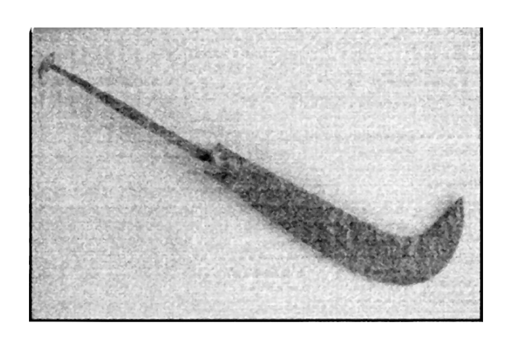
الشكل رقم (5)
شاكوش صغير مصنوع من الحديد
نقلا عن : بنيتو : باسكوس ، ص168 .



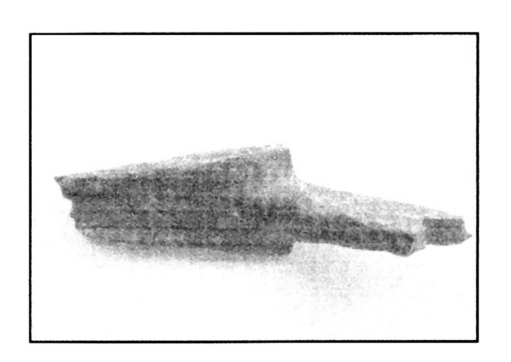
الشكل رقم (6)
سكين ذا نصل حديدي
ومقبض ملبس بالعظم من الجهتين
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص190 .



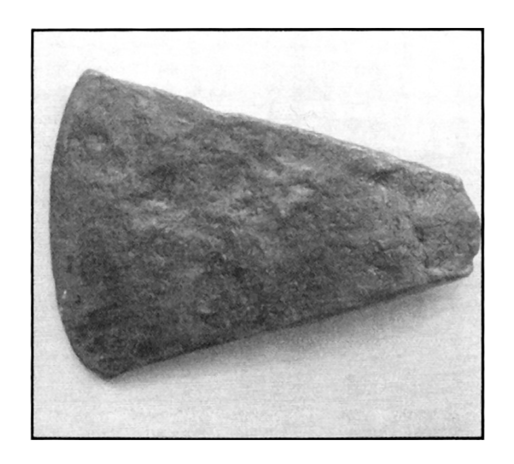
الشكل رقم (7)
مقص مصنوع من الحديد خاص
بجز الصوف
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص172 .



الشكل رقم (8)
منجل مصنوع من الحديد
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، 176 .



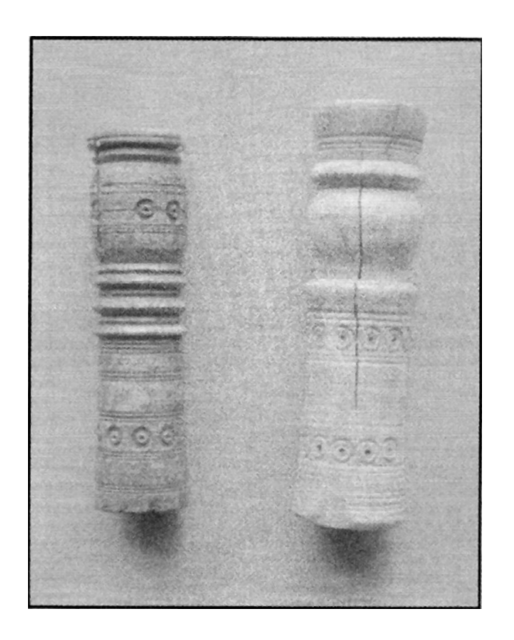
الشكل رقم (9)
سن محراث مصنوع من الحديد
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص176 .



الشكل رقم (10)

فأس مصنوع من الحديد

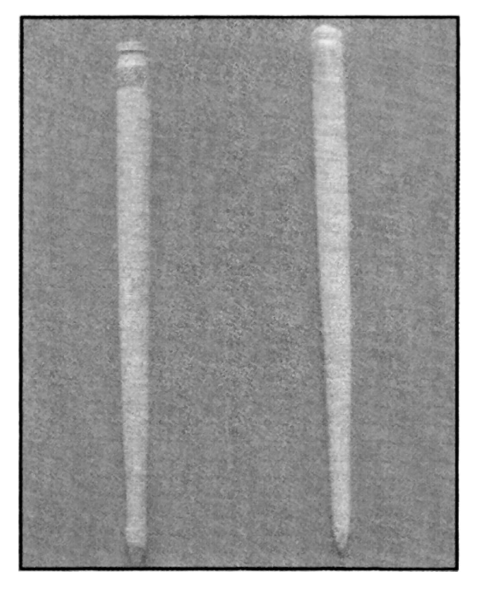
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص168 .



الشكل رقم (11)

رأسا مغزل مصنوعان من العظم

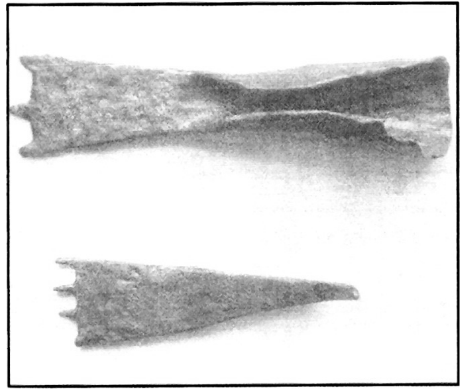
نقلا عن : ، بنيتو ، باسكوس ، ص226 .



الشكل رقم (12)

إبرتان مصنوعتان من العظم

نقلا عن : ، بنيتو ، باسكوس ، ص223 .

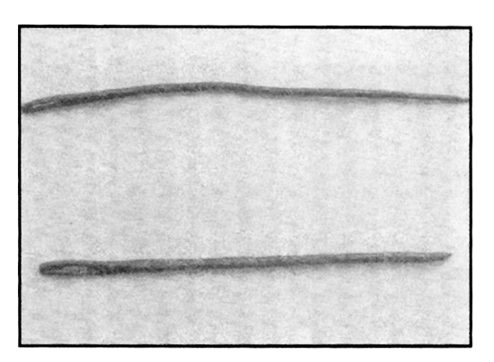


الشكل رقم (13)

منسج مصنوع من الحديد

وهو الأداة الخاصة بنول النسيج

نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص174 .

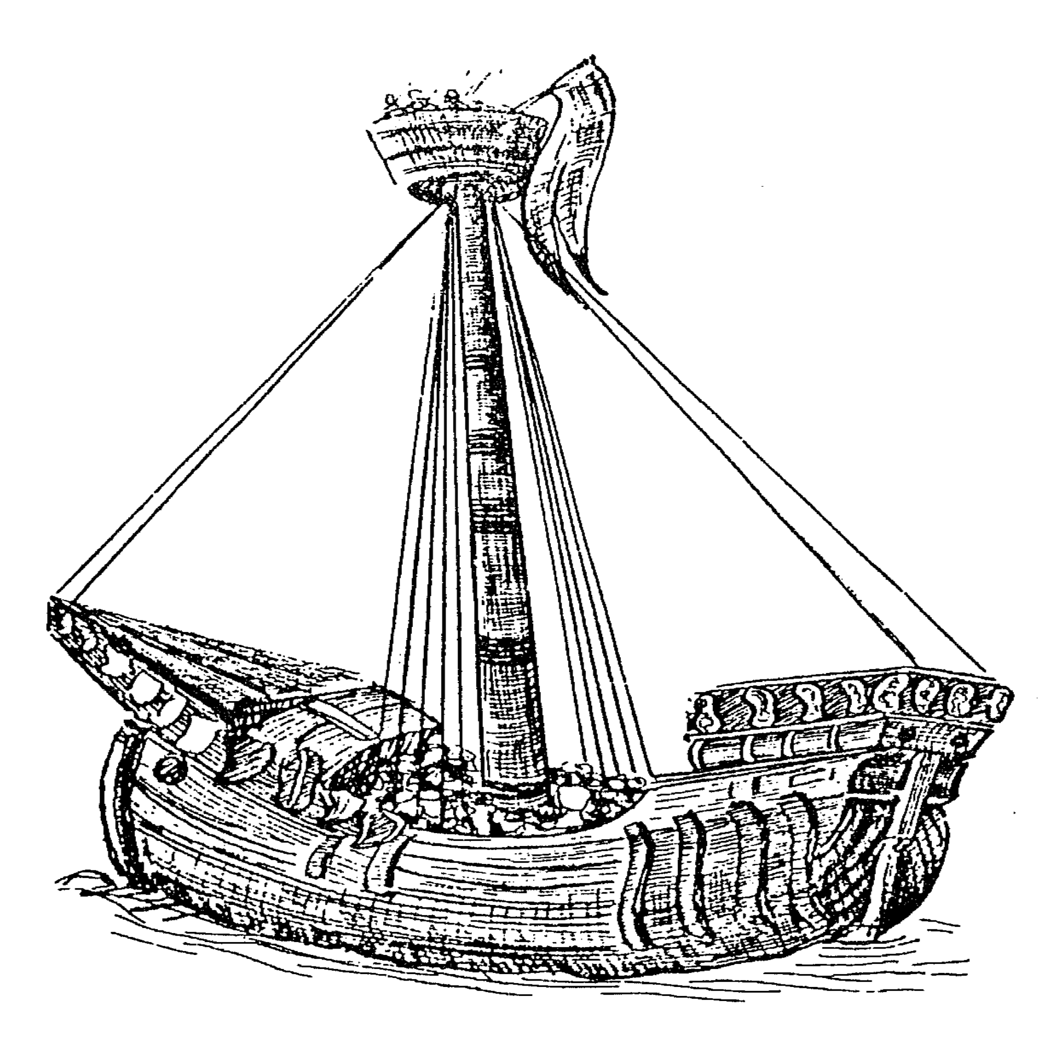


الشكل رقم (14)

ابرتان مصنوعتان من الحديد

تستخدمان في الخياطة

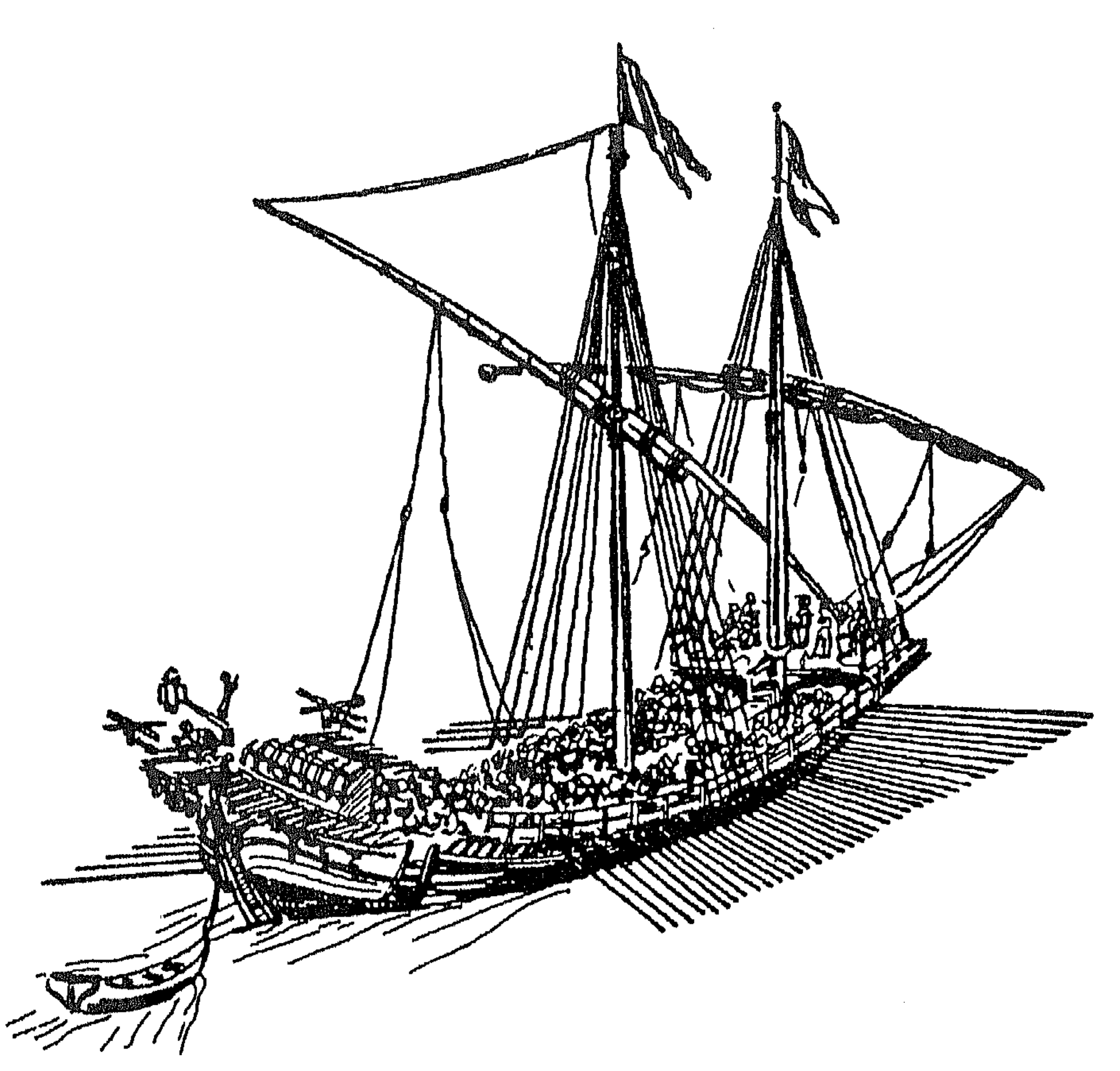
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص175 .



— حراقة من حراريق العرب

الشكل رقم (15)

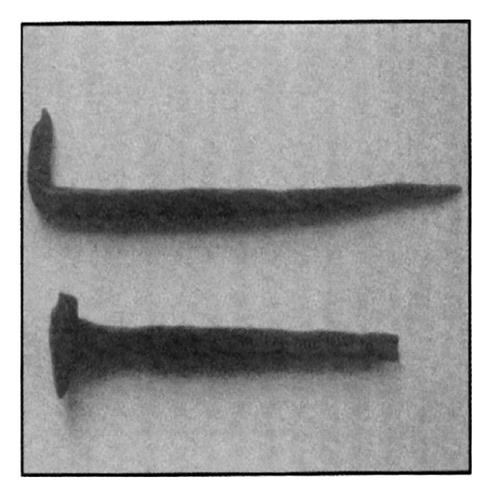
نقلا عن : بركات ، فن الحرب البحرية ، ص152 .



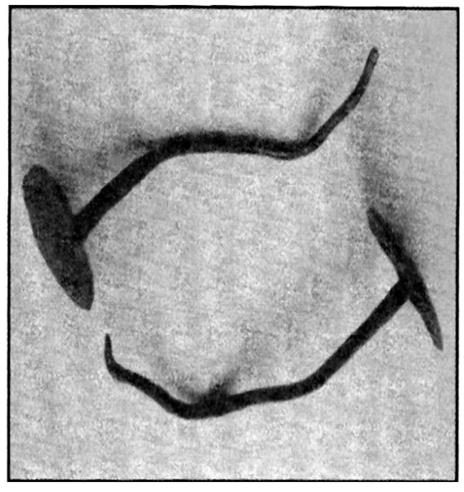
- شانية من شوانى العرب

الشكل رقم (16)

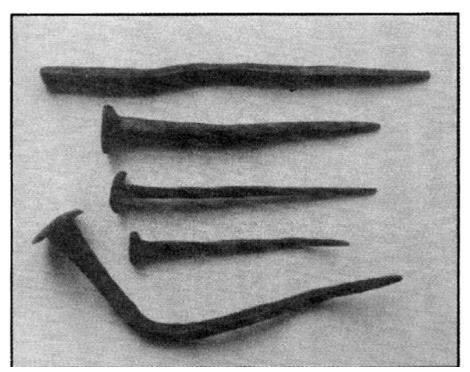
نقلا عن : بركات ، فن الحرب البحرية ، ص150 .



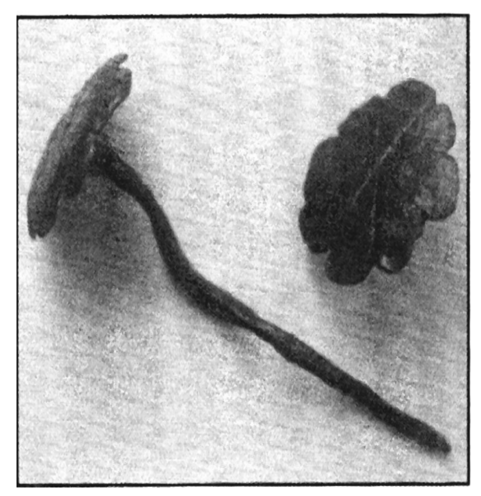
الشكل رقم (17)
مسماران معكوفان صنعا من قضيب حديدي
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص186



الشكل رقم (18)
مسامير أبواب
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص185 .



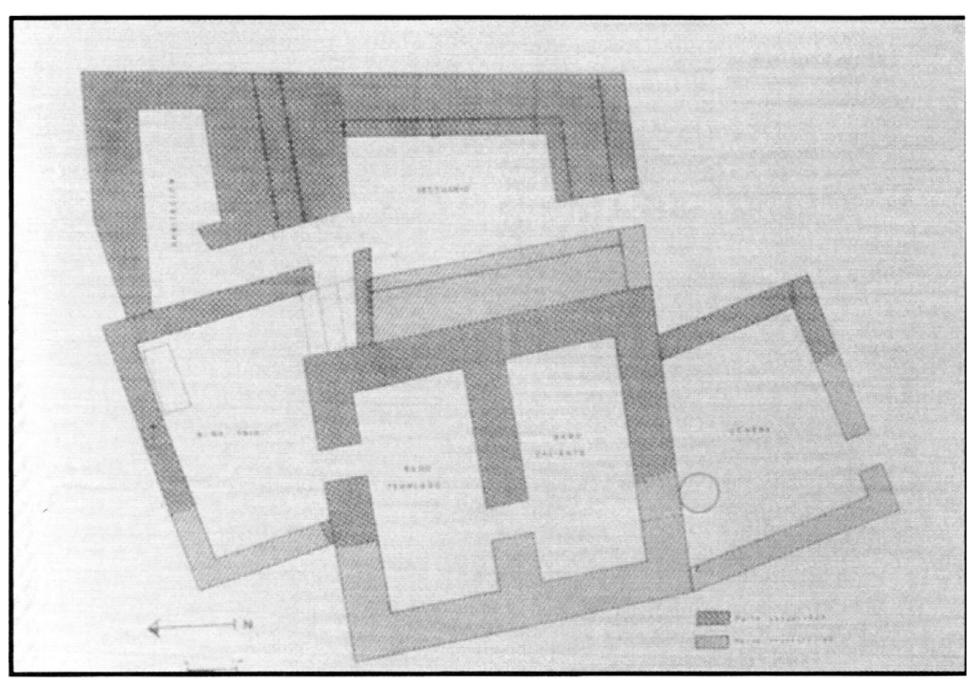
الشكل رقم (19)
خمسة مسامير مصنوعة من قضبان
حديدية رباعية المقطع ولها رؤوس دائرية
نقلا عن ، بنيتو ، باسكوس ، ص184 .



الشكل رقم (20)

مسماران مفصصا الرؤوس

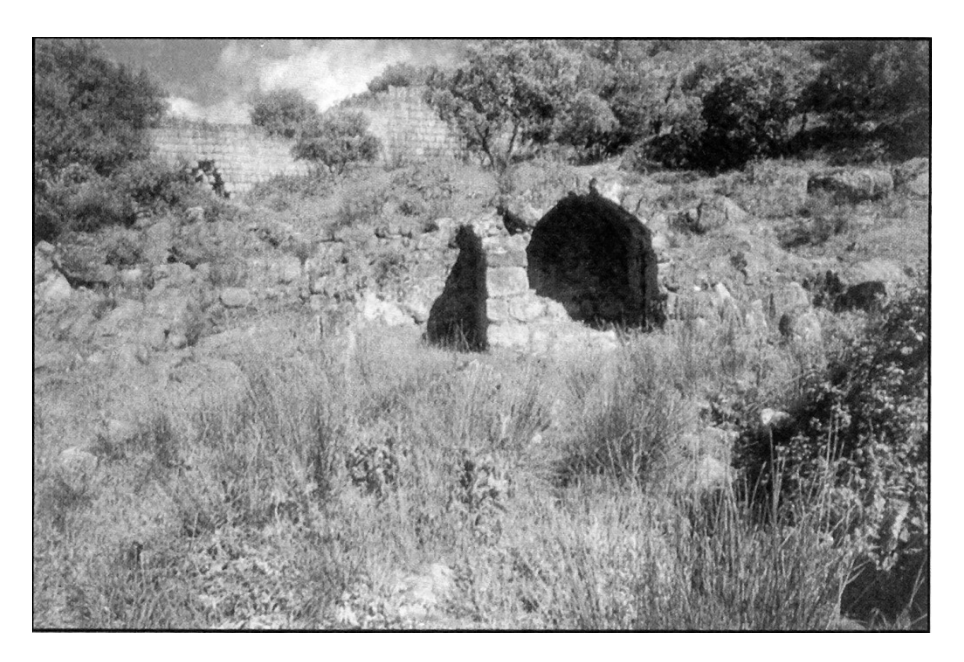
نقلا عن ، بنيتو ، باسكوس ، ص185 .



الشكل رقم (21)

مخطط تقريبي للحمامات

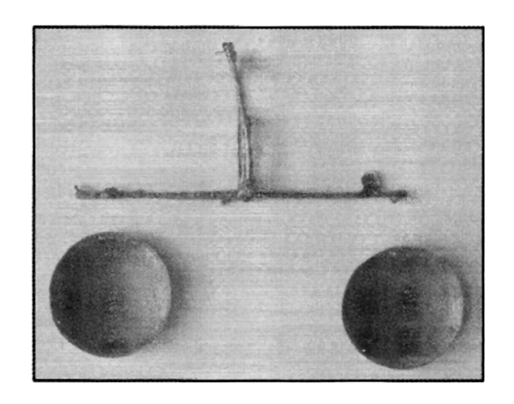
نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص72 .



الشكل رقم (22) : بقايا حمامات ، نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص71 .



الشكل رقم (23): جدول مائي بالقرب من الحمامات، نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص111 .



الشكل رقم (24)

ميزان مع كفتيه المصنوعتان من البرونز

نقلا عن : بنيتو ، باسكوس ، ص216 .

الشكل رقم (25)

لوحة لصناعة المسكوكات في القرن الثامن عشر في اوربا

نقلا عن : دفتر ، المسكوكات ، ص246 .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المخطوطات:

- **الجوبري، عبد الرحمن بن عمر بن أبي بكر الدمشقي (كان حياً سنة 1396هـ/ 1976م).**

1. المختار في كشـف الأسرار وهتك الأستار في علم الدكيات والحيل، مخطوط، د. م، د. ن.

- **الحنفي، عبد الرحمن بن حنيف الدين المرشدي العمري (ت1183هـ/ 1769م).**

2. ***رسالة في معرفة القيراط والدينار والدرهم والدانق***، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، تحت رقم 2173

- **الذهبي، مصطفى بن حنفي بن حسن (كان حياً سنة 1281هـ/ 1767م).**

3. ***تحـريـر الـدرهم والمثقال والرطـل***، مخطوط محفوظ في مخطوطات الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية، تحت رقم 319535.

- **العلوي، أحمد بن علي (ت ق14هـ/ 20م).**

4. ***أنساب الشرفاء الأدارسة***، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود قسم المخطوطات، المملكة العربية السعودية، تحت رقم 7227.

- **مؤلف مجهول.**

5. ***الأندلس وما فيه من البلاد***، مخطوط محفوظ في مركز المخطوطات، بغداد، تحت رقم 8799 / ف2720.

المصادر الأولية:

- **ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/ 1260م).**

6. ***الحلة السيراء***، ط2، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985.

- **ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/ 1232م).**

7. ***الكامل في التاريخ***، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2007.

- **الأسيوطي، شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي (ت ق9هـ/ 15م).**

8. ***جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود***، ط2، المطبعة المحمدية، القاهرة، 1955.

- **الأصبحي، مالك بن أنس (ت179هـ/ 795م).**

9. ***المدونة الكبرى***، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

- **الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت346هـ/ 957م).**

10. ***مسالك الممالك، وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي***، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.

- **الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت421هـ/ 1030م).**

11. ***الأزمنة والأمكنة***، ضبطه وخرّج آياته، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/ 869م).**

12. ***صحيح البخاري***، ط2، دار السلام، الرياض، 1999.

- **ابن بسام، محمد بن أحمد المحتسب (ت نهاية ق8هـ/ 14م).**

13. ***نهاية الرتبة في طلب الحسبة***، تح: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968.

- **ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى (ت578هـ/ 1182م).**

14. ***الصلة***، ضبط نصه وعلّق عليه: جلال الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

• **ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت779هـ/ 1377م).**

15. ***رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار***، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ن.

• **البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/ 1094م).**

16. ***المسالك والممالك***، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

17.، ***معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع***، تح مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945.

• **البـلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/ 892م).**

18. ***فتوح البلدان***، وضع حواشيه: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

• **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت255هـ/ 868م).**

19. ***الحيوان***، تح: إيمان الشيخ محمد وغريد الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2008.

• **الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ/ 1413م).**

20. ***التعريفات***، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ.

• **الجرسيفي، عمر بن عثمان بن العباس (ت1279هـ/ 1862م).**

21. ***رسالة عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي في الحسبة. نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب***، تح: إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

• **الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ/ 1002م).**

22. ***الصحاح تاج اللغة وصحـاح العربية***، ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

• **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م).**

23. ***جمهرة أنساب العرب***، ط4، راجع النسخة، وضبط أعلامها: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

24.، ***فضائل الأندلس وأهلها***، نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968.

25.، ***المحلى بالآثار***، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ن.

• **الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (ت ق 8هـ/ 14م).**

26. ***الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكّة***، تح: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، الجمهورية العربية المتحدة، 1958، مج6، ع 102.

• **الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله (ت448هـ/ 1056م).**

27. ***جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس***، حقّقه وعلّق عليه: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.

• **الحميري، محمد بن عبد المنعم (عاش في القرن 9هـ/ 15م).**

28. ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، ط2، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

29. ، ***صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار***، ط2، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، 1988.

• **الحنبلي، أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي (ت458هـ/ 1065م).**

30. ***الاحكام السلطانية***، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، 1966.

• **ابن حوقل، محمد بن علي النصيبي (ت367هـ/ 977م).**

31. ***صورة الأرض***، دار صادر، بيروت، د.ن.

• **ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت469هـ/ 1076م).**

32. ***المقتبس من أنباء أهل الأندلس***، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.

33. ، ***المقتبس في أخبار بلد الأندلس***، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965.

34. ، ***المقتبس في تأريخ رجال الأندلس (القسم الثالث)***، اعتنى بنشره: ملشور م. انطونية، مطبعة بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937.

35. ، ***المقتبس (الجزء الخامس)***، اعتنى بنشره: ب. شالميتا مع: ف. كورنيطي وم. صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة – كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979.

• **ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 280هـ/ 893م).**

36. ***المسالك والممالك***، مطبعة بريل، ليدن، 1889.

• **لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد الغرناطي الأندلسي (ت776هـ/ 1374م).**

37. ***الإحاطة في أخبار غرناطة***، شرحه وضبطه وقدّم له: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

38. ، ***أعمال الأعلام فيمَن بويع قبل الاحتلام من ملـوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام***، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

• **ابن خلدون، عبد الرحمن (ت808هـ/ 1406م).**

39. ***العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر***، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.

• **الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد (ت1201هـ/ 1786م).**

40. ***الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك***، خرج أحاديثه وفهرسه: مصطفى كمال وصفي، دار المعارف، القاهرة، د.ن.

• **الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/ 895م).**

41. ***كتاب النبات***، تح: برنهارد لـڤين، فرانز شتاينر بـڤـيسبادن للنشر، د.م، 1974.

• **الرازي، أحمد بن محمد بن موسى (ت344هـ/ 955م).**

42. ***صفة الأندلس***، نشرها بالفرنسية: ليفي بروفنسال، مجلة الأندلس، مدريد، 1953م، ع18، ج1. تحت عنوان:

La Description de L'Espagne, Ahmad al- Razi, Al-andalus, Revesta les estudias Arabes de medrid Granada, XVIII, 1953.

• **الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد سنة 691هـ/ 1291م).**

43. ***مختار الصحاح***، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.

• **الرشاطي، أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله (ت542هـ/ 1147م) والإشبيلي، ابن الخراط (ت581هـ/ 1186م).**

44. ***الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار***، تقديم وتحقيق: ايميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990.

• **الرقيق القيرواني (ت417هـ/ 1026م).**

45. ***تاريخ إفريقية والمغرب***، تح: المنجي الكعبي، ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 2005.

• **الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط ق 6هـ/ 12م).**

46. ***الجعرافية***، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ن.

• **ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم (ت339هـ/ 1008م).**

47. ***منتخب الأحكام***، تح: عبد الله بن عطية الرداد الغامدي، المكتبة المكية - مؤسسة الريان، (مكة المكرمة: د.ن)

• **السبتي، أبو العباس أحمد العزفي (ت633هـ/ 1162م).**

48. ***إثبات ما ليس منه بد لمَن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ***، تخريج ودراسة: محمد الشريف، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1996.

• **ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/ 1286م).**

49. ***الجغرافيا***، تح: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.

50.، ***المُغْرب في حلى المَغْرِب***، ط2، تح: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، د.ن.

• **السقطي، محمد بن أبي محمد الأندلسي (ت631هـ/ 1234م).**

51. ***في آداب الحسبة***، اعتناء: ج.س. كولان وإ.ليفي برفنسال، مكتبة إرنست ليرو، باريس، 1931.

• **ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت224هـ/ 838م).**

52. ***الأموال***، تح: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.

• **السلمي، عبد الملك بن حبيب (ت238هـ/ 852م).**

53. ***كتاب التاريخ***، اعتنى به: عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، بيروت، 2008.

• **ابن الشباط، محمد بن علي المصري التوزري (ت681هـ/ 1282م).**

54. ***وصف الأندلس (قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط)***، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الرابع عشر، 1967-1968.

• **الشريف الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمويني الحسيني (ت560هـ/ 1164م).**

55. ***نزهة المشتاق في اختراق الآفاق***، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994.

• **الشقندي، إسماعيل أحمد (ت629هـ/ 1231م).**

56. ***فضائل الأندلس وأهلها***، نشر وتقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1968.

• **ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت235هـ/ 849م).**

57. ***المصنف في الأحاديث والآثار***، تح: مختار أحمد الندوي، مطبوعات الدار السلفية، الهند، بومباي، 1980.

• **ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت462هـ/ 1069م).**

58. ***طبقات الأمم***، نشره وذيَّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس: الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912.

• **الصفاقسي، أبو الثناء محمود بن سعيد (ت1228هـ/ 1813م).**

59. ***نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ومناقب السادة والأطهار***، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.

• **الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة (ت599هـ/ 1202م).**

60. ***بغية الملتمّس في تاريخ رجال الأندلس***، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

• **ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبـد الله (ت257هـ/ 870م).**

61. ***فتوح مصر وأخبارها***، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

• **ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت في النصف الثاني من ق6هـ/ 12م).**

62. ***رسالة أحمد عبد الله بن عبد الرؤوف في آداب الحسبة والمحتسب. نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب***، تح: إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

• **ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت في النصف الأول من ق6هـ/ 12م).**

63. ***رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة. نشرت ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب***، تح: إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

• **ابن عذاري، أحمد بن محمد المعـروف المراكشي (ت712هـ/ 1312م).**

64. ***البـيان المغرب في أخبـار الأندلس والمغرب***، تح: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ن.

• **العذري، أحمد بن عمر بن انس (ت478هـ/ 1085م).**

65. ***نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك***، تح: عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965.

• **عريب بن سعد، أبو الحسن الكاتب القرطبي (ت370هـ/ 980م).**

66. ***تقويم قرطبة (كتاب الأنواء)***، نشره رينهارت دوزي، مطبعة بريل، ليدن، 1961.

• **ابن عمر، أبو زكريا يحيى (ت289هـ/ 902م).**

67. ***أحكام السوق***، تح: محمود علي مكي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الرابع، ع1-2، 1956.

• **العمري، أحمد بن فضل الله (ت749هـ/ 1348م).**

68. ***مسالك الأبصار في ممالك الأمصار***، تح: حمزة أحمد عباس، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002.

• **ابن العوام، يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي (ت580هـ/ 1184م).**

69. ***الفلاحة***، تح: جوزفي انطونيو نيكودي، مدريد، 1802.

• **ابن غالب، محمد بن أيوب (ت571هـ/ 1175م).**

70. ***نص أندلسي جديد قطعة من كتاب (فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس)***، تح: لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مطبعة مصر، القاهرة، 1955، مج1، ج1.

• **الغرناطي، أبو حامد محمد بن عبد الرحيم بن سليمان المازني القيسي (ت565هـ/ 1169م).**

71. ***المعرب عن بعض عجائب المغرب***، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

• **ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395 هـ/ 1004م)**

72. ***مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1972.

• **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هـ/ 791م).**

73. ***العين***، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الوسام - دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ت.

• **ابن فرحون، أبو الوفاء إبراهيم بن الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد اليعمري المالكي (ت799هـ/ 1396م).**

74. ***تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الأحكام***، خرّج أحاديثه وعلّق عليه وكتب حواشيه: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

• **ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي (ت403هـ/ 1012م).**

75. ***تاريخ علماء الأندلس***، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

• **ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني (ت290هـ/ 902م).**

76. ***مختصر كتاب البلدان***، مطبع بريل، ليدن، 1302.

• **الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/ 1414م).**

77. ***القاموس المحيط***، ط5، رتّبه ووثّقه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 2011.

• **الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت770هـ/ 1368م).**

78. ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي***، ط2، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، د.ن.

• **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/ 1418م).**

79. ***صبح الأعشى في صناعة الإنشا***، دار الكتب الخديوية، طبع بالمطبعة الأميرية، القاهرة، 1915.

• **ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ/ 977م).**

80. ***تاريخ افتتاح الأندلس***، تح: أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957.

• **ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ/ 1372م).**

81. ***البداية والنهاية***، ط10، اعتنى بهذه الطبعة ووثّقها: عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 2007.

82. ***تقويم البلدان***، تح: م. رينود والبارون ماك غوكين ديسلان، دراسة وتقديم: المستشرق: أغناطيوس كراتشكوفسكي، دار ومكتبة بيبلون، لبنان، 2009.

• **ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (عاش اواخر ق6هـ/ ق12م).**

83. ***تاريخ الأندلس***، تح: أحمد مختار العبادي، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثالث عشر، 1965-1966.

• **ليون الأفريقي، الحسن بن محمد بن الوزان الفاسي (ت أواسط ق 9هـ/ 16م).**

84. ***وصف إفريقيا***، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

• **المالقي، عبد الرحمن بن قاسم الشعبي (ت497هـ/ 1103م).**

85. ***الأحكام***، تقديم وتحقيق: الصادق الحلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

• **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/ 1058م).**

86. ***الأحكام السلطانية والولايات الدينية***، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، 1960.

• **محمد الغساني الأندلسي (ت1103هـ/ 1691م).**

87. ***رحلة الوزير في افتكاك الأسير***، حرّرها وقدّم لها: نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع – المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

• **المخزومي، أحمد بن عميرة (ت658هـ/ 1258م).**

88. ***تاريخ ميورقة***، تح: محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت: 2007.

• **المراكشي، عبد الواحد (ت647هـ/ 1249م).**

89. ***المعجب في تلخيص أخبار المغرب***، تح: محمد سعيد العريان، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضه، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.

• **المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 957م).**

90. ***التنبيه والإشراف***، عُني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة المثنى، بغداد، 1938.

91. ،. ***مروج الذهب ومعادن الجوهر***، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.

• **مسلم، مسلم بن الحجــاج (ت261هـ/ 874م).**

92. ***صحيح مسـلم***، ط3، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 2010.

• **المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت390هـ/ 999م).**

93. ***من أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم***، علّق عليه ووضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

• **المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/ 1631م).**

94. ***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

• **المقريزي، تقي الدين أحمد بن عبد القادر (ت845هـ/ 1441م).**

95. ***النقود الإسلامية***، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1298هـ.

• **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ/ 1311م).**

96. ***لسان العرب***، ط6، دار صادر، لبنان، بيروت، 2008.

• **مؤلف مجهول (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي).**

97. ***أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم***، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1989.

• **مؤلف مجهول (ت أواسط ق8هـ/ 14م).**

98. ***تاريخ الأندلس***، تح: عبد القادر بوباية، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2009.

• **مؤلف مجهول (حي سنة 372هـ/ 982م).**

99. ***حدود العالم من المشرق إلى المغرب***، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999.

• **مؤلف مجهول (ت أواسط ق7هـ/ 13م).**

100. ***كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين***، تح: امبروزيو اويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، إسبانيا، 1962، مج التاسع والعاشر.

• **ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي (ت481هـ/ 1088م).**

101. ***سفرنامة***، تر: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993.

• **الناصري، أحمد بن خالد (ت1315هـ/ 1897م).**

102. ***الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى***، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.

• **النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت676هـ/ 1277م).**

103. ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج***، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.

• **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/ 1332م).**

104. ***نهاية الأَرَب في فنون الأدب***، تح: عبد المجيد ترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

• **ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي فوارس أبو حفص (ت749هـ/ 1348م).**

105. ***خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان عقد درر***، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1341هـ.

106. ، ***عجائب البلدان ويليه عجائب النباتات والفواكه والحيوانات***، تح: أنور محمود زناتي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011.

• **الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت914هـ/ 1508م).**

107. ***المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب***، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

• **ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ/ 1228م).**

108. ***معجم البلدان***، ط3، دار صادر، بيروت، 2007.

• **اليعقوبي، إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ/ 897م).**

109. ***البلدان***، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

• **أبو يعلى، محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي (ت458هـ/ 1065م).**

110. ***الأحكام السلطانية***، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، 1966.

المراجع (العربية والمعربة):

• **آشتور. آ.**

111. ***التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى***، تر: عبد الهادي عبله، مراجعة: أحمد غسان سبانو، دار قيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1985.

• **أحمد، حسن عبد العزيز.**

112. ***جغرافية أوربا***، دار المريخ، الريا، 1982.

• **أحمد، نهلة شهاب.**

113. ***دراسات في تاريخ المغرب والأندلس***، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

• **أرسلان، شكيب.**

114. ***تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط***، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن.

115. .، ***الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية***، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ن.

• **أبو ارشيد، ارشيد يوسف.**

116. ***الحضارة الإسلامية***، ط2، مكتبات ونشر العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2005.

• **اولسومر، بوجن.**

117. ***أسلافنا العرب***، تر: محمد محفل، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1995.

• **باشا، نجاة.**

118. ***التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة***، منشورات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، د.ن.

• **بركات، وفيق.**

119. ***فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي***، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، الجمهورية العربية السورية، 1995.

• **بروفنسال، ليفي.**

120. ***الإسلام في المغرب والأندلس***، تر: محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة: لطفي عبد البديع، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ن.

121. .، ***تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية*** (711-1031م)، ترجمة إلى الإسبانية: إميليو جارثيا جومث، تر: علي عبد الرؤوف البمبي - علي إبراهيم المنوفي، مراجعة: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، المجلد الثاني، الجزء الأول. وهو خاص بالنظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية.

122. .، ***الحضارة العربية في إسبانيا***، ط3، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994.

• **البشر، محمد بن عبد الرحمن.**

123. ***مباهج الأندلس***، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

• **بطاينة، محمد ضيف الله.**

124. ***الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى***، دار الكندي للطباعة النشر والتوزيع – دار طارق للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، د.ن.

• **البكر، خالد بن عبد الكريم.**

125. ***النشاط الاقتصادي في الأندلس***، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1993.

• **بلباس، ليوبولدو تورتيس.**

126. ***تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية*** (711-1031م)، ط2، تر: علي عبد الرءوف البمبي – علي إبراهيم المنوفي – السيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة: صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، المجلد الثاني، الجزء الثاني، وهو خاص بالفن والعمارة.

• **البلتاجي، صابر عبد المنعم محمد علي**

127. ***النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين*** (524-668هـ/ 1130-1269م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2012.

• **بنيتو، ريكاردو اثكييردو.**

128. ***باسكوس الحياة اليومية في مدينة ثغرية بالأندلس***، تر: عبد الله بن إبراهيم العمير، إدارة النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2009.

• **الجعماطي، عبد السلام.**

129. ***دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي***، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

130. ،***النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف*** (316-483هـ)، دار ابن حزم، بيروت، 2010.

• **الجليلي، محمود.**

131. ***المكاييل والأوزان والنقود العربية***، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

• **الجنحاني، الحبيب.**

132. ***دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي***، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

• **جواتياين، س.د.**

133. ***دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية***، تر: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980.

• **الجوهري، يسري.**

134. ***جغرافية البحر المتوسط***، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984.

• **حتامله، محمد عبده.**

135. ***الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة دراسة شاملة***، مطابع الدستور التجـارية، الأردن، عمان، 2000.

136. ***أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين***، وزارة الثقافة، الأردن، 1996.

137. موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، الأردن، 1999.

• **حتي، فيليب.**

138. ***صانعو التاريخ العربي***، ط2، تر: رانيس فريحة، مراجعة: محمود زايد، دار الثقافة، بيروت، 1980.

• **الحجي، عبد الرحمن علي.**

139. ***التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة***، ط2، دار القلم، بيروت، 2008.

• **حسن، كريم عجيل.**

140. ***الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية 92-494هـ / 711-1102م***، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976.

• **حسن، محمد إبراهيم.**

141. ***دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط***، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1999.

• **حسين، حمدي عبد المنعم محمد.**

142. ***ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الاموية***، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.

• **حلاق، حسان.**

143. ***العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى الأندلس - صقلية - الشام***، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 2012.

• **حمودة، علي محمد.**

144. ***تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي***، دار الكتاب العربي، مصر، 1957.

• **خليل، عماد الدين.**

145. ***التفسير الإسلامي للتاريخ***، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، 1975.

146.، ***مدخل إلى الحضارة الإسلامية***، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، 2005.

• **دائرة المعارف الإسلامية.**

147. ***نقلها إلى العربية***: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة: وزارة المعارف العمومية محمد أحمد جاد المولى بك، مادة أندلس، مج3.

• **دفتر، ناهض عبد الرزاق.**

148. ***المسكوكات***، مطابع دار السياسة، الكويت، د.ن.

• **دوبلانهول، كزافييه.**

149. ***تاريخ أرض الإسلام الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام***، تر: معاوية سعيدوني، تقديم ومراجعه: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.

• **الدوري، إبراهيم ياس خضر.**

150. ***عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية***، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

• **الدوري، عبد العزيز.**

151. ***تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري***، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995.

• **دوزي، رينهارت.**

152. ***تكملة المعاجم العربية***، تر: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997.

• **دويدار، حسن يوسف.**

153. ***المجتمع الأندلسي في العصر الأموي*** (138-422هـ/ 755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، الإسكندرية، 1994.

• **راضي، علي محمد.**

154. ***الأندلس والناصر***، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.م، 1967.

• **رحاحلة، إبراهيم القاسم.**

155. ***النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين*** 132هـ: 365هـ / 749م: 975 م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

• **ريبيرا، خوليان.**

156. ***التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية***، ط2، دار المعارف، مصر، 1994.

• **ريسلر، جاك.**

157. ***الحضارة العربية***، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، 1993.

• رينو، جوزيف.

158. ***الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي***، تعريب وتعليق الحواشي وتقديم: إسماعيل العربي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

• الزهيري، شريف عبد العزيز.

159. ***المسلمون سادة البحار***، دار الصفوة، القاهرة، 2008.

• سالم، سحر عبد العزيز.

160. ***مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري للاندس في العصر الإسلامي***، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990.

• سالم، عبد العزيز.

161. ***تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس***، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ن.

162. ، ***في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس***، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985.

• سالم، عبد العزيز، العبادي، أحمد مختار.

163. ***تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام***، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

• السامرائي، عبد الحميد حسين أحمد.

164. ***تاريخ الجهاد الإسلامي في الأندلس***، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 2003.

• السامرائي، عبد الرزاق أحمد وادي.

165. ***القروض المصرفية في الإسلام دراسة تاريخية***، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004.

• سلمان، نصر وسعاد سطحي.

166. ***فقه المعاملات المالية وأدلته عند المالكية***، دار ابن كثير، دمشق، 2007.

• **سيسالم، عصام سالم.**

167. جزر *الأندلس المنسية (التـاريخ الإسلامي لجزر البليار)* 89-685هـ/ 708-1287م، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.

• **الشطشاط، علي حسين.**

168. ***تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة***، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

• **صايغ، أنيس.**

169. ***الأسطول الحربي الأموي في البحر الأبيض المتوسط***، د.م، بيروت، 1956.

• **الصوفي، خالد.**

170. ***تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر***، ط2، منشورات جامعة قاريونس، د.م، 1980.

• **طه، عبد الواحد ذنون.**

171. ***الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شـمال إفريقيا والأندلس***، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.

• **طويل، مريم قاسم.**

172. ***مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمـادح***، مكتبة الوحدة العربية - دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

• **عبادة، عبد الفتاح.**

173. ***سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام***، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1913.

• **العبادي، أحمد مختار.**

174. ***دراسات في التاريخ العباسي والأندلسي***، دار النهضة، بيروت، 1971.

175. .، ***دراسات في تاريخ المغرب والأندلس***، الناشر محمد أحمد بسيوني، الإسكندرية، 1968.

• **العبادي، عبد الحميد.**

176. ***المجمل في تاريخ الأندلس***، جمع مادته ونسقها: حمد إبراهيم الشريف، راجعه: مختار العبادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.

• **عبد البديع، لطفي.**

177. ***الإسلام في إسبانيا***، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958.

• **عبد العليم، أنور.**

178. ***الملاحة وعلوم البحار عند العرب***، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979.

• **عبد الهادي، عبد اللطيف.**

179. ***الأندلس الإسلامية سياسياً وحضارياً***، المكتب الجامعي الحديث، د.م، د.ن.

• **العدوي، إبراهيم أحمد.**

180. ***الأساطيل العربية في البحر المتوسط***، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، مصر، د.ن.

• **ابن العربي، الصديق.**

181. ***كتاب المغرب***، ط3، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة، بيروت، 1984.

• **عمارة، محمد.**

182. ***قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية***، دار الشروق، القاهرة، 1993.

• **عنان، محمد عبد الله.**

183. ***الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال***، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

• **عواد، ميخائيل.**

184. ***المآصر في بلاد الروم والإسلام***، مطبعة المعارف، بغداد، 1948.

• **عوض، عبد الفتاح.**

185. ***إشراقات أندلسية صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس***، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، جمهورية مصر العربية، 2007.

• **غلام، نعمت إسماعيل.**

186. ***فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية***، ط2، دار المعرف، مصر، 1977.

• **أبو الفضل، محمد أحمد.**

187. ***تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي (منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)*** 344-484هـ/ 955-1091م، تصدير السيد عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1981.

188. .، ***شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515- 686هـ/ 1121- 1287م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري***، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996.

• **فكري، أحمد.**

189. ***قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة***، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ن.

• **فهمي، علي محمود.**

190. ***التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي***، تر: قاسم عبده قاسم، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

• **الفيلالي، عبد العزيز.**

191. ***العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب***، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة: 2001.

• **كاهن، كلود.**

192. ***الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية***، تر: حسين جواد قبيسي، مراجعة: علي نجيب محفوظ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.

• **كحيلة، عبادة عبد الرحمن رضا.**

193. ***الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية***، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1990.

• **كربل، عبد الآله رزوقي ويوسف محمد سلطان وعبد علي حسن الخفاف.**

194. ***جغرافية أوربا والاتحاد السوفيتي***، مطابع التعليم العالي، بغداد، 1989.

• **الكرملي، الأب انستاس ماري البغدادي.**

195. ***النقود العربية وعلم النميات***، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان، 1989.

• **كندرو** W.G. KENDREW.

196. ***مناخ القارات***، تر: حسن طه النجم وعلي محمد المياح وحسن عليوي الخياط، مطبعة الحكومة، بغداد، 1967.

• **كولان، ج. س.**

197. ***الأندلس***، تر: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980.

• **كونستبل، أوليفيا ريمي.**

198. ***التجارة والتجّار في الأندلس***، تعريب: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2002.

• **كونل، ارنست.**

199. ***الفن الإسلامي***، تر: أحمد موسى، دار صادر، بيروت، 1966.

• **لوبون، غوستاف.**

200. ***حضارة العرب***، تر: عادل زعيتر، دار بيبليون، باريس، 2008.

• **لوفران، جورج.**

201. ***تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث***، تر: هاشم الحسيني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ن.

• **لومبار، موريس.**

202. ***الإسلام في مجده الأول، من القرن 2 إلى القرن 5 هـ*** (8–11م)، ط3، تر: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990.

• **متز، آدم.**

203. ***الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري***، ط2، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947.

• **محمد، عبد الرحمن فهمي.**

204. ***النقود العربية ماضيها وحاضرها***، دار القلم، القاهرة، 1964.

• **محمود، منى حسن.**

205. ***المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة***، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.

• **المسري، حسين علي.**

206. ***تجارة العراق في العصر العباسي***، الكويت، 1982.

• **المصري، عبد السميع.**

207. ***التجارة في الإسلام***، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1976.

• **مصطفى، شاكر.**

208. ***الأندلس في التاريخ***، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

• **أبو مصطفى، كمال السيد.**

209. ***دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة***، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997.

210. .، ***دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس***، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1977.

• **المطري، السيد خالد.**

211. ***جغرافية القارات***، الدار السعودية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1998.

• **ملحم، محمد فيصل.**

212. ***صفحات من تاريخ الدولة الأموية والأندلس***، دار الفيحاء، دمشق، 2005.

• **مؤنس، حسين.**

213. ***تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس***، ط2، المطبعة الفنية، القاهرة، 1986.

• **النخيلي، درويـش.**

214. ***السفن الإسلامية على حروف المعجم***، ط2، دار المعارف، مصر، 1979.

• **الهاشمي، عبد المنعم.**

215. ***الخلافة الأندلسية***، دار ابن حزم، بيروت، 2007.

• **هنتس، فالتر.**

216. ***المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري***، ط2، ترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1986.

• **هوبكنز، ج. ف. ب.**

217. ***النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى***، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، تونس، 1980.

• **هونكة، زيغريد.**

218. ***شمس العرب تسطع على الغرب***، ط8، نقله عن الألمانية: فـاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الجيل بيروت – دار الآفاق الجديدة بيروت، بيروت، 1993.

• **هيئة متاحف قطر.**

219. ***المسكوكات الإسلامية***، إشراف: إبراهيم جابر الجابر، إعداد: أحمد حمد الموسى وسلوى مقرن النعيمي، قطر، 2006.

• **هيك، جين**

220. ***الجذور العربية للرأسمالية الأوربية***، تر: محمود حداد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008.

• **وات، مونتغمري.**

221. ***في تاريخ إسبانيا الإسلامية***، تر: محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1998.

• واطسون، أندريو.

222. ***الإبداع الزراعي في بدايات العالم الإسلامي***، تر: أحمد الأشقر، مراجعة: محمد نذير سنكري، منشـورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، سورية، 1985.

البحوث:

• أحمد، علي.

223. ***اليهود في الأنـدلس والمغرب خلال العصور الوسطى***، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، أيلول – كانون الأول، 1996، السنة السابعة عشر، العددان 57-58.

224. .، ***من الاصطلاحات التاريخية والحضارية الأندلسية والمغربية في العصور الوسطى***، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، حزيران، 1998، العددان 63-64.

• أحمد، نهلة شهاب.

225. ***الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة*** 92-422هـ/ 710-1030م، بحث منشور ضمن كتاب دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

• امين، حسين.

226. ***جهود العرب في العلوم الطبية في العصـرين العباسي والأندلسي***، مجلة المورد، بغداد، 2008، ع2، مج، 35.

• بالنثيا، رفاييل.

227. ***إشبيلية الإسلامية، تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي***، تر: مريم عبد الباقي، بحث منشـور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• بلباس، ليو بولدو توريس.

228. ***الأبنية الإسبانية الإسلامية***، تعريب: علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ع 1، السنة الأولى، مدريد، 1953.

• **بنحمادة، سعيد.**

229. ***التراث الفلاحي الإسلامي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط مقوماته ومراحل تطوره***، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، الدار البيضاء، 2011.

• **بنعميرة، عمر.**

230. ***جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية***، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، جوان، 1995، العدد الرابع عشر.

• **بوتشيش، إبراهيم القادري وعبد الهادي البياض.**

231. ***التربة: آفاتها، تقنيات علاجها وتدبير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية (القرن 5هـ/ 11م)***، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، الدار البيضاء، 2011.

• **بولاديان، فيليب أواديس سيمون.**

232. ***الفضاءات الحضرية المفتوحة في المدينة العربية التقليدية***، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي، مطبعة الرشاد، بغداد، 13-15/ شباط، 1989، الجزء الأول.

• **بولنز، لوسي.**

233. ***نباتات الصباغة والنسيج***، تر: مصطفى الرقي، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **بيرنيط، خوان.**

234. ***هل هناك أصل عربي إسباني لفن الخرائط البحرية***، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، السنة الأولى، 1953، ع1.

• **التكريتي، بهجت كامل عبد اللطيف.**

235. ***السفتجة واستخدامها في الدولة العربية الإسلامية***، المجلة القُطرية للتاريخ والآثار، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2001، ع3.

236. .، ***الصك واستخدامه في الدولة العربية الإسلامية***، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002، ع63.

• **الحماد، محمد عبد الله.**

237. ***التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية***، بحث منشور ضمن كتاب: منشور ضمن كتاب: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، المملكة العربية السعودية، 1996، القسم الثالث.

• **خلف، محمد مولود.**

238. ***فضل العرب على زراعة الرمان بالأندلس***، بحث منشور في ندوة التربة والزراعة عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، 1988.

• **السامرائي، خليل إبراهيم.**

239. ***ري بلنسية الأندلسية والأحكام والضوابط المتعلقة***، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القطرية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي العربي، بيت الحكمة، بغداد، 1987.

• **سانشيز، اكسبيراثيون غارثيا.**

240. ***الزراعة في إسبانيا المسلمة***، تر: أكرم ذو النون، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **شلميطا، بدرو.**

241. ***صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي (دراسة شاملة)***، تر: مصطفى الرقي، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **الطاهري، أحمد.**

242. ***تقنيات الفلاحة الأندلسية بين التراث العلمي المحفوظ والدراسات التاريخية***، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز – الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، الدار البيضاء، 2011.

• **طه، عبد الواحد ذنون.**

243. ***إشبيلية في التراث العربي دراسة في نشأة المدينة وفتحها وتوزيع القبائل العربية فيها في العهد الاموي***، بحث منشور ضمن كتاب دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، الجماهيرية العظمى، 2004.

244. ،***الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل***، بحث منشور ضمن كتاب دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، الجماهيرية العظمى، 2004.

• **الطيبي، أمين توفيق.**

245. ***جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب – في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي من خلال رسائل ((جنيزة القاهرة))***، بحث منشور ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997.

246. ،***كتب الفلاحة الأندلسية أرجوزة ابن ليون التجيبي في الفلاحة***، بحث منشور ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997.

247. ،***النقود العربية وانتشارها وأثرها في أوربا في القرون الوسطى***، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1981، العدد التاسع عشر.

• **عاشور، سعيد عبد الفتاح.**

248. ***الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية***، مجلة عالم الفكر، الكويت، أبريل – مايو – يونيو، 1980، مج 11، ع1.

• **العبادي، أحمد مختار.**

249. ***الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية***، مجلة عالم الفكر، الكويت، أبريل – مايو – يونيو، 1980، مج 11، ع1.

• **عبد الحميد، سعد زغلول.**

250. ***الحياة الدينية في المـدينة الإسلامية***، مجلة عالم الفكر، الكويت، أبريل – مايو – يونيو، 1980، مج 11، ع1.

• **عبد العزيز، هشام فوزي.**

251. ***يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي 92–897/ 711–1492***، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 1996، ع15.

• **عبد اللطيف، عصام أحمد.**

252. ***كساء الإنسان وتطور صناعته***، بحث منشور ضمن بحوث الندوة القومية الأولى لتـاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العلمي، مطبعة الرشاد، 13–15/ شباط، بغداد، 1989، الجزء الأول.

• **عبيد، طه خضر.**

253. ***ضرائب التجارة في الدولة العربية الإسلامية 2– 4هـ/ 8010م***، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، 2000، ع27.

• **عثمان، محمد عبد العزيز.**

254. ***البحرية العربية في الأندلس منذ بداية تأسيسها إلى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر***، مجلة المورد، بغداد، مج12، ع4، 1983.

• **عيسى، محمد عبد الحميد.**

255. ***الحضارة الأندلسية: مرحلة التكوين***، بحث منشور ضمن كتاب ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، تحرير: قاسم عبدة قاسم ورافت عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، 1982، مج2.

• **غليك، توماس ف.**

256. ***التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس***، تر: صلاح جرار، مراجعة: همام غصيب، بحث منشور ضمن موسـوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **غوميز، مارغريتا لوبيز.**

257. ***المستعربون: نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس***، تر: أكرم ذا النون، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **أبو الفضل، محمد أحمد.**

258. ***التأثيرات الشامية في حضارة الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل*** 138-172هـ/ 756-788م، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1988، السنة الرابعة عشر، ع36.

• **كوك، م. أ.**

259. ***التطورات الاقتصادية***، بحث منشور في تراث الإسلام، تصنيف: جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث، تر: محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى، مراجعة: فؤاد زكريا، عالم المعرفة، مايو، الكويت، 1998، ج1.

• **كونستبل، أوليفيا ريمي.**

260. ***التجّار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية***، تر: عبد الواحد لؤلؤة، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **المزروع، وفاء عبد الله بن سليمان.**

261. ***نفوذ الصقالبة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة***، بحث منشور ضمن كتاب: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، المملكة العربية السعودية، 1996، القسم الأول.

• **مصطفى، خزعل ياسين.**

262. ***الأوضاع المالية للأندلس من خلال كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي (469هـ/ 1076م)***، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2010، ع57.

263.، ***الخدمات والتسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية عصري الإمارة والخلافة***، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية التربية، 2011، مج18، ع1.

264.، ***الكوارث والظواهر الطبيعية بالأندلس وآثارها على المجتمع في عصري الإمارة والخلافة (138- 422هـ/ 755- 1030م)***، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2009، ع54.

• **أبو مصطفى، كمال السيد.**

265. ***تاريخ مدينة طرطوشة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف (في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي)***، بحث منشور ضمن كتاب: السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، المملكة العربية السعودية، 1996، القسم الأول.

• **مكي، محمود.**

266. ***تاريخ الأندلس السياسي (92- 897هـ/ 711- 1492م) (دراسة شاملة)***، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• **النقيب، أحلام حسن مصطفى.**

267. ***العلاقات التجارية بين الأندلس والممالك الإسبانية على عصري الإمارة والخلافة***، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات أندلسية ومغربية، مكتب القمة للنشر، الموصل، 2010.

268.، ***الأزمات الاقتصادية في الأندلس على عصري الإمارة والخلافة 138- 366هـ/ 755- 976م أسبابها وعلاجها***، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات أندلسية ومغربية، مكتب القمة للنشر، الموصل، 2010.

269.، ***ولاية السوق في الأندلس على عصر الخلافة 316- 399هـ/ 928- 1008م***، بحث منشور ضمن كتاب بحوث ودراسات أندلسية ومغربية، مكتب القمة للنشر، الموصل، 2010.

• النكادي، يوسف.

270. ***أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري***، بحث منشور ضمن كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف: حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز – الدار البيضاء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، الدار البيضاء، 2011.

• هيلنبراند، روبرت.

271. ***زينة الدنيا: قرطبة القروسطية مركزاً ثقافياً عالمياً***، تر: عبد الواحد لؤلؤة، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• وينز، دايفيد.

272. ***فنون الطبخ في الأندلس***، تر: عبد الواحد لؤلؤة، بحث منشور ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

• يوسف، شريف.

273. ***قرطبة عاصمة الأمويين الكبرى في الأندلس***، مجلة آفاق عربية، بغداد، السنة الثانية، 1977، ع8.

الرسائل والأطاريح العلمية (العربية والأجنبية):

• الأنصاري، فريدة رؤوف.

-274 ***الإمارة الأموية في الأندلس على عهد الأمير عبد الرحمن الداخل*** 138-172هـ/ 756-788م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1976.

• البياتي، بان علي محمد.

275. ***النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال (القرن 3-5هـ/ 9-11م)***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 2004.

• **الجبوري، بسمان نوري كوان.**

276. ***العلاقات الاقتصادية بين المشرق والخلافة العباسية في العصر العباسي الأول (132-247هـ/ 749-864م)***، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، 2004.

• **الجبوري، خليل خلف.**

277. ***الفهريون ودورهم السياسي في الأندلس*** (92-172هـ/ 710-788م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.

• **الجبوري، سعد رمضان.**

278. ***الأخشاب واستخداماتها الحضارية في المشرق العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد***، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010.

• **الحيالي، زينب سالم صالح.**

279. ***العطور في الحضارة الإسلامية دراسة في أهميتها وتجارتها خلال العصر العباسي***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2008.

• **الخزاعي، كريم عاتي.**

280. ***أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري***، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1997.

• **الدباغ، عبد الوهاب خليل عبد الرحمن.**

281. ***الأندلس بين*** (399-433هـ/ 1009-1031)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1996.

• **الدليمي، أحمد صالح مهدي.**

282. ***تنظيمات الجيش في الأندلس في العصر الأموي*** (138-422هـ/ 755-1030م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1989.

• **الدليمي، انتصار محمد صالح.**

283. ***التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300- 366هـ/ 912- 976م)***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 2005.

• **سلمان، مثنى فليفل.**

284. ***الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1990.

• **السلمي، إبراهيم بن عطية الله.**

285. ***العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان***، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1430هـ.

• **سويلم، سائدة عبد الفتاح أنيس.**

286. ***علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (138- 300هـ/ 755- 912م)***، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2002.

• **عباس، فائزة حمزة.**

287. ***دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية (92- 422هـ/ 711- 1031)***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1989.

• **عباسي، يحيى أبو المعاطي محمد.**

288. ***الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238- 488هـ/ 852- 1095م)***، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، مصر، 2000.

• **العزاوي، إقبال أحمد زكريا.**

289. ***أثر الأسواق في الحياة العامة في العصر العباسي ((دراسة في دور السوق السياسي والاجتماعي والفكري))***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 2002.

• **فليح، رعد حسن.**

290. ***الحياة الثقافية في قرطبة وعلاقتها بالمغرب العربي في القرن الخامس الهجري***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1984.

• **القيسي، بيداء محمود حسن حميد.**

291. ***الزراعة والري في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، 2005.

• **محمد، فراس غانم.**

292. ***مدينة سبتة منذ الفتح وحتى نهاية دولة المرابطين (92- 543هـ/ 710- 1248) دراسة سياسية وحضارية***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية التربية، 2000.

• **المختار، نادرة محمد أمين.**

293. ***الدولة العامرية بالأندلس دراسة سياسية حضارية (366- 399هـ/ 976- 1009م)***، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1990.

• **المسعودي، جميلة مبطي.**

294. ***أقصى الغرب الأندلسي في العصر الإسلامي (93- 641هـ/ 712- 1243م) دراسة سياسية وحضارية***، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جـامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2010.

• **النقيب، أحلام محمد سعيد عبد الحسين.**

-295 ***التطور التجاري والنقدي في العراق في العصر العباسي***، رسـالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 1981.

• **Allen , Marilyn Penn , B.S.**

296. Cultural Flourishing In Tenth Cenyury Muslim Spain Among Muslims, Jews, And Christians, A Thesis submitted to the Faculty of The School of Continuing Studies and of The Graduate School of Arts and Sciences in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts , in Liberal Studies , Georgetown University, Washington D.C. December , 2008.

• **Veiga , Gustavo Turienzo**.

297. Observaciones Sobre El Comercio EN Al-Andalus, Universidad Complutense DE Madrid, Facultad DE Filologia , Madrid: 2002 , Departamento de , Estudios Árabes e Islámicos.

المراجع الأجنبية:

• **Goitein. S. D**.

298. A Mediterranean Society An Abridgment in one Volume , Revised and Edited by: Jacob Lassner , University of California press , London , 1999.

299. ——— , A Mediterranean Society The Jewish communities of the Arab world as portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, university of California press , London , 1967.

• **Haines, C.R..**

300. Christianity and Islam in Spain A.D. 756-1031 , London , 1889.

• **THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM New Edition**.

301. H.A.R.Gibb, J.H.Kramers, E.Levi-Provencal, J.Schacht, B.Lewis, Ch.Pellat and J.Schacht, E.J.Brill, Leiden , 1986, AL-ANDALUS.

• **Seeley, Robert Benton**.

302. The Spanish Penisula , London.

• **Wilberforce, Archibald**.

303. Spain and her Colonies, NEWYORK, Peter Fenelon Collier, MDCCCXCVIII.

القنوات الفضائية:

• **قناة الجزيرة الوثائقية.**

304. *تقرير عن (سمك التونة)*، بث بتاريخ 2/ 9/ 2011، الساعة 9–10 مساءً.

الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت):

• **خماش، نجدة.**

306. ***البحرية العربية***، مقال منشور على الشبكة العنكبونية العالمية (الإنترنيت) على الموقع:
www.arab-ency.com.

• **شاهين، محمد علي.**

307. ***الملاحة البحرية وحماية الثغور***، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت) على الموقع:
www.alghoraba.com.

• **شحلان، أحمد.**

308. ***التجارة والصناعة في الأندلس***، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت) على الموقع:
http://www.andalusite.ma

• **النعسان، محمد.**

309. ***الزراعة في الأندلس***، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنيت) على الموقع:
www.zeraiah.net.



الباحث في سطور

د. خليل خلف حسين الجبوري.

- مواليد العراق/ محافظة كركوك 1975.
- حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من جامعة الموصل – كلية الآداب 2001.
- حصل على شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي / جامعة الموصل – كلية الآداب 2005.
- حصل على شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي / جامعة الموصل – كلية الآداب 2012.
- أستاذ التاريخ الإسلامي جامعة تكريت/ كلية الآداب/ قسم التاريخ.
- لديه كتاب منشور بعنوان الأندلس وما فيه من بلاد (دراسة وتحقيق) صدر عن دار الكتب العلمية – 2015.
- لديه العديد من البحوث المنشورة في المجلات العلمية المحكمة، فضلاً عن البحوث المنجزة.
- لديه العديد من المشاركات العلمية في المؤتمرات الوطنية.
- أقام العديد من الندوات العلمية في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية.
- محاضراً لمادة تاريخ المغرب العربي والتاريخ الأندلسي.
- البريد الإلكتروني: khkhaljbory@yahoo.com

من إصدارات دار صفحات

1) معجم الألفاظ النفسية والاجتماعية في القرآن الكريم، (المتغيرات النفسية والاجتماعية سمات الشخصية،النمو والارتقاء، الجسم البشري،الجماعات والمجتمعات البشرية) د.علي شاكر الفتلاوي، 2016م.

2) الزبور - مزامير داود - دراسة مُقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

تُعدّ المزامير أكثر الأسفار قراءة من قبل اليهود والمسيحيين، أما المسلمون؛ فمع إيمانهم بأنبياء بني إسرائيل وكتبهم، إلا أنهم ابتعدوا عن تراثهم الديني، بدعوى تَحريفه. وكما أن للمزامير تفاسيرها اليهودية التي لا تعترف بالمسيح، فلها – أيضاً – تفاسيرها المسيحية التي تؤولها، للتبشير، بقدوم المسيح. ومع أن المزامير تبدو كلام إنسان هو داود، أو غيره من أنبياء بني إسرائيل، لكن الشروحات الكنسية تقول بأن الله هو الذي كان يوحي لهم ما يتكلمون به.

والزبور هو المرادف الإسلامي للمزامير، وقد ذكره القرآن كتاباً مُنزلاً على داود الذي حظي بدور بارز في القرآن، كما في المزامير، وكلا الكتابين يذكران مشاركة الجبال والطيور الترتيل مع داود. ومع أن المزامير كانت نتاج مجتمع محارب، له ربّ خاص به، لكنها تبقى نصاً أدبياً وإبداعاً إنسانياً، بكل ما في الانسانية من خير أو شر. وتأتي هذه الدراسة غير التقليدية دعوة للاطلاع على سفْر خالد، شغل – ولا يزال يشغل – أعداداً كبيرة، من القرّاء والدارسين المؤمنين به، وغير المؤمنين

3) كـنزا ربّا،"الكنز العظيم"، الكتاب المقدّس للمندائيين، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

تُقرّ معظم الدراسات المقارنة بوحدة قيم وأهداف الأديان، فجميعها ترجو خير الإنسان، وراحة نفسه، ومع اختلافها، فمعظمها واحد بالجوهر الذي هو الإيمان بوجود خالق أعظم، ومن هذه الديانات، وربما أقدمها "المندائية" التي لم تخرج بشيء عن عالم الأديان السماوية، بل تمثل حالة فريدة من التقارب معها، تأتي هذه الدراسة، من وجهة نظر علمية موضوعية وغير تقليدية، لتقرير وضع المندائية بين الأديان الشرق أوسطية، بشكل عام، والسماوية، بشكل خاص، ولتبيّن مدى تقاربها في التشريعات والفروض والأحكام. فالمندائية ديانة موحِّدة، بالتأكيد، تعتقد بأنها على ملّة آدم، وأن يحيى نبيّها، وأن كتابها يضمّها إلى ديانات أهل الكتاب. وهي بمثابة دعوة لقراءة "كنزا ربّا"، فهو أثر ديني إنساني، بغاية الشفافية، يخاطب النفس البشرية، ويروي قصتها، ويتيح الفرصة للمهتمين، لقراءته، والتمعّن بروحانيات أقدم تراث، يتبع الآباء الأولين للبشرية، ويعطينا فكرة عن أقدم أنماط التفكير الديني.

4) الكتاب الأقدس، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.

تعد البهائية من أهم الظواهر الدينية التي نشأت في العصر الحديث، ومع ذلك لا يزال يصاحبها كثير من الغموض لدى عدد كبير من الناس، حيث تتولد لديهم أسئلة عديدة، منها: هل البهاء إله أو رسول في ديانته؟ ماهو دور التصوف الشيعي في نشأة البابية؟ وكيف تحولت البابية إلى بهائية؟ إضافة إلى مواضيع: الصراعات على خلافة الباب والبهاء، الفرق البهائية الجديدة، علاقة البهائية بالإسلام، والحروف وقيمها المقدسة في البهائية، وقد حاول هذا الكتاب الإجابة عنها مع تحليل لهذه الوقائع ومنعكساتها بمنهج علمي نقدي مقارن.

وبما أن الأقدس هو أحدث كتاب مقدس في العالم فإن الاطلاع على نصوصه سيتيح الفرصة لكل مهتم وباحث عن الحقيقة للتفكير بمقارنات ودراسات تحليلية بينه وبين الكتب المقدسة القديمة، والتي أرجو أن يكون هذا العمل مفتاحاً ومحرضاً لها، فمع القيمة الدينية والتاريخية الكبيرة لنصوص الأقدس فهي أيضاً تزودنا بفكرة عن واحد من أحدث أنماط التفكير الديني للبشرية.

5) أنجيل برنابا، دراسة مقارنة، د.منذر الحايك، 2016م.-

6) القراخانيون، دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (315 – 607هـ/927 – 1210م)، أ.د. سعاد هادي حسن إرحيم الطائي، 2016م.

تعد قبيلة القراخانيين إحدى هذه القبائل التركية التي لم تخط بدراسات تاريخية شاملة، نظراً لندرة المصادر التي تحدثت عنها. تناولت في دراستي هذه الأصول التاريخية للقراخانيين، ومناطق استقرارهم، وأهم المدن التي استقروا فيها. وأشرت إلى لغتهم وألقاب أمرائهم ومدلولاتها السياسية، وتناولت – بشكل مفصل – أهم الديانات التي اعتنقوها، وكان آخرها الدين الإسلامي،وأشرت إلى دورهم في نشره بين القبائل التركية وكفاحهم الطويل في محاربة الكفار من القبائل التركية. وتناولت – أيضاً – اهتمام الأمراء القراخانيين بالبناء والعمران،وعلاقتهم مع الخلافة العباسية وتطورها، إذ تميزت باستقرارها مع تبادل الرسل والوفود، ومنحهم الألقاب الفخمة.

وعرجت على أهم ما حققه الأمراء القراخانيين من إنجازات سياسية وعسكرية عبر المراحل التاريخية لإمارتهم، من خلال الإشارة إلى علاقاتهم السياسية مع الإمارات الإسلامية المجاورة والمعاصرة لها في تلك المرحلة التاريخية، وأهم ما تمخّض عن هذه العلاقات من نتائج سياسية وعسكرية،مع الإشارة إلى أهم السفارات المتبادلة بينهم.
وتناولت – أيضاً – أهم الملامح الرئيسة لتطور الحياة العلمية في عهدهم، ولاسيما في بلاد ما وراء النهر، التي تضمنت تطور علوم مختلفة، الإنسانية منها، والعقلية؛ مثل علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الحديث النبوي الشريف والتاريخ والرياضيات والفلك والهندسة والطب وعلوم السياسة والأخلاق وغيرها، وقد توضح هذا التطور العلمي من خلال اهتمام عدد من أمراء الإمارة القراخانية بالعلم والعلماء.

7) الكلمة واللوغوس في الفكر الفلسفي والديني، د. ياسين حسين الويسي، 2016م.

- إن الكلمة هي ذلك اللوغوس المقدس والواسطة بين الله والموجودات - إن هذا المفهوم لم يغب عند أي فلسفة ظهرت، سواء كانت في فكر اليونان قبل الفلسفة أو في المدارس الفلسفية اليونانية القديمة قبل سقراط أو عند سقراط - إن أهم لفظ تعامل به فيلسوف مع الكلمة هو لفظ الوحي عند سقراط، فقد كان له أثر كبير في الفكر الإسلامي لاحقاً - إن مفهوم الكلمة عند أفلاطون تجسد في المثال الذي اشتقت عنه نظريته في المثل.
- إن مفهوم اللوغوس أخذ مكانة كبيرة في الفكر الفلسفي والديني اليهودي - يعتبر فيلون الإسكندري من أعاظم رجالات اليهود الذين لهم أثر كبير في الفكر اليهودي - لقد كان للفكر الفلسفي اليهودي ابتداءً من فيلون وأصحاب القبالة أثر كبير في الفلسفة المسيحية والإسلامية من بعدهم. لقد استمدت الفلسفة الإسلامية بعض الأفكار من ثقافة الحضارات القديمة التي سبقت الإسلام، والصوفية في الإسلام اهتمت وتوسعت في عرض مدلولات الكلمة مما أدى إلى اختلاف في التعبير عن هذا اللفظ، كما أن تعدد معاني الكلمة في الفكر الصوفي، وإن اختلفت، فإنها تدل على شيء واحد، وهو مبدأ الوجود وأساس الخلق والمادة الأولى والواسطة بين الخالق وبين الخلق، وقسم آخر أطلق على الكلمة معنى الحقيقة المحمدية، وذلك باعتبار حقيقة الممدة لكل الموجودات والحياة والعلم. وقسم آخر جعل الكلمة بمعنى المطاع، وذلك باعتبارها روح الشريعة، وهو الروح المحمدي لاقتران طاعته بطاعة الله تعالى (وأطيعوا الله والرسول)، وقسم اعتبر العقل الأول هو دلالة للكلمة، وذلك باعتبار قدسيته.

8) العهد القديم ومناهج النقد عند الغرب، النقد المصدري أنموذجا، أسماء الوردي، 2016م

9) الرؤية المثيولوجيا لعقيدة التثليث المسيحية، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، منير تمودن، 2016م.

كلمة التثليث أو الأقانيم كمصطلحان لم يردا قط في أي نص من نصوص الكتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم، وأن النصوص التي استدل بها اللاهوت المسيحي لإثبات هذه العقيدة هي نصوص ظنية وليست قطعية، تحتمل الشك والتأويل. عقيدة التثليث لم يبشر بها نبي ولا رسول من قبل، والمسيح نفسه واتباعه لم يأت على لسانهم ذكر صريح لهذه العقيدة. اتباع المسيح الأولون لم يُذكر في تعاليمهم التي كانوا يبشرون بها أن المسيح ابن الله أو أنه الأقنوم الثاني في الثالوث المقدس، بل نجد أن الجيل الأول من اتباع المسيح كانوا يرون في المسيح كبشر ومبشر عن الله، إلى أن جاء بولس وأقحم مبادئ الفداء والكفارة والتجسد والتولد من الإله الآب ومنه التثليث. يعتبر بولس أول من أدخل الأفكار الهلنستية إلى المسيحية، فقد كانت سكان مدينة طرسوس التي نشأ فيها بولس يؤمنون بعقائد الفداء والكفارة وموت الإله وعودته بعد الموت لإدانة الناس، ولاشك أن قصة تحول بولس المفاجئة من مضطهد للمسيحية إلى قديس مسيحي أبانت عن مدى وثنية العقائد التي كان ينادي بها هذا الرسول. عقيدة التثليث لم يقرر تأصيلها في المسيحية إلا في القرن الرابع الميلادي خلال مجمع نيقية، وأن الدافع على عقد هذا المجمع وإقراره هذه العقيدة كان دافعا سياسيا ولم يكن دافعا دينيا. وأن قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية وهو الوثني الذي لم يعتنق المسيحية إلا وهو على فراش الموت، فرض هذه العقيدة في هذا المجمع تحت هبة سلطانه وجبروت مملكته ولم يكن إقرارها بدافع الاعتقاد السليم. توحيد الإله في ثلاثة مظاهر أو أقانيم كانت أكثر العقائد شيوعا في الديانات الوثنية القديمة، فقد كانت سائدة عند الهنود القدماء وعند الشعوب الشرقية القديمة وعند المصريين القدماء وعند فلاسفة اليونان الأولون، وتعتبر المسيحية آخر الأديان التي ظهرت فيها هذه العقيدة رغم ادعائها الأصل السماوي لعقائدها. وقد أثبتت الدراسات النقدية المقارنة التطابق والتشابه الكبيرين بين التثليث المسيحي والوثني، وهو ما ينفي الأصل السماوي لهذه لعقيدة. تسربت عقيدة التثليث الوثنية إلى المسيحية عبر أفلوطين الذي عاصر نشأة المسيحية الأولى، والذي كان على اتصال بثلاث مصادر وثنية اعتنقت المذهب التثليثي وهو المصدر الهندي القديم والمصدر الفرعوني والمصدر الفلسفي اليوناني القديم، ومن الفلسفة الأفلوطينية ومن أفكار بولس تبلور المفهوم المسيحي للتثليث. السبب الذي جعل من التثليث الوثني يعرف انتشار كبيرا داخل المسيحية يرجع إلى الجماهير الكبيرة الوثنية التي كانت تتوافد على المسيحية، بالإضافة إلى أن المسيحيين كانوا يبقون الوثنيين على معتقداتهم وهو ما جعل الديانة المسيحية مسيحية في مظهرها لكنها وثنية في جوهرها.

إثبات الفرضية التي طرحها العديد من علماء تاريخ الأديان، وهي أن المسيحية بدأت ديانة توحيدية، ثم حدث لها انحراف إلى التثليث زمن ظهر بولس.
أمام هذه المعطيات وهذه النتائج لا يسعنا إلا التسليم بالأصل الوثني لعقيدة التثليث وبالموافقة التامة لهذه العقيدة بما جاء في الميثولوجيات القديمة.
هذا و إنني لا أدعي أنني أحطت بجميع جوانب الموضوع، فموضوع"الرؤية الميثولوجية لعقيدة التثليث المسيحية" من المواضيع التي الممتدة عبر الزمن، والأمل معقود إن شاء الله على الدراسات الحديثة لتاريخ الأديان لنبش المزيد من الحقائق التاريخية، ولربما تكشف لنا الأركيولوجيا من جهتها أيضا مزيدا من الأدلة باعتبارها الشاهد الصادق والدليل العلمي لإثبات وثنية التثليث المسيحي.

10) الرهبنة المسيحية والتصوف الإسلامي- دراسة مقارنة، 2016م.

11) التطور والتجديد في شعر بشّار بن برد، د. نعيم اليافي، 2016م.

كان بشّار بن برد الكفيف في طليعة شعراء العصر العباسي الأول، وأكثرهم تأثيراً في الانقلاب الشعري الذي امتاز به ذلك العصر، ولعل أوسع تجديد شعري عرفه العصر العباسي هو التجديد البديعي، وقد سمّاه معظم النقاد القدماء "شعر المحدثين". ويجمع الدارسون –قديماً وحديثاً– على أن بشّار بن برد رائد هذا المذهب، وأنه كان يحافظ على توازن دقيق بين العناصر الجديدة والعناصر التقليدية. ومما اشتهر له قوله في الأذن التي أغنته عن العين:

ياقوم أذْني لبعض الحيِّ عاشقةٌ والأُذْنُ تَعْشَقُ قبل العَين أحْيانا

12) الغزل عنَد عمرَ بن أبي ربيعة، د. نعيم اليافي، 2016م.

ما تزال أشعار عمر بن أبي ربيعة تشغل الباحثين والعاشقين، وتثير الإعجاب بالمجتمع الحجازي الذي أنتج هذه الشاعرية الخصبة. ويروي صاحب الأغاني أن عمراً كان يستعد استعداداً خاصاً لملاقاة النساء الأرستقراطيات السائرات في مواكبهن إلى الحج، أو للاعتمار، إلى حدّ أنه تمنى لو كانت أيام السنة جميعاً حجاً، أو عمرة، فقال:

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتمارا

13) الحب هو الحقيقة الوحيدة دراسات باراسيكولوجية، برايان ل. ويس، ترجمة ابتسام الرومي، 2015م.

رجل وامرأة كانا ينشدان المعونة من الطبيب النفسي برايان ويس لمساعدتهما على حل مشاكل حياتهما.
بيدرو وإليزابيث لم يكونا يعرفان بعضهما. وقد كانا يقصدان عيادة الطبيب، في أيام مختلفة. بالتدريج؛ اكتشف الطبيب ويس أنهما تحت التنويم المغناطيسي يسردان نفس التفاصيل عن حياة سابقة قبل ألفي عام. الجنود الرومان أساءوا معاملة رجل حتى الموت في فلسطين آنذاك– بيدرو كان ذلك الرجل المقتول، وإليزابيث كانت ابنته.
لاحظ ويس أن بعض الاسترجاعات السابقة للحيوات الماضية تتطابق بالنسبة لكليهما. هل عاش كلا مريضيه حياة مشتركة عدة مرات؟ برايان ويس كان يريد الجمع بينهما، ولكنه مرتبط – كما هو معروف – بواجب الصمت؛ كطبيب نفسي...

14) الكتاب المقدس والقرآن الكريم والعلم، موريس بوكاي، مراجعة وتقديم د.منذر الحايك، 2015م.

بفضل اتساع أفق الدكتور بوكاي العلمي وثقافته الدينية وإجادته العربية أغنى كتابه الأول، الذي عد فاصلاً في مجال كتب الأديان المقارنة، والذي اشتهر في طبعته العربية باسم: "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث،" والذي نشر لأول مرة عام 1976. ثم تعددت طبعاته بعد ذلك حتى لا تكاد تحصى، كما تُرجم لأكثر من خمسة عشرة لغة، وعد لسنوات كثيرة من أكثر الكتب رواجاً. ونحن نقدمه اليوم وقد اخترنا له العنوان الأدق ترجمة، وهو: "الكتاب المقدس والقرآن والعلم". بالرغم من الفصول المتعددة فقد ركز الدكتور بوكاي في كتابه هذا على موضوعين أساسيين، الأول: تناول فيه الروايات الدينية الكبرى مثل: خلق العالم وظهور الإنسان، وحادثة الطوفان، وبعض الروايات الأخرى حول مظاهر الطبيعة وغيرها، وقابل كل ذلك مع معطيات وحقائق العلم في زمانه الحاضر. أما الموضوع الثاني: فهو دراسة مقارنة بين رواية القرآن ورواية التوراة حول فرعون الخروج، وقد حدد نقاط الخلاف والاتفاق بين الروايتين، مركزاً على رواية القرآن حول نجاة بدن الفرعون بعد غرقه. وقد عرض آيات القرآن على نتائج الاكتشافات العلمية في عصره، دون زيادة أو نقصان، ولذلك سيظل عمله رائجاً، يعود إليه الباحثون والقراء ليجدوا فيه بعضاً من العلم الذي حضنا الإسلام الحنيف على طلبه.

15) شوكا سابتاتي حكايات الببغاء السبعون المسمى ألف ليلة وليلة الهندية، د. منذر الحايك، 2015م.

يضم كتاب شوكا سابتاتي مجموعة قصص وأساطير كتبت أصلاً باللغة السنسكريتية، حيث تتخذ أبطالها من البشر والجن، ثم تُنطق الحيوانات فتروي القصص والأمثال. وتتطاول حكاياته لتروي حياة الملوك ثم تتهاوى لتحكي عن قاع المجتمع. ومع أن بعضهم يحذرون منه لتضمنه ألفاظاً وقصصاً ماجنة، لكنه ظل واحداً من أكثر الأعمال الأدبية شهرة وشعبية في الهند. وبالمقابل يعتقد كثيرون بأن قراءة الكتاب كانت تجربة رائعة، لامتيازه بإيجاز العرض وفجائية تطور الحدث ودهشة النهايات، ولما يتضمنه من أحداث مشوقة امتزجت فيها الحقيقة بالخيال، مما يجعل المتلقي يعيش زمن المعجزات في حيز من اللازمان. كل ذلك جاء على لسان ببغاء فصيح يقص على سيدته حكاية في كل ليلة ليردعها عما تعتزمه من خيانة لزوجها الغائب، مما دعى لتسميته ألف ليلة الهندية. وبالرغم من أن الكتاب يطوف بنا خلال حكاياته متجولاً عبر بلدان الشرق الواسعة من الصين إلى اليمن والأناضول وما بينهما، فيوثق بعفوية للظروف الاجتماعية القديمة التي عاشتها تلك البلدان، لكننا في النهاية نجد أن رواياته هي ابنة حقيقية لبيئة الهند في العصور الوسطى، حيث كان الإسلام والثقافة الإسلامية من الجيران الأقربين لها.

16) تاريخ حمص وتراثها الشعبي، د. منذر الحايك، 2015م.

تتالت على مدينة حمص عبر تاريخها الطويل ثلاثة عهود شهدت فيها ازدهاراً خاصاً بها ونابعاً منها، حيث بدأت بعصر ذهبي مع أسرة شمس غرام ومعبد الشمس الذي تمكن كاهنه اليافع من تولي منصب الإمبراطور في روما. ثم تلاه عصر فضي عندما أصبحت مركزاً لجند الفتح المقدم، ومستقراً للعدد الأكبر من الصحابة، مما مكنها من تأسيس أولى مدارس الحديث الشريف في صدر الإسلام. ثم جاء عصر برونزي مع أسد الدين شيركوه الذي أقام فيها واحدة من أقوى الممالك الأيوبية التي وقفت في وجه الفرنج. ويستكمل التراث الذي هو تاريخ الشعب الحقيقي قصة حمص، فنجد المَصدّر الحمصي كاملاً بكل تفاصيله، مع المَعَنّا. والاحتفالات الشعبية بالمناسبات الدينية: رمضان، والأعياد، ورحلة الحج. ثم خمسانات حمص الفريدة والمشهورة: النبات، والحلاوة، والمشايخ. وتجد البيئة الطبيعية مكانها في التراث الشعبي في احتفالات الربيع: عيد الخضر وأربعة المرتعشي والسيران. ولا يكتمل التراث بدون الأساطير الشعبية التي كانت تنتشر في حمص. وينتهي الكتاب بجولة أثرية على أهم المواقع في المدينة القديمة.

17) الاتصال اللغوي الشفهي (الصعوبات والتشخيص والعلاج)، د. عوض هاشم، 2015م.

إذا كان الاتصال **Communication** هو عملية تفاعل تتم بغرض تبادل المعلومات والأفكار والحاجات والرغبات في عملية تفاعلية تتطلب وجود اللغة **Language** باعتبارها شفرة **Code** اجتماعية مشتركة ونسقًا لتمثيل المفاهيم باستخدام مجموعة من الرموز العفوية وترابطات مختلفة لتلك الرموز وفقًا لقواعد معينة، فإن عملية الاتصال تتضمن الانصات، والتحدث، والقراءة، والكتابة حيث يرتكز التعلم الأكاديمي على هذا الاتصال اللغوي المركب. و إذا كانت الدراسات تؤكد اقتران اللغة بالاستخدام الاجتماعي الذي يحققه الفرد عن طريق الاتصال الفعال في شئونه المختلفة، فإن اللغة هي التي تقوم بوظيفة التعبير عن الفكرة والاتصال والتواصل بين الناس، وهي بذلك ظاهرة اجتماعية تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث من الحياة الاجتماعية ومقتضياتها. وتنبع أهمية هذا الكتاب من الدور الذي تقوم به اللغة الشفهية في الموقف الاتصالية الحياتية، وأثر ذلك على النمو العام للفرد في النواحي النفسية، والاجتماعية، والتربوية، واللغوية وذلك من خلال الحد من صعوبات تعلم اللغة الشفهية في مواقف الاتصال المختلفة في مرحلة مبكرة، حيث تؤثر هذه الصعوبات بشكل مباشر أو غير مباشر على التحصيل الدراسي، والتكيف النفسي والاجتماعي للفرد.

18) الأناجيل الأربعة - دراسة نقدية، سليماني حفيظ ، 2015م.

التجربة التاريخية الإسلامية في العلاقة مع (الآخر) تضعنا أمام قاعدة ذهبية في تدبير الاجتماع الإنساني (البر قاعدة التعامل مع الآخرين)، لذلك فالإنكار لـ (الآخر) واحتقاره واضطهاده وتجريده من الإنسانية وحقوقها صنعته (الحضارة) في طورها الروماني، لقد أصبح الإسلام اليوم أكثر من أي وقت مضى عرضة للهجمات التنصيرية بشتى الطرق، وذلك وفق خطط ممنهجة قصد التأثير على المتلقي المسلم، الكتاب يطرح إشكالية كبرى، تتمحور حول كيفية حديث القرآن عن التوراة والإنجيل، ومدى صحة الكتاب المقدس أو تحريفه إسلاميا؛ لأن المسيحيين يحتجون بالقرآن الكريم كدليل على صدق كتابهم، بعدما أكدوا أنه – الكتاب المقدس- كتب بوحي من الروح القدس. – هذا الموضوع وسيلة للدفاع عن الإسلام وصد الهجمات الموجهة ضده.- بيان وفضح منهج احتجاج المسيحيين بالقرآن.- الوقوف على تفسير الآيات القرآنية الخاصة بالحديث عن التوراة والإنجيل.- التأكيد على أن الإنجيل قد تعرض للتحريف والتغيير.- تزويد المتلقي بمادة معرفية غنية بالحجج والأدلة من مختلف المصادر والمراجع كي يعرف الحقيقة.